مدخل الى

الاستراتيجية العسكرية

الجنرال اندريه بوفر

تعريب وتعليق

أكرم ديري

الهيثم الايوبي



دار الطليعة - بيروت

مدخل إلى

الاستراتيجية العسكرية

INTRODUCTION A LA STRATEGIE

General Andre Beaufre

(Armand Colin, Paris, 1965)

الطبعة الأولى
شباط (فبراير) ١٩٦٨

الطبعة الثانية
(ت ٢) ١٩٧٠

الجنرال اندريه بوفر

مدخل إلى

الاستراتيجيّة العسكريّة

تعريب وتعليق

أكرم ديري

الهيثم الايوبي

دار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت

مقدمة المعربين

الحرب ظاهرة قديمة قدم الانسان نفسه ، لقد كانت في الماضي صراعاً يدور بين جيشين صغيرين محترفين ، فوق بقعة محدودة من الأرض ، وخلال حقبة من الزمن تتعرض خلالها الشعوب للآلام دون أن يكون لها الحق في تسيير أمورهـا ، ذلك الحق الذي أحتفظت به أعلى مستويات القيادة السياسية والعسكرية . أمـا اليوم فالحرب شاملة تلف كل جوانب النشاط الانساني ، وتدخل في كل خلية من خـلايا المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، انها تهم كل فرد وتؤثر على كل بيت ويشترك بها كل مصنع ومزرعة .

لقد أدى ظهور المدرعات والطائرات واجهزة الارتباط اللاسلكي وغيرها من المخترعات العلمية الى اندلاع الحروب الميكانيكيـة ، التي تنقل المعركة من جبهة القتال الخطيّة الى جبهة قتال تشمل أرض العدو طولاً وعرضاً ، وتصيب بويلاتها المدنيين والعسكريين على السواء . وادى ظهور الأفكار الايديولوجيـة الجديدة التي تستعيض عن السلاح الثقيل والعتاد الحربي الحديث بالأسلحة الفكرية والجرأة والايمـان والتنظيم والتلاحم المعنوي والعقائدي المطلـق بين الشعب وحكومته ، أدى كل هذا الى ظهور حرب شعبية ثورية شاملة تجعل من كل شبر

في ارض البلاد حقل معركة ، ومن كل مواطن مقاتلاً يحمل السلاح ، ومن كل موجة اذاعية خنجراً يصيب قلب العدو . أما ظهور القنابل الذرية التكتيكية والاستراتيجية والصواريخ الحاملة للرؤوس النووية ، واقمار التجسس الصناعية وكل ما قدمه العلم الحديث للعالم ، فقد جعل الهلاك قدراً شاملاً يصيب كل مرافق ومدن البلدين المتحاربين بالدمار ، ويحولها في لحظات الى ركام ، ويجعل اهلها ما بين قتيل ومشوه .

كل هذا جعل من الحرب قضية الأمم لا قضية الساسة والقـادة العسكريين فقط ، ودفع بها من مسرح الصراع المحدود الى حقل صراع بلا حدود . وجعل من الحرب فناً تناقش قضاياه في كل بيت ، وتبحث اموره على جميع المستويات المدنية والعسكرية . واصبحت تعابير الاستراتيجية ، والتكتيـك ، والخرق ، والقصف ، والردع ، والحرب الشعبية ، والحرب الثورية ، والانهاك ... تتردد على كل لسان .

ويتزايد انتشار هذه التعابير وترددها في الأزمـات والمنعطفات التاريخية الخطيرة ، ومن اكثر التعابير تردداً وشيوعاً في هذا المنعطف الكبير الذي تجتازه أمة العرب اليوم هو تعبـير الاستراتيجية ، فهو ملء الصحافة والاذاعـات واحاديث المثقفين والمهتمين بالقضايا العامة من كل الاختصاصات. ومـع هذا فالمراجع العربية المؤلفة او المترجمة التي تبحث هـذا الفن الهام تكاد ان تكون نادرة . وهذا ما حدا بدار الطليعة الى تقديم هذا الكتاب الثمـين الى القراء العرب .

ويوضح الجنرال بوفر في هذا الكتاب الفرق بين الاستراتيجية والعمليات (تعبوي) والتكتيك ، ويشرح مختلف الاستراتيجيات ويحلل مبادئها وأهدافها ووسائلها ومخططاتها .

الا أنه لا يفتش مع الأسكندر المقـدوني عن النصر بفضل « الاستراتيجية

العليا الناجحة ، وتفوق التكتيك في المعركة » ؛ كما لا يبحث عن هذه النتيجة كفابيوس « بتحاشي الاشتباك مع العدو في معركة حاسمة ، واستغلال الوقت لقتل حيوية واندفاع القوات الغازية بهجمات صغيرة كوخزات الابر » ... وهو لا يؤيد كلاوزفيتز الباحث « عن النتيجة الحاسمة والنصر في المعارك الطاحنة » كما لا يؤجل المعركة مع لينين « حتى يسمح تفكك العدو المعنوي بمقاتلته والانتصار عليه » ... انه يتحدث عن التفوق التقني والجيوش الميكانيكية التي نادى بها الجنرال فولر ، والتفوق المعنوي الثوري الذي بنى عليه ماوتسي تونج استراتيجيته ، ويتحدث عن استراتيجية « القضم » غير المباشرة التي طبقها هتلر في أوربا (١٩٣٦ — ١٩٣٩) ويشرح المناورة الداخلية والخارجية ، والمناورة بالاعياء ومناورة الخرشوفة ، ولكنه لا يتبنى أي موقف ، بل يكتفي خلال كل مراحل التحليل والشرح باظهار الأسس والمبادىء بصورة واقعية ، وتسليط الأضواء على روح الموضوع مع اجراء مقارنات بين مختلف الاستراتيجيات ، ليصل إلى نتيجة جوهرية هامة تجاهلها الكثيرون عبر التاريخ وهي : أن الأستراتيجية ليست عقيدة واحدة جامدة ولكنها « أسلوب في التفكير » يسمح بدراسة الأحداث وتصنيفها حسب أهميتها ، واختيار الوسائل الفعالة الملائمة لها . فلكل موقف استراتيجية تتلائم معه ، فاذا ما طبقت استراتيجية موقف على موقف آخر غدت فاشلة ، وأدت الى كارثة . واستراتيجية دولة من الدول مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوضع هذه الدولة وقواها المادية والمعنوية بالنسبة لقوى عدوها بالاضافة إلى قوى حلفائه .

وهنا لا بد لنا من وقفة عند اوضاعنا بجملها ، ومراجعة لما جرى وما يجري ، وتساؤل عن ماهية الاستراتيجية العربية ؟ وهل هي هجومية أم دفاعية — هجومية ؟ وما هي مصادر قوتنا الحقيقية ونقاط ضعفنا ؟ وما هي مصادرة قوة العدو ونقاط ضعفه ؟ وما هي امكانية اجراء مناورة الخرشوفة عندنا بجيوش ميكانيكية محترفة انطلاقاً من وضعنا التقني والحضاري الحالي ؟ وما هي امكانية

المناورة الداخلية بحرب ثورية شعبية شاملة انطلاقاً من اوضاعنا الاجتماعية والسياسية ، والعلاقات الحالية بين حكوماتنا وشعوبنا ؟ وما هي قدرتنا على الردع او التهديد به؟ وما هي قدرة اصدقائنا وحدود عملهم ؟ وما هي اسلحتنا، وما هو تأثيرها على العدو ، وحدود مقدرتنا على استخدام هذه الأسلحة ؟ واسئلة كثيرة اخرى تطرح نفسها باحثة عن اجابة واقعية علمية واضحة . وقد تطول الوقفة وتحتاج الاجابة على كل التساؤلات إلى مجال واسع لا تسمح به هذه المقدمة . لذا رأينا ان نكتفي هنا بطرح هذه الاسئلة .

ثم يتطرق الكاتب الى الحديث عن الأسلحة الذرية والصواريخ والأقمار الصناعية واخطارها ، وسباق التسلح بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية في هذه الآفاق العلمية الواسعة ، وتأثير ذلك على استراتيجية الكتلتين العالميتين الكبيرتين، ويتحدث عن استراتيجية البقاء ، واستراتيجية الردع، واستراتيجية الرد المرن. كما يتحدث عن استراتيجية معاكس - المدن واستراتيجية معاكس- القوى شارحاً محاسن ومساوىء كل منها باحثاً عن امكانية العدم الذري بفضل توازن الرعب المتبادل . ويفسر المصادمات والحروب المحلية الصغيرة التي لم تنته منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن في كل مكان من العالم ، بأنها عودة الى الحرب التقليدية مع استخدام « فيالق تدخل » استراتيجية تسمح بالقيام بعمليات مفاجئة ، وتحتل بسرعة اهدافاً حيوية صغيرة لا تكفي لاثارة رد رادع ذري ، مع عرض مباشر للتفاوض ، أو انهاك العدو بحرب ثورية طويلة الأمد تستنزف دمه قطرة إثر قطرة ، وتخلق لدى أفراده شعوراً بالملل وعدم الرغبة في الاستمرار في حرب لا تنتهي، وتدفعهم الى التذمر والعمل ضد الحكومة الراغبة باستمرار هذه الحرب، دون ان تكون ضربات الثوار نفسها قوية بشكل يجبر العدو على استخدام سلاح ذري تكتيكي أو استراتيجي ضدهم .

ولم يشأ الكاتب الاعتماد على الشروح التاريخية ،واكتفى عند العودة الى امثلة

الحروب الماضية بذكر اسم قائد او معركة ، الأمر الذي اضطرنا الى وضع الملاحظات لتفسير بعض المصطلحات العسكرية وجعلها في متناول القراء المدنيين، وشرح بعض المعارك الهامة والعقائد العسكرية القديمة والحديثة التي اكتفى المؤلف بوضع اسمها مجرداً من كل تفسير . ولكننا اكتفينا في اكثر المواضع بملاحظة عابرة سريعة حتى لا نُكثر من الهوامش او نُثقل على النص .

اننا نرى في هذا الكتاب مرجعاً يسد نقصاً حساساً في المكتبة العسكرية العربية ، ويفيد القراء العسكريين والمدنيين ، على ان يُعمنوا الفكر عند ما يقرؤنه ، ويناقشوا كل فكرة من افكاره ، ويحاولوا الخروج باستنتاجات واقعية ، ولا يعتبروا كل ما جاء فيه مُسلمات لا تقبل النقض ، فكاتبه (رغم واقعيته ودراسته لمختلف زوايا المشكلة) عسكري غربي ، ذو تكوين نفسي وفكري خاص ، ويكتب لمجتمع غير مجتمعنا ، ويتطلع الى آفاق واهداف مختلفة عن آفاقنا واهدافنا ان لم نقل انها تصطدم معها في نقاط عديدة .

ونأمل ان يكون عملنا هذا خطوة مثمرة الى الأمام .

المعربان

جميع الحواشي هي من وضع المعربين ، لإرشاد القاريء العربي ومعاونته لفهم فكرة المؤلف .

أما الحواشي الموجودة في أصل الكتاب الفرنسي فقد اشير إليها بوضع « حاشية المؤلف » بجانبها .

مقدّمة

بقلم : ليدل هارت

انه ليسعدني حقاً تقديم هـذا الكتاب ، فالجنرال بوفر هو الضابط الوحيد القادر في عصرنا الحاضر، على كتابة مؤلف ثمين عن الاستراتيجية ، نظراً لتجربته العملية وخبرته الواسعة . وكتابه هـذا دراسة نظرية عميقة متسعة ، لم يكتب مثلها أي جنرال من رتبته .

عندما قابلت بوفر لأول مرة عام ١٩٣٥ ، كان احـدث الضباط العاملين في اركان قيادة الجيش ، ولكنه ترك في نفسي رغم حداثته انطباعاً عميقاً دفعني لأن اعتبره احد أربعة ضباط ينتظرهم مستقبل لامـع ، ممن سمحت لي الظروف بمقابلتهم خلال فترة اقامتي في فرنسا — ولقد عاش ثلاثة من هؤلاء الاربعة بعد ذلك ، ووصلوا الى أعلى المراتب في الجيش الفرنسي . وغـدا اندريه بوفر ، في آخر سنة من سنوات الحرب العالمية الثانية ، رئيساً لشعبة العمليات في اركان الجيش الفرنسي الأول .

وقابلته ثانية في عام ١٩٥٠ ، وكان معاونـاً لرئيس الاركان العامة للقوات البرية في اوربا الغربية . ثم ذهب بعد ذلك الى الشرق الاقصى ، وعمل مساعداً للمارشال دولاتردو تاسيني القائد العام للقوات الفرنسية في الهند الصينية، وعندما

عاد الى اوربا عُيِّن رئيساً لهيئة الدراسات التكتيكية التابعة لقوات الحلفاء . ولقد زرته في مقر قيادته في بادنونياهر عدة مرات ، فلاحظت خلال زياراتي المتعددة الجهد الذي يبذله لتجديد الافكار ووضع الدراسات اللازمة للرد على أي غزو سوفييتي محتمل لألمانيا الغربية .

ثم استلم بعد ذلك قيادة فرقة المشاة الآلية الثانية ، وطبق فيها بكل نجاح التنظيم الخماسي الجديد [1] والذي طالما طالبتُ بتطبيقه في الجيش البريطاني ، فكان الجيش الفرنسي أول جيش غربي يطبقه على سبيل التجربة .

وفي عام ١٩٥٥ أُرسل بوفر الى الجزائر ليستلم قيادة منطقة عمليات ، ثم تم اختياره بعد سنة ليقود الفيلق الفرنسي الذي اشترك في حملة قناة السويس ... ولكنه عاد بعد ذلك ليصبح رئيس الاركان العامة لقيادة حلف الاطلسي . وما لبث ان اصبح بعد سنتين ممثلاً لفرنسا في هيئة القياده الدائمة لحلف الاطلسي في واشنطن .

ومما لا شك فيه ان هذه الخبرة المتنوعة الهامة ، قدمت لهذا المفكر الالمعي والجندي الفذ ، قاعدة متينة للتفكير السليم اللازم لدراسة مبادىء الاستراتيجية وتطبيقاتها على اوضاع وعمليات حقيقية . وما ان ترك الخدمة العسكرية مبكراً ،

---

١ - التنظيم الخماسي : تعبير عسكري يقصد به تقسيم كل قطعة عسكرية الى خمس قطعات أصغر منها . وهنالك ايضاً التنظيم الثلاثي والتنظيم الرباعي . ويتصف كل واحد من هذه التنظيمات بصفات خاصة ، ويتلائم مع الوضع البشري والاقتصادي للبلاد ، وقدرتها على تزويد جيشها بالاسلحة والمعدات . ويتصف التنظيم الثلاثي بقوة صدمة خفيفة وقوات احتياطية ضعيفة لا تستطيع تحقيق استثمار النصر اذا ما تعرضت لبعض الخسائر ، ولكنه يمتاز بالخفة وسهولة القيادة والمناورة . بينما يتصف التنظيمان الرباعي والخماسي بقوة صدمة أكبر وقوات احتياطية قادرة على استثمار النصر بالعمق ، ولكنهما ثقيلان تصعب قيادتهما ولا يتمتعان بمرونة كافية ، ويشكلان هدفاً كثيفاً امام الضربات الذرية التكتيكية . وتقوم معظم الدول بتجربة كل هذه التنظيمات باستمرار لتختار منها ما يتلائم مع امكانياتها .

مع الاسف ، وهو في ذروة توقده الذهني حتى وجّه قوته الفكرية الكبيرة لانتاج هذا الكتاب محللاً موضوعاً واسع الآفاق .

انه يسمي كتابه « مدخل الى الاستراتيجية العسكرية » وفي هذه التسمية تواضع اكيد يلاحظه أي قارىء أو باحث مطلع ، لانه اكثر الابحاث الاستراتيجية التي ظهرت في هذا العصر كمالاً ودقة وتماسكاً . وهو يحتل في بعض المواضيع مكان الصدارة بالنسبة لكل ما كتب قبله ، وهذا ما يجعلني اعتقد بأنه يتمتع بجميع الشروط اللازمة ليكون كتاباً كلاسيكياً ، ونظاماً رسمياً لهذه المادة .

وقد أخالفه الرأي في بعض التفاصيل والتحليلات والقواعد ، ولكنني اتفق معه في أكثر النقاط ، وأستقبل بكل سعادة ظهور هذا الكتاب ، لانه في الحقيقة مساهمة جليلة تستحق التقدير في حقل دراسة مواضيع الحرب الهامة .

ب . ه . ليدل هارت



مدخل

يعتبر تقديم كتاب عن الاستراتيجية اليوم مغامرة أكيدة ،فالناس لا يؤمنون في ايامنا هـــذه بعبقرية الاستراتيجيين النابغين ، الذين قتلت الحروب الطاحنة المتتالية ، والثرثرات الناقدة في كل مجلس شهرتهم وحطمت الهالة المحيطة بهم ،ثم القت بهم الى مجاهل النسيان مع المظاهر الساذجة للحضارة القديمة .

وتحتاج معضلات الحرب والسلام في عصرنا الايجابي الصناعي الشعبي الى فن (تكنيك)[1] معقد يزداد مع الأيام تعقيداً ، نظراً لوجود تقدم في التقنية[2] العلمية يقوده سباق الاسلحة النووية الذي افتتحته الولايات المتحدة الامريكية ، بالاضافة الى ظهور التقنية النفسية التي استنبطها السوفييت من ثورتهم . ولقـــد تابع النــــاس استخدام كلمة الاستراتيجية ، استخداماً صحيحاً حيناً وخاطئاً احياناً ، ولكن العلم والفن الاستراتيجيين أخذا مكانهما مع الاشياء القديمة المهملة

---

١ – الفن : Technique . ويشتق البعض من ذلك كلمتي فني وتكنيكي .

٢ – التقنية: Technologie .

بين علبة عطوس فريدريك وقبعة نابوليون الشهيرة . واحتفظ كلاوزفيتز [1] – الذي لم يقرأ مؤلفاته إلا عدد قليل من الناس – ببعض المكانة والاحترام ، بفضل المديح الذي اسبغه عليـــه لينين في كتاباته والذي جعله يحتفظ ببعض المريدين والمؤيدين حتى الان .

اما عصرنا فهو عصر التمخضات لولادة احداث هامة . ومع بطء التاريـخ المهيب يجري امامنا انقلاب من أهم الانقلابات الانسانية الكبيرة منـــذ سقوط روما . وبالرغم من عدم وعي الشعوب ، الذي يساعدها لحسن حظها على اجتياز هذه التجارب المريرة الطويلة ، يحاول البعض هنـــا وهناك ان يفهموا حقيقة ما يجري حولهم والتأثير عليه وتوجيهه ، حتى ولو كانت محاولتهم متأخرة عن سير الحوادث . اما الاقتصاد الذي قدمه ماركس واعطاه الأولوية على كل شيء فقد خرج من الكهف حيث كان ينام وبدأ يصبح علماً – او تكنيكاً على الاقل – ذا نتائج دقيقة . ويتطور علم الاجتماع بسرعة باثاً الحياة في مجال عمله الواسع . وتجتذب معضلات الدفاع الهامة عـــدداً متزايداً من الدراسات والتحليلات التي تسعى ، وخاصة في امريكا ، الى جمع كل المعلومات اللازمة في المستقبل .ولكن وسط هذا التقدم البشري الرائع تتناقص اهمية الفكرة العامـة والمحرك المشترك (الفلسفة والاستراتيجية) لأنهما مادتان مهملتان عفى عليهما الزمن،رغم استعادتهما بعض اهميتهما مؤخراً .

---

١ – كارل نون كلاوزفيتز : (١٧٨٠ – ١٨٣١) جنرال بروسي ومفكر عسكري ، تعلم في الاكاديمية العسكرية ببرلين ثم غادر بروسيا وعمل مع الجيش الروسي تحت قيادة كوتوزوف ضد الجيوش الفرنسية . ثم اصبح في عام ١٨٣٠ رئيساً لأركان القيـــادة العامة للقوات البروسية المسلحة. وله عدة مؤلفات عسكرية مشهورة اهمها كتاب « في الحرب » الذي يشرح فيه عقيدته الحربية واعتمادهاعلى القوة (المعركة) للوصول الى الحل الحاسم.ولقد آمن بأفكاره من بعده جميع القادة العسكريين المؤمنين بالاستراتيجية المباشرة العنيفةوخاصة القادة الالمان، وعارضهالمفكرون العسكريون الراغبـون بالوصول الى النتائج الحاسمة باستراتيجية غير مباشرة مـــع استخدام الوسائل السياسية والدبلوماسية والاقتصادية .

ولقد اقنعتني تجربتي خلال ٤٠ سنة ، كنت فيها شاهـــداً أو صانعاً لمعظم الاحداث الهامة ، أننا فشلنا في كل مرة اختفى فيها هذان الدليلان الهامان . اذ ان انعدام الفكرة العامة او الفلسفة دفعنا للسير حسب هوى الرياح المعاديـــة ، متعرضين لانقضاض وهجمات الفلسفات الفعالة التي جابهتنا والتي اثبتت الأيام بعد ذلك انعدام قيمتها الجوهرية وضعف تماسكها . كما ان فقـــدان الاستراتيجية الصحيحة عندنا جعلنا عاجزين عن فهم مناورات العدو الرامية الى تحطيمنا ، ووجّه جهودنا دائماً نحو طريق مسدود .

منذ عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩ ، تجرأ هتلر بعد ان تحقق من عدم أهليتنا وضعف استعدادنا في مارس (آذار) ١٩٣٦ [١]، وأخذ يتقدم بوثبات متعاقبة . فتجاهلناه ، وتركناه يفعل ما يريد ، حتى وصلنا الى درجة من الضيق يصعب تحملها ، فرددنا عليه بإعلان حرب أدت الى كارثة . وكانت هـــذه الكارثة القاضية أمراً لا مفر منـــه نظراً لأن جهازنا الحربي كان مبنياً بشكل خاطىء ويعتمد على التكتيك فقط ، بالاضافة الى قدم هذا التكتيك وعـــدم ملاءمته لمتطلبات العصر[٢]. فانهارت فرنسا ، وجرّت معها اوربا الى الهاوية . ولم تنهض

---

١ - تحقق هتلر من ضعف استعداد الفرنسيين عام ١٩٣٦ عندما دفـــع بعض قطعاته في مارس (آذار) عبر نهر الراين ووجهها الى آخن وتريير وساربروكن خارقاً بذلك حياد المنطقة المنزوعة السلاح ، ومحطماً ميثاق لوكارنو . ولم يرد الفرنسيون على عمله العدواني نظراً لانشغالهم بالمنازعات الداخلية التي شلت قواهم وأشاعت في صفوفهم روح الانهزاميـــة . ويذكر يودل في شهادته في رمبورغ ان ثلاثة افواج فقط عبرت نهر الراين وان فرقة واحدة استخدمت في احتلال المنطقة كلها . بينما قدرت مخابرات الحلفاء تلك القوات بثلاث فرق . وهكذا ادى تخـــاذل الحكومة الفرنسية وتردد حليفتها بريطانيا في دعمها امـــام الحزم الالماني الى زيادة رغبات هتلر التوسعية .

٢ ــ اعتمد الفرنسيون عند بناء الجهاز الحربي على الدفاع الثابت وسط حصون قوية (خط =

اوربا من كبوتهـا من ١٩٤٢ الى ١٩٤٥ إلا بفضل الانجلو - سكسون المزودين بالفلسفة والاستراتيجية اللازمتين . وما ان تم النصر حتى بدأنا نضيّع اتجاهنا من جديد بسبب الحركة الواسعة لتصفية الاستعمار . وضاعت الهند الصينية بهزيمة التكتيكات الرائعة امام استراتيجية معادية لم نعرف كيف نقابلها باستراتيجية ملائمة. وجاءت حرب الجزائر فلم نستفد من التجربة السابقة، وكررنا اخطاءنا بعد ان اعطيناها حجماً اكبر . اما حملة قناة السويس فقـــد انفتح تكتيكها على فشل سياسي رهيب ناجم عن جهـــل مطبق لأصغر المبادىء والشروط الاستراتيجية .

انني لم اختر هنا سوى امثلة فرنسية ولو شئت لرسمت لوحات مشابهة بالنسبة لكوريا وكوبا وبرلين وحلف الاطلسي . ولدلت اللوحات جميعها على حقيقـــة هامة هي : أن الجهل بالاستراتيجية أوصلنا في اغلب الأحيان الى نتائج وخيمة حاسمة .

وأسباب هذا الجهل هامة كثيرة ، وسأحاول شرحها خـلال دراستي المقبلة هذه . والمهم هنا ان نعرف أن نفور المنتصرين في عام ١٩١٨ من الاستراتيجية عائد الى انهم لم يدرسوا الاستراتيجية كلها ، واكتفوا بدراسة استراتيجية معينة

= ماجينو) متناسين عامل الحركة، وامكانية تجاوز الخطوط الدفاعية بالقوات الجوية والقوات المحمولة جواً . كما اعتمدوا على تكتيك القتال بالمشاة المدعومة بالدبابات ، فوزعوا بذلك دباباتهم بدلاً من ان يجمعوها في قطعات ضاربة قادرة على القيام بهجمات معاكسة على الدبابات الالمانية التي تجتاز الخطوط الدفاعية وتتوغل داخل البلاد .

وكان هذا التكتيك في حد ذاته ناقصاً لا يلائم تطورات العصر لأنه لا يحقق التعاون التام بين عمل القوات البرية والقوات الجوية بعكس تكتيك المدرعات الالمـــانية التي كانت تتعـــاون بشكل رائع مع طائرات الشتوكا (القاذفات المنقضة) .

ُقدمت لهم كأنها مجمل هذا الفن ، ثم ظهر أنها خاطئة عقيمة . ودُفن « الصنم » وتجاهل الجميع أن الاتهامات الموجهة اليه والتي أدت إلى دفنه راجعة إلى اهمال انصاره وخيانتهم لمبادئه .

وليست الاستراتيجية في الحقيقة عقيدة واحدة جامدة ولكنها **اسلوب في التفكير** ، يسمح بتصنيف الأحداث حسب أهميتها ، واختيار أكثر الوسائل الملائمة فاعلية . فلكل موقف استراتيجية معينة تنسجم معه . وقد يكون اختيار هذه الاستراتيجية أو تلك صائباً في ظروف معينة وغارقاً في الخطأ في ظروف أخرى . وفي هذه الفكرة تكمن الحقيقة الاستراتيجية الاساسية .

ولا اقصد عند التحدث عن اختيار الوسائل ، الوسائل العسكرية فقط ، فكل أمرىء يعرف اليوم كيف غدت الحرب شاملة لكل مظاهر الحياة البشرية ، وكيف تجري في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية . حتى ان الحرب الباردة التي كنت أدعوها في عام ١٩٣٩ « سلام ـ حرب » (١) فقد اصبحت حرباً شاملة تتصف بالعنف والسعة . وهكذا نستطيع ان نقول ان لا استراتيجية اليوم سوى الاستراتيجية الشاملة . الأمر الذي يظهر بكل وضوح وشدة مشكلة العلاقات بين السياسة والاستراتيجية ، ويسمح بفهم المجال الخاص لكل منهما بشكل أفضل . وينتج عن ذلك ايضاً ان الاستراتيجية لم تعد وقفاً على العسكريين ، بل اصبحت فناً يزاوله الجميع . وانني احبذ هذا الأمر وأرى فيه كل المزايا ، لان فقدان الاستراتيجية لصفتها السرية والاختصاصية يجعلها علماً كالعلوم الاخرى ، ويدفعها لان تغدو كما كان يجب ان تكون دائماً وتصبح جسماً تتجمع فيه المعلومات وتتزايد مع الاجيال غنىً وثروة ، بدلاً من ان تكون

---

١ - « سلام ــ حرب أو استراتيجية هتلر » مجلة Revue des Deux Mondes في ١٥ اغسطس (آب) ١٩٣٩ .

(حاشية المؤلف)

اكتشافاً مستمراً صدفياً للتجارب الجارية امامنا .

ان عصرنا عصر بالغ التعقيد، ويسيطر الانسان المعاصر المتمدن سيطرة كبيرة على الطبيعة لدرجة تجعله يحجم عن متابعة سيره بناء على التجربة الفردية والتحسس المستمر للطريق ، كما فعلنا ذلك أمداً طويلاً . لقد كانت الحرب في الماضي لعبة الملوك والامراء ، ولكنها اليوم عمل كبير يحمل في طياتـه الكثير من الاخطار الجسيمة . وحضارتنا ، كما قال ريمون آرون ، بحاجة إلى علم الممارسة (الفعل) Praxéologie الذي يمكنها ويدفعهـــا إلى أن تلعب دوراً رئيسياً في حساب القرارات اللازمة وانضاجها لتقييم سياسة ما . وهذا هو الهدف الذي يجب ان تسعى اليه كل دراسة استراتيجية ، وهذا ما حاولت جاهداً بلوغه .

وقد يستغرب البعض خروجي عن العادة المتبعة في هذا النوع من المؤلفات وابتعادي عن سرد الشروح التاريخية في كتابي ، واكتفائي عن العودة إلى أمثلة الماضي بذكر اسم قائد أو اسم حرب أو معركة . ولكنني فعلت ذلك عمداً ، لأنني أردت اعادة جميع الأمور إلى الأصل ، أي إلى الافكار. ولأنني اؤمن ،مع شيء من الاعتدال ، بفكرة فاليري[1] القائلة بامكانية استخدام الطريقة التاريخية لتبرير معظم الأعمال والتصرفات والاستنتاجات . ومع ايمـــاني العميق بأهمية العوامل النفسية والمعنوية فقد امتنعت عن الاستناد بصورة مطولة إلى الدراسات التي غدت اليوم كلاسيكية ، مثل دراسات كلاوزفيتز وفوش[2] حول الصفة

---

١ – بول فاليري (١٨٧١ – ١٩٤٥) شاعر وكاتب وفيلسوف فرنسي ، ينظر الى تجربة التاريخ بحذر ويعتبر ان التاريخ خطر لأنه « يسكر الشعوب... ويدفعها الى الاحلام ... ويقدم ذكريات خاطئة .. ويقودها الى الغرور والشعور بالعظمة » وفكرته عن التاريخ مخالفة لفكرة هيجل الذي يرى «ان التـــاريخ هو التعبير عن العقلانية » و « ان التاريخ هو الفكر عنـــدما يتجسد » .

٢ – فيرديناند فوش (١٨٥١ – ١٩٢٩) مارشال فرنسا وبريطانيا وبولونيا ، وبطل من ابطال الحرب العالمية الاولى في المارن والفلاندر والسوم . اصبح في عام ١٩١٨ قائداً عاماً لجيوش الحلفاء وقاد هذه الجيوش الى النصر .

النفسية للحرب . لقد حاولت ان أبحث ، في هذه الظاهرة العنيفة ـ الحرب ـ ، عن قواعد حسابية ،لان من الضروري اجراء دراسة عقلانية للعوامل اللاعقلانية التي تلعب فيها دوراً هاماً .

ولكن تعقيد الموضوع وتشابكه لم يسمحا لي بأظهار الافكار الضرورية لعمل منطقي بشكل واضح . فان رأى البعض في عملي هذا محاولة أولية لم تأخذ كل ابعادها ، فانني آمل ان يكون هذا الكتاب الجريء حافزاً يدفع الآخرين لتقديم دراسات اخرى ، قادرة على بعث استراتيجية جديدة خالدة يحتاجها عصرنا.



الفَصْلُ الاوّل

عمومّيات الاستراتيجيّة

لقد كان جوردان[1] يقول النثر من حيث لا يدري ، وكثيرون مثل جوردان يمارسون الاستراتيجية وهم لا يعلمون . ولكن ممارسة الاستراتيجية بشكل ملائم أصعب بكثير من كتابة النثر الجيد، خاصة وان حقائق وخبايا كلمة الاستراتيجية خافية مجهولة غالباً رغم ترددها على السنة الكثيرين . ان هذه الكلمة بلا شك من أكثر التعابير الشائعة التي يتداولها الناس وهم يجهلون معناها الحقيقي .

وأسباب هذا الجهل عديدة ، وأهمها أن الاستراتيجية كانت لفترة طويلة من الزمن علم وفن كبار القادة ، ولم تكن تشغل إلا اهتمام حفنة صغيرة من الناس. ثم انتقلت معرفتها من جيل إلى جيل بشكل سري مغلق عن طريق الأمثلة التي قدمها القادة المشهورون في كل جيل ، وكأنها «مهارة» يتناقلها معلمو حرفة من الحرف. وكان تطور الحرب بطيئاً فظهرت هذه الطريقة المعتمدة على التجربة وتلمس الطريق كافية ومُرضية ، رغم ان الحرب أكثر تعقيداً من هندسة البناء مثلاً .

---

١ – يشير الكاتب هنا الى جوردان الشخصية الرئيسية لمسرحية البورجوازي النبيل الفكاهية التي سخر بها موليير من الطبقة البورجوازية في عهد لويس الرابع عشر .

ثم جاءت مراحل التطور المتعاقبة ، وظهرت « مهارة المعلم » التقليدية غير كافية ، وأظهرت قيادة العمليات وجود معضلات يتعذر حلها . وأدى هـــذا الافلاس إلى طرح المعضلة الاستراتيجية علنـاً أمام جميع النخبة المثقفة لا أمام الأمير والمارشال فقط . ونجم عن ذلك في كل مرحلة من المراحل ظهور حركة فكرية خاصة بالاستراتيجية التي كان مفهومهـا يختلط دائماً مع عبقرية العصر . ولقد بحث عصر النهضة في مؤلفات فيجيس [1] وكتابات المؤرخين القدامى عن أسرار الحروب آنذاك ، ثم جاء القرن الثـــامن عشر فاستنبط من العقل المجرّد أسلوباً في التفكير طبقه نابوليون بشكل رائع ، أما القرن التاسع عشر فكان يقف مشدوهاً امام انتصارات نابليون السابقة ، ويعتقد أن في طياتها حل جميع معضلاته ، ثم بنى بفضل كلاوزفيتز نظرية فلسفية اجتماعية كبيرة تقف في وسط الطريق بين كانت وكارل ماركس ،وتشابه في تفسيراتها النفسية والعاطفية شكل حروب القرن العشرين .

ومع هذا أصاب الاستراتيجية في القرن العشرين ، قرن التغيرات الجذرية الكبيرة انحسار خطير في منعطف هـــام من منعطفات التاريخ ، واعتبر ثبات الجبهة [2] في عـــام ١٩١٤ – ١٩١٨ « افلاساً للاستراتيجية » بينما لم يكن في

---

١ – فيجيس Végéce : كاتب لاتيني ، ظهر في نهاية القرن الرابع، ومؤلفه المشهور هو «دراسة عن الفن العسكري ».

١ – بدأت الحرب بهجمات كاسحة تعتمد على قصف كثيف بالمدفعية ، وبعد عـــدة اسابيع انتصر الدفاع على الهجوم ، وانقلبت هـــذه الهجمات الى دفاع يزحف فيه الرجال وسط شبكات الاسلاك الشائكة والوحل . وفقدت الجيوش عنصر التوقع والمبادهة . وانتهت حرب الحركة ، وغدت الحرب حرب خنادق طويلة ثابتة لا يستطيـع الرجال تركها إلا للقيام بهجوم محلي محدود بعد رمي تمهيد طويل بالمدفعية . ولكن الهجمات المحلية لم تكن تؤدي الى أية نتيجة حاسمة، ١) لأن الهجوم الوحشي بنيران المدفعية كان يدمر الطرق والمسالك والسكك الحديديـــة على مسرح العمليات ويمنع المهاجم من استخدامها في منطقة ما بعد احتلالها . و ٢) لانعدام المفاجأة بعد=

الحقيقة سوى افلاس استراتيجية معينة . وظهرت الاستراتيجية في فرنسا (التي كان لها في ذلك الوقت تأثير عالمي كبير) كعلم زال أوانه ، ووسيلة من وسائل الحرب لا تتلاءم مع التطور الذي يفضل العتاد على الأفكار ، ويقـدم القوة على المناورة ، والصناعة والعلم على الفلسفة . وأدى هذا الموقف الواقعي في ظاهره الى اعتبار « الاستراتيجيين » جماعة متخلفة مغرورة ، وتركيز الجهود على تحسين العتاد والتكتيك ، في وقت كانت سرعة التطور فيه بحاجة الى نظرة عامة فعالة كبيرة الأبعاد لا يمكن أن تنجم إلا عن الاستراتيجية .

وكانت هزيمة فرنسا عسكرياً، وانتصار المانيا انتصاراً مبتوراً. وتعود هذه الهزيمة وذلك النصر الى تقديرات خاطئة ضيقة الأفق ... ثم ادى انهيار مركز أوربا العالمي بعد ذلك الى ظهور عملاقين عالميين كبيرين هما الولايات المتحـــدة الامريكية والاتحـــاد السوفييتي [٢] . وتطورت العلاقات بين هذين العملاقين

= قصف يدوم من ٧ الى ٢١ يوماً ، واسراع القوات الاحتياطية المدافعة الى مكان الخرق المتوقع لإيقاف تقدم العدو .

لقد افلست الاستراتيجية بعد ثبات الجبهة لأنها غدت تابعاً للتكتيك بدلاً من أن تكون الموجه الرئيسي له.

١ – تأثرت أوربا في الحربين العالميتين تأثراً بالغاً ، اذ اصابها تدمير مادي كبير. وتعرضت انظمتها المالية والاقتصادية والاجتماعيـة لهزات رهيبة . وفقدت ملايين عديدة من خيرة شبابها وبددت ثروات هائلة لا تحصى. وأدت هاتان الحربان الى انهيار معظم الدول الأوربية ، واختفاء بعضها ، وانخفاض مستوى البعض الآخر انخفاضاً جعلها دولاً من الدرجة الثانية بعد ان كانت من أولى دول العالم. اما الإتحاد السوفييتي فلقد استفاد من الحربين العالميتين رغم الخسائر الفادحة التي تكبدها بالأموال والارواح ، اذ ساعدت الحرب العالميـــة الأولى على اندلاع ثورة اكتوبر البلشفية وتحطيم روسيا القيصرية وخلق أول دولة اشتراكيه في العالم ، بينما دفعت الحرب العالمية الثانية عجلة الانتاج والتقدم الاقتصاديين (رغم الخسائر) وزادت من سرعة البحث العلمي –

وتوترت الى درجة رهيبة حتى وصلت الى المجابهة الذرية ،وجعلت مشاكل الحرب والسلام تحتل المكان الأول من اهتمام العالم، وتتعقد لدرجة يتعذر حلها . ويعلل البعض هذا الموقف متهمين السلاح الذري ومعتبرين وجوده سبباً أساسياً من أسباب الأزمة، متناسين انفقدان الفكرة العامة هو الذي يمنع الانسان من توقع التطور والسيطرة عليه .

ويحاول السوفييت الخروج من هذا الموقف عن طريق التحليل الماركسي . ولقد وضعوا منذ أيام ستالين نظرية الحرب الشاملة ذات الطابع الاجتماعي ، والتي قد لا تستطيع الصمود أمام التقدم التقني . بينما يندفع الامريكيون تحت لواء كلاوزفيتز بكل حمية وحماس في حل سلسلة من المشكلات التقنية بدوافع تكتيكية . وجذبت أهمية الموضوع انتباه أوساط المثقفين الميالين ، حسب اتجاهات العصر العلمية، الى البحث عن الحلول على أسس تحليلية دقيقة .ولم يمض وقت طويل حتى أصبح لكل جامعة امريكية مؤسسة للأبحاث والدراسات مجهزة أحسن تجهيز . وظهرت اكداس الكتب والمؤلفات مشكلة بناء مجرداً معقداً لدرجة سكولاستيكية [1] وتنبثق من هذا البناء ما بين آونة وأخرى

— (ذرة – فضاء) وزادت المد الاشتراكي في العالم ، وفتحت أمامه آفاقاً جديدة بعد أن كان محصوراً داخل حدود الاتحاد السوفييتي . وجعلت من الاتحاد السوفييتي دولة كبرى لا يقف على مستواها سوى الولايات المتحدة الامريكية التي استغلت الحربين العالميتين اقتصادياً لتلبية طلبات دول الحلفاء من الاسلحة . واستفادت فائدة كبيرة دون أن تتعرض لجميع أهوال هاتين الحربين وكوارثهما فحققت بذلك سيطرتها المالية والاقتصادية على دول اوربا الغربية، واحتلت معظم اسواقها المالية ، حتى أصبح الاقتصاد الأوربي برمته تابعاً لسيطرة بيوت الاموال الامريكية ، وسيطرت الولايات المتحدة الامريكية على جميع قوات الحلف الأطلسي في أوربا الغربية، حتى شقت فرنسا تحت زعامة ديغول عصا الطاعة وانسحبت من هذا الحلف .

١ – سكولاستيكي : مدرسي ، يتبع فلسفة القرون الوسطى المدرسية التي لا تقبل الحوار أو التطور والمقصود بالكلمة هنا « فلسفي جامد » .

بعض العناصر الهامة لاستراتيجية عامة يحتاجها عصرنا . ولم تدخل هذه الحركة الفكرية إلى أوربا إلا بقسط ضئيل ، ويكتفي الأوربيون عادة بقراءات غير جدية مع اقتباس تام للمصطلحات والمعدات الأمريكية ، نظراً لاعتقادهم حتى الآن بتفوق المعدات على الافكار . ورغم محاولات ريمون آرون في فرنسا وليدل هارت في انجلترا فان الاستراتيجية لم تدخل بعد إلى ضميم الرأي العام ، كما أنها بعيدة عن الدخول في الوسط العسكري نفسه ، حيث لا يزال العسكريون يفكرون بالتقنية والتكتيك .

ولكن أهمية الخطر الذري ، والنتائج السيئة لمعارك الفرنسيين في الهند الصينية ومصر والجزائر ، تدفع إلى الاحساس بشكل واضح أو غامض بضرورة فهم جميع الظواهر المتعلقة بالحرب فهماً أفضل ، وبأهمية بعث الاستراتيجية التي حكم عليها بالاعدام في عام ١٩١٥ .

تحليل الاستراتيجية

تعريف الاستراتيجية :

ما هي الاستراتيجية ؟ اذا ما انطلقنا من المفهوم الماضي للاستراتيجية العسكرية وجدنا أن الاستراتيجية هي فن استخدام القوى العسكرية للوصول إلى نتائج حددتها السياسة . ولقد كتب ليدل هارت [١] في عام ١٩٢٩ هذا

---

١ – يعرف ليدل هارت الاستراتيجية في الفصل التاسع عشر من كتاب « الاستراتيجية وتاريخها في العالم » (تعريب الهيثم الأيوبي ومنشورات دار الطليعة ، ١٩٦٧) بما يلي : « الاستراتيجية هي فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة » .

التعريف الذي لا يكاد يبتعد عن أقوال كلاوزفيتز . ثم جاء ريمون آرون في كتابه الأخير وأخذه بشكل حرفي تقريباً [١] .

وهذا التعريف في رأيي تعريف ضيق لأنه لا يتعلق إلا بالقوى العسكرية . واني أفضل صياغته كما يلي : الاستراتيجية هي فن استخدام **القوة** للوصول إلى أهداف السياسة . ويحمل هـــذا التعريف في طياته عيباً هو أنه يتعلق بالفن العسكري عامة ، لذا يفضل تقسيم هـذا الفن إلى استراتيجية وتكتيك ، مع اضافة قسم جديد ظهر في الآونة الاخيرةوهو الشئون الادارية (اللوجيستيكية) Logistique . فما هي الاستراتيجية إذن مـــا دامت مختلفة عن التكتيك والشؤون الادارية (اللوجيستيكية) ؟ ان التكتيك عبارة عن فن استخدام الأسلحة في المعركة للوصول إلى المردود الأقصى . أمـــا الشؤون الادارية (اللوجيستيكية) فهي علم الحركة والتموين ، وكلاهما متعلق « بتحقيق التعاون المتبادل بين العوامل المادية » ويتصفان بصفات علمية واقعية تجعلها مشابهين لفن الهندسة .

فاذا عدنا إلى اقوال نابوليون ، حسب نص أورده لويد الذي كان يضع « الجزء الالهي » لكل موقف مقابل « التعاون المتبادل بين العوامل المادية » وجدنا أن الاستراتيجية هي « الجزء الالهي » وقد يندفع البعض أكثر من ذلك ويعتبرونها لمعة من لمعات العبقرية ، وما العبقرية في الحقيقة إلا صبراً طويل الأمد . وسواء

---

١ ــ يقول ريمون آرون في الفصل الأول من كتاب « السلم والحرب بين الأمـــم » ما يلي : « فلنقل ان الاستراتيجية هي قيادة وتوجيه مجمل العمليات العسكرية . أما الدبلوماسية فهي توجيه العلاقات مع الدول الأخرى . على ان تكون الاستراتيجيـــة والدبلوماسية تابعتين للسياسة » .

أكانت الاستراتيجية الهية أم لا ، فإن من الضروري خضوعها للفكر والعقل . فما هي إذن ما دامت لا تدخل في نطاق الأمور المادية أو السياسية ؟ .

انني أعتقد أن روح الاستراتيجية كامنة كما قال فوش في اللعبة المجردّة الناجمة عن تعارض ارادتين . انها الفن الذي يسمح ، بعيداً عن كل تقنية ، بالسيطرة على معضلات كل صراع ، حتى يسمح باستخدام التقنية بأقصى فاعلية ممكنة . أنها إذن فن حوار القوى أو بالأحرى فن حوار الارادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها .

وقد يبدو هذا التعريف مجرداً جداً ، وعاماً لا يتمتع بقسط كاف من الدقة ولكن علينا أن نضع الاستراتيجية على هذا المستوى اذا شئنا فهم آلية تفكيرها، والقوانين الكامنة في داخلها .

هدف الاستراتيجية :

فاذا ما اقتربنا من مهمة فحص هدف الاستراتيجية ، رأينا فائدة هـذا التعريف بكل وضوح .

يمكننا أن نقول إن هـدف الاستراتيجية هو الوصول إلى الأهداف التي حددتها السياسة ، مع استخدام الوسائل المتوفرة لدينا أفضل استخدام . وقـد تكون هذه الأهداف هجومية (احتلال أرض ، اجبار الخصم على قبول بعض الشروط المجحفة) أو دفاعية (حماية أرض الوطن، الذود عن مصلحة من مصالح الأمة) أو انها تتوجه إلى الوضع السياسي الراهن فقط . ونحن نرى أن مبادىء كلاوزفيتز «كالحل الحاسم عن طريق الانتصار بالمعركة» مثلاً لا تنطبق على جميع هذه الأهداف . كما أننا نرى على العكس أن القانون الوحيد الذي يضمها جميعاً هو القانون الذي يهتم بروح النتيجة الحاسمة التي نبحث عنها ، مبتعداً عن ذكر

الوسيلة اللازمة للوصول الى هذه النتيجة . وما هذه النتيجة سوى قبول الخصم للشروط المفروضة عليه . والنتيجة الحاسمة في حوار الارادات حدث نفسي نريد وقوعه عند العـدو ليدفعه الى الاقتناع بأن الاشتباك أو متابعة الصراع أمر غير مجدٍ .

ويمكن الوصول الى هذه النتيجة بالنصر العسكري ، ولكن ليس هذا النصر ضرورياً دائماً، وهو في بعض الحالات صعب أو غير ممكن (كما كانت حالة محاولة اخماد الثورة الجزائرية) بينما تستطيع بعض الوسائل الأخرى الوصول الى نتيجة فعالة . فإذا ما أرجعنا المعضلة الى مناخها الحقيقي ، وهو نفسية العدو ، غـدا بأمكاننا تقدير العوامل الحاسمة بشكل صحيح . وهكذا نجد أنفسنا في آن واحـد وسط نوع من التفكير يشمل النصر العسكري ، كما يشمل استراتيجية الردع النووي الحديثة .

عندما قام لينين بتحليل كلاوزفيتز ، قدم في تحليله مبدأ ذاع صيته يعترف بأهمية العامل النفسي في الوصول الى النتيجة الحاسمة . ويقول هذا المبدأ بضرورة « تأجيل العمليات الى ان يسمح لنا تفكك العدو المعنوي بتوجيه الضربة القاضية إليه بسهولة » . ولكنه كان يفكر كثوري ، ولا يهتم إلا بالعمل السياسي الذي يقوم بدور رمى تمهيد المدفعية [1] من نوع معنوي . وكان كلامه مناقضاً لفكرة كلاوزفيتز العسكرية التي ترى تحطيم معنويات العدو بواسطة النصر العسكري . ويبدو القانون العام لي كما يلي : يتم الوصول الى النتيجة الحاسمة بخلق واستغلال

---

١ ــ رمى التمهيد : تعبير عسكري يقصد به اجراء الرمايات بالمدفعية أو الطيران على خطوط العدو الدفاعية ومراكز تجمعـه وطرق مواصلاته قبل الهجوم بغيـة تدميرها مادياً وزعزعتها معنوياً .

وضع يؤدي الى تفتت معنويات الخصم بشكل كاف يجبره على قبول الشروط المفروضة عليه .

وهنا تكمن كما نرى الفكرة الأساسية لحوار الارادات .

وسائل الاستراتيجية :

تسمح دراسة وسائل الاستراتيجية بإيضاح افكارها بشكل أفضل . وتملك الاستراتيجية للوصول إلى النتيجة الحاسمة مجموعة من الوسائل المادية والمعنوية تبدأ بالقصف النووي وتنتهي بالدعاية والاتفاقيات التجارية . والفن هنا في اختيار وسيلة أو أكثر من هذهالوسائل المتوفرة وتأمين توافق عملها للوصول إلى الهدف المعنوي بشكل يخلق التأثير النفسي المطلوب لدى الخصم .

ويتعلق اختيار الوسائل بمقارنة نقاطالعدو الحساسة مع امكانياتناالحقيقية. لذا يجب تحليل التأثير المعنوي الحاسم ، ومعرفة **من هو العدو المطلوب قهره ؟** اننا نعرف أن علينا اقناع حكومة العدو ، كما نعرف أن من الاسهل في بعض الحالات العمل والتأثير مباشرة على الزعماء مثل (تشمبرلين في بادجودسبرج أو ميونيخ)[1] مع استخدام الحجج التي تؤثر عليهم ، أو التأثير بشكل غير

---

١ ــ عندما تصاعدت الأزمة الالمانية - التشيكية عام ١٩٣٨ طلب تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا مقابلة هتلر فوراً . وتم اللقاء يوم ١٥ سبتمبر (ايلول) في برخستفادن ، وأثر هتلر على تشمبرلين في هذا اللقاء وأقنعه بضرورة ضم السوديت لألمانيا . ولما كانت روسيا وبريطانيا وفرنسا تريد تجنب الحرب أسرع تشمبرلين ليضغط مع الفرنسيين على الحكومة التشيكية لإجبارها على ضم السوديت لالمانيا دون استفتاء . وعندما وافقت تشيكوسلوفاكيا مجبرة هرع تشمبرلين الى بادجودسبرج حيث التقى بهتلر في ٢٢ - ٢٣ سبتمبر (أيلول) وأعلمه

مباشر على هذا الجزء أو ذاك من الرأي العام الذي يستطيع الضغط على الحكومة نفسها ، أو التأثير على حكومة محالفة لها نفوذ كبير لدى حكومة الأعداء ، أو على هيئة الأمم المتحدة نفسهـــا . فان كان سبب النزاع بسيطاً أدت الضغوط مهمتها ، أما إذا كان السبب هاماً فان اللجوء إلى العنف ضرورة لا بـد منها . واختيار الوسائل في هذه الحالة ايضاً عملية هامـــة لأن من الواجب اختيار ما يتلاءم تماماً مع امكانيات الصديق ، ونقاط ضعف العدو . فعندما يكون النصر العسكري الكلاسيكي مثلاً بعيد المنال كثير الاخطار، يستحسن اختيار وسيلة أخرى تعتمد على ثورة تجتذب انظار العـــالم وتجبره على التدخل (كما حصل في السوديت قبل ميونيخ)[1] أو القيام بعمل ثوري كاف لتغيير الحكومة (كماحصل في براغ عام ١٩٥٠) أو اجراء سياسي مدعوم (كالعقوبات الاقتصادية الموجهة ضد ايطاليـــا في عام ١٩٣٥) أو الاندفاع في حرب عصابات طويلة مصحوبة بضغوط عالمية (كحرب التحرير الفيتنامية أو الجزائرية). **ما هي الاعمال الممكنة التي تؤثر بصورة نهائية على معنويات قادة العدو ؟**.واذا كان العمل العسكري

– بنجاح مساعيه ولكن هتلر أثر على رئيس الوزراء العجوز الباحث عن السلام وأجبره على على قبول تنازلات جديدة رفضها التشيكيون. وامام ارتفاع حمى الازمة واحتمال نشوب حرب عالمية حضر تشمبرلين الى ميونيخ وقابل هتلر بصحبة رئيس الوزراء الفرنسي ديلادييه في ٢٩ – ٣٠ سبتمبر (ايلول) . واستطاع هتلر في هـــذا الاجتماع التأثير عليهما واخضاعهما لشروطه التي قبلاها ترضية لهتلر وحفاظاً على السلم.

١ – أنشئت الجمهورية التشيكوسلوفاكية في عام ١٩١٨ من قوميات مختلفة ، وكان من بينها ٣,٥ مليون ألماني يعيشون في السوديت . ولقد تغلغلت النازية في صفوف الألمان بالسوديت منذ عام ١٩٣٣ وأصبح للحزب النازي نفوذ واسع هناك . ولما أراد هتلر ضم السوديت لألمانيا أوعز للنازيين بالقيام بالثورة في ١٩٣٨ ، فلما قامت الحكومة بسحق ثورتهم هـــدد بالتدخل العسكري لحماية الرعايا الألمان وتخليصهم من الارهاب (حسب قوله) فوقعت الازمة الالمـــانية – التشيكية الشهيرة التي كادت ان تؤدي الى حرب عالمية ، والتي تم حلها في ميونيـخ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٨ بعد ان تنازلت تشيكوسلوفاكيا عن السوديت ومناطق أخرى لالمانيا .

ضرورياً فما هو هدفه ؟ وهل يجب عليه « تدمير القوات المسلحة المعادية» حسب رأي كلاوزفيتز ؟ وهل هذا أمر ممكن ؟ وإذا لم يكن ممكناً فهل يكفي النجاح المحلي (كحرب القرم في عام ١٨٥٤) [١] وأين يجب أن يتم هذا النجاح . وما هي القوات المسلحة التي يجب استخدامها ، وفي أية منطقة جغرافية لتكون النتيجة حاسمة (البحرية والطيران في انجلترا والجيش البري في فرنسا ... الخ) هل يجب احتلال عاصمة العدو أم أن احتلالها عمل زائد بلا جدوى ؟ وهل يكفي التهديد بتدميرها للضغط على العدو واجباره على التسليم ؟ ... الخ . فاذا ما دفعنا التحليل بعمق أكبر استطعنا تحديد وسائلنا القادرة على تحقيق النتيجة الحاسمة المطلوبة .

انشاء المخطط الاستراتيجي :

وعندها يصبح من الممكن انشاء المخطط الاستراتيجي ، وهذا عمل يتعلق بجوار الارادات . وعلينا أن نتوقع ردود فعل العدو المحتملة أمام كل فعل نقوم به ، واتخاذ التدابير اللازمة لصد كل رد فعل منها. وقد تكون ردود الفعل عالمية أو وطنية ، معنوية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية . ومن الضروري تأمين توافق أفعالنا المتعاقبة مع امكانياتنا داخل ترتيب قادر على متابعة تنفيذ المخطط

---

١ – حرب القرم :

١٨٥٤ – ١٨٥٦ وهي الحرب التي قامت للسيطرة على جنوب شرق أوربا ووقفت فيها انجلترا وفرنسا وتركيا وسردينيا « بيدمونت» ضد روسيا ، وقد وصف تولستوي بعض مراحلها في الكثير من كتاباته وعلى الأخص في روايته « الحرب والسلم » – عن كتاب رواد الاستراتيجية الحديثة – ترجمة الاميرالاي أ . ح محمد عبدالفتاح ابراهيم (منشورات مكتبة النهضة المصرية). ويضرب المثل دوماً بهذه الحرب لأنها تعتبر صراعاً مدنياً دولياً عظيماً على حد تعبير النقابي جورج سوريل (١٨٤٧ – ١٩٢٢) . كما كانت في غالبيتها حرب حصار المواقع المحصنة .

رغم مقاومات العدو . فاذا كان المخطط جيد التركيب أمكن تجنب الثغرات التي قد تؤدي إلى مفاجآت سيئة ، وتنظم المناورة الاستراتيجية الرامية إلى الاحتفاظ بحرية العمل بحيث تكون قادرة على مجابهة « المفاجآت السيئة » . وعليها أن تتوقع بكل وضوح تعاقب الاحداث المؤدية إلى النتيجة الحاسمة - ولا بد لي من أن أقول هنا بأن مخططاتنا لم تكن كذلك في عام ١٨٧٠ أو ١٩٣٩ أو في فيتنام أو الجزائر . -

ويزداد حوار الخصمين تعقيداً بوجود المضمون الدولي لكل صراع . وقد يكون لوزن الحلفاء أو ضغط المحايدين تأثير حاسم هام (كما في حملة قناة السويس عام ١٩٥٦) ولقد خسرت المانيا حربين عالميتين لأنها لم تفهم ذلك واستقطبت نحوها عداء بريطانيا (عند اجتياح بلجيكا) وعداء الولايات المتحدة الأمريكية (عندما أعلنت حرب الغواصات) [1] . ويشكل التقدير الصحيح لحرية العمل وارتباطها بالوضع الدولي عاملاً رئيسياً من عوامل الاستراتيجية ، ويزيد من قيمة هذا العامل وجود القوة الذرية التي قوّت علاقات الشعوب وارتباطها ببعضها .

---

١ - والحقيقة ان العداء البريطاني ضد المانيا عداء اقتصادي سابق عميق الجذور . ولم يقم الفرنسيون والانجليز بمحاربة هتلر إلا عندما رأوا ان التطور الاقتصادي الالماني يسير بخطوات حثيثة محاولاً اجتياح الأسواق العالمية . كما ان الولايات المتحدة الأمريكية لم تدخل الحرب رداً على حرب الغواصات ، انما دخلتها لتحطيم دولة الرايخ الثالث التي رأت فيها منافساً أوربياً قوياً جديداً ، والحصول على مكاسب مالية وصناعية كبيرة ، ووراثة اوربا المتمزقة اقتصادياً واحتلال اسواقها العالمية. وما اجتياح بلجيكا ، وحرب الغواصات وغيرها من الاحداث ، سوى الأسباب الظاهرية القريبة ، والحجج اللازمة أمام الجماهير لتبرير اندلاع شرارة الحرب ، تلك اللعبة التي يخطط لها الاقتصاديون والسياسيون قبل مدة طويلة ، ثم يلعبها العسكريون في الوقت المحدد .

نماذج استراتيجية :

وهكذا يوضع المخطط الاستراتيجي حسب وسائل الخصمين النسبية ،وأهمية سبب النزاع . ولهذا المخطط عدة نماذج أهمها :

١ – اذا كانت الوسائل قوية جداً (أو كان اندلاع الصدام المتوقع يؤدي حتماً الى استخدام امكانيات شعوب حليفة قوية) وكان سبب النزاع صغيراً ، فان مجرد التهديد والتلويح بهذه الوسائل كافٍ لاجبار الخصم على قبول الشروط المفروضة عليه ، أو على التخلي عن محاولاته وتطلعاته على نطاق واسع نظراً لوجود سلاح ذري تعتمد عليه استراتيجية الردع .

٢ – اذا كان سبب النزاع صغيراً ، والامكانيات محدودة لا تكفي لتحقيق تهديد حاسم ، فان البحث عن النتيجة الحاسمة يتم عبر أعمال خداع ومخاتله سياسية ودبلوماسية واقتصادية . ولقد استخدم هذا النوع من الضغط غير المباشر بشكل واسع في الاستراتيجيتين الهتلرية والسوفييتية ولم يتم استخدامه من قبلهما بسبب نقص وسائلهما العنيفة بل بفضل الردع الناجم عن تهديد مباشر قوي وجهته اليهما القوى المعادية . وتتلائم هذه الاستراتيجية مع الحالات التي يكون فيها حقل حرية العمل العنيف محدوداً .

٣ – اذا كان حقل حرية العمل العنيف محدوداً ، والوسائل محدودة أيضاً ، ولكن الهدف كبير ، تم الوصول إلى النتيجة الحاسمة بسلسلة من الأعمال المتعاقبة بقوات محدودة وعمليات محلية ،مع تأمين توافق الضغط المباشر والضغط غير المباشر ان لزم الأمر . ولقد طبق هتلر اسلوب الأعمال المتعاقبة بكل نجاح من عام ١٩٣٥ إلى عام ١٩٣٩ . ولكنه لم ينجح إلا عندما كان هدف النزاع

صغيراً قليل الأهمية . وعندما بدأت عملية « القضم »[1] .. تهدد أهدافاً حيوية هامة انفتح الصراع الصغير على الحرب العالمية الثانية . كما طبقت بريطانيا غالباً ، نظراً لوضعها الجغرافي كجزيرة ، استراتيجية التقرب غير المباشر التي شرحها ليدل هارت[2] بشكل واضح ، وتلائم هــذه الاستراتيجية الشعوب القوية دفاعياً (أو المحمية بموانع طبيعية) والراغبة بالوصول إلى نتائج كبيرة بصورة متدرجة دون أن تستخدم وسائل كبيرة في العمليات الهجومية . ولقد كانت الحروب الأوروبية في القرن الثامن عشر غالبــاً على شكل تقرب غير مباشر وبأعمال متعاقبة ، نظراً لأن الوسائل المستخدمة فيها كانت محدودة نسبياً .

٤ – اذا كان حقل حرية العمل العنيف كبــيراً ، ولكن الوسائل المتوفرة ضعيفة لا تكفي للحصول على نتيجة عسكرية حاسمــة ، أمكن اللجوء الى استراتيجية صراع طويل الأمد ، يرمي الى اتعاب العدو وانهاكه معنوياً . وقد تكون الوسائل المستخدمة بدائيــة ولكن أساليب استخدامها (حرب شاملة

---

١ – بدأت عملية « القضم » الالمانية في عام ١٩٣٥ عندما استعادت منطقة السار الغنية بالفحم بعد استفتاء أيد فيه (٤٧٧) ألفا العودة لألمانيا وعارض (٤٨) ألفاً هذه العودة . وتلت ذلك عملية اجتياح الرين عام ١٣٩٦ ، وضم النمسا الى الرايخ الثالث عام ١٩٣٨ ، واحتلال السوديت عام ١٩٣٨ ، وغزو تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٩ . ولقد نفذ هتلر عمليات « القضم » كلها بفضل سلسلة من المناورات السلمية دون سفك دماء ، وتحت ستار من الدعاية البارعة التي تهــدف الى اقناع الرأي العام العالمي بشرعية أعماله ، وبمساعدة انصاره داخل البلاد ، ولتخاذل فرنسا ، وبريطانيا وخوفهما من الحرب لحماية دول كانتا قد تعهدتا بحمايتهما ، ثم تبين لهما ان ذلك يعني تعرضهما لاخطــار لا قبل لهما بها ولا تساوي مكاسبهما في هذه الدول . ولمـا وصلت عملية « القضم » الى بولونيا اضطرت الدولتان الحليفتان لدخول الحرب لإيقاف هذا التوسع الذي اضحى لا يحتمل .

٢ – شرح ليدل هارت هذه الاستراتيجية في كتابات عــدة وفضلها على استراتيجية التقرب المباشر . ثم وضحها بصورة مفصلة في كتابه « الاستراتيجية وتاريخهــا في العالم » تعريب الهيثم الأيوبي ، منشورات دار الطليعة – بيروت) .

تعتمد على حرب عصابات عامة في كل مكان) تجبر العدو على بذل جهـــد أكبر بكثير من أن يستطيع تحمله الى ما لا نهاية . ويستخدم هذا النوع من الصراع الشامل ، الذي يتصف بطول أمده وضعف حدته في حروب التحرير ، ويؤدي غالباً الى نتائج ناجحة . ويعتبر ماوتسي تونج منظّره الأساسي . وتتطلب هذه الاستراتيجية قوى معنوية هائلة يملكها الحزب الرائد الذي يأخذ المبادهة بالبدء بها ، كما تتطلب اندفاعاً حماسياً هائلاً وتلاحماً كبيراً لا يقبل الشك داخل صفوف الشعب وفي قلب الروح الوطنية . وهي تلائم حروب التحرير ، ولكنها لا تؤدي الى النصر والنجاح إلا اذا كانت قيمة الهدف الذي يتم الصراع من أجله متفاوتة بالنسبة للخصمين تفاوتاً صارخاً (حالة حروب التحرير) أو كانت تستفيد من تدخلات مسلحة تقليدية (حـالة حروب التحرير في أوربا من ١٩٤٤ الى ١٩٤٥ وفي أسبانيـا من ١٨١٣ الى ١٨١٤) "[1] وتكون في هـــذه الحالة

---

١ – عمل الانصار (١٩٤٤ - ١٩٤٥) وراء خطوط الجيش الألماني في الاتحاد السوفييتي وهددوا مواصلاته وساعدوا على نجاح الهجمات الروسية الكبيرة . كما قام الانصار في يوغوسلافيا وبولونيا وألبانيا وتشيكوسلوفيا ورومانيا والمجر وفرنسا بأعمال جبارة بطولية لعرقلة مواصلات القوات الالمانية وتهديدمؤخراتها واغتيال بعض عناصرها، رغم عمليات القمع والارهاب وموجات الاعتقالات . الأمر الذي ساعد قوات الحلفاء على التقدم لتحرير أوربا . وكان عمل الانصار في الاتحاد السوفييتي وبلاد اوربا الشرقية مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بعمل القوات السوفييتية ويشكل جزء من الخطة الاستراتيجية السوفييتية . اما عمل الانصار في فرنسا فكان على ارتباط بخطـة الحلفاء الغربيين الاستراتيجية .

كما لعب الأنصار في أسبانيا (١٨١٣ — ١٨١٤) دوراً خطـيراً في انهاك جيوش نابوليون حتى سميت العمليات في اسبانيـــا (القرحة الاسبانية) واضطرت فرنسا الى اشغال قوات كبيرة كانت بأمس الحاجة اليها للعمليات في النمسا . وكان عمل الانصار في هذه الحرب مرتبطاً مع عمل قوات الحملة البريطانية الصغيرة التي عملت في اسبانيا بقيادة ويلنغتون .

ويمكن ان ندخل في باب هذه العمليات حالة لورانس، الذي عمل في الحرب العالمية الأولى مع القبائل العربية الثائرة ضد الحكم العثماني في الحجاز وفلسطين وجنوبي سوريا ، بالتعاون التام مع القوات البريطانية المتقدمة من مصر الى سوريا عبر فلسطين ، تحت قيادة اللنبي .

عملية مساعدة لها .

٥ - إذا كانت الوسائل العسكرية المتوفرة قوية بشكل كافٍ تم البحث عن النتيجـــة الحاسمة بالعمل العسكري على شكل صراع عنيف قصير الأمد ان أمكن . وقد يكفي تدمـير القوى المعادية على أرض المعركة اذا كان سبب الصراع غـــير حيوي بالنسبة للخصم ، والا فان احتلال كل أو بعض أراضيه كافٍ لتجسيد الهزيمة مادياً أمـــام أعين الشعب حتى يقبل الشروط المفروضة عليه [١] . ومن الطبيعي أن وجود أنصار ومؤيدين وسط صفوف الأعـــداء يُسهل مهمة تحطيم المعنويات بشكل كبير ويساعد على النصر ، وهذا ما وقع أثناء انتصارات الثورة الفرنسية ونابوليون [٢] . وقد يلعب هؤلاء المؤيدون دوراً هاماً

---

١ - الواقع ان احتلال جزء من الأرض لا يكفي لتجسيد الهزيمة الكاملة ، اذا استطاعت الدولة التي احتلت ارضها استعادة توازنها وإعادة تشكيل قواتها المسلحة بسرعة . فاحتلال جزء من أرض الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية لم يجسد الهزيمة الكاملة .

٢ - وجدت افكار الثورة الفرنسية أنصاراً من المتحررين في كل البـــلاد المجاورة . وكان هؤلاء الأنصار يتعاطفون مع أفكار الثورة بالحرية والمساواة والأخاء ، ويرون فيها منقذاً لهم من الحكومات الاوتوقراطية المهيمنة على بلادهم . لذا حصل الجيش الفرنسي « جيش المواطنين » على مساعدات مادية ومعنوية في جميع معارك فترة الثورة . واستمرت هذه المساعدة خلال حروب نابوليون الاولى عندما كان الأوربيون المتحررون يرون في هذا القائد العسكري تجسيداً جديداً للثورة . ولما انكشفت حقيقة مخططات الامبراطور بعد ذلك فقد أنصاره . ويمكن مقارنة تأثير الثورة الفرنسية على انصارها المتحررين في الدول المحيطة بهام مع تأثير الاشتراكية على أنصارها المؤيدين لمبادئها في بلاد العالم .

في مساعدة العمليات العسكرية . ويتلاءم هذا النوع من الصراع العنيف الرامي إلى النصر العسكري مع استراتيجية نابوليون الكلاسيكية ، ومُنظّرها الأساسي كلاوزفيتز - الذي تعرضت أفكاره إلى كثير من التشويه وسوء الفهم من قبل اتباعه وتلاميذه ومفسريه المندفعين المتحمسين . ولقد سيطرت هذه الأفكار الاستراتيجية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . واعتبرها البعض – خطأً – الاستراتيجية الوحيدة الصحيحة ، فأدى ذلك إلى الحربين العالميتين ١٩١٤ - ١٩١٨ و ١٩٣٩ – ١٩٤٥ اللتان كشفتا حدود أفكار كلاوزفيتز ونابوليون ، وأثبتتا أنه لا يتم الوصول الى النتيجة الحاسمة دائماً بعمليات مشابهة للعمليات الجراحية ، إلا إذا كانت الامكانيات العسكرية الواقعية تسمح بتحقيق نصر عسكري كامل سريع . ولا يمكن تحقيق هذا الشرط – كما سنرى عند دراسة استراتيجية العمليات – إلا في لحظات تطور التكتيك أو العمليات . أما في الفترات الفاصلة بين هذه اللحظات الملائمة فإن استراتيجية كلاوزفيتز تضع أمام المهاجم في صراع عسكري عنيف خصوماً يستعيدون توازنهم بعد الضربة الأولى ، ويقفون أمامه بعناد (مرحلة ثبات الجبهة في نهاية عام ١٩١٤ ، وعجز النصر الألماني عام ١٩٤٠ في القارة الاوربية عن اجتياز المانش واندفاعه في معركة يائسة ضد روسيا [١]) ولا تأتي النتيجة الحاسمة في مثل هذه الحالات إلا بعد مرحلة انهاك متبادل طويل الأمد لا يتلائم مع أهمية الهدف.

---

١ – هذا الوضع يشبه الى حد بعيد الوضع الذي وصلت اليه القوات الاسرائيلية على قناة السويس (الضفة الشرقية) ، وعلى الجبهة الجنوبية الغربية في سوريا ، وحدود نهر الأردن (الضفة الغربية) في الاردن ، اذ وصلت فيه القوات الاسرائيلية الى ذروة الهجوم أو ما يسمى بنقطة الذروة لهجومها ، إلا ان القوات العربية استعادت توازنها بسرعة بعد الضربة الأولى وشكلت قوة رادعة موجودة على الجانب الآخر تمنع أي امتداد عدواني جديد ، وتستعد للمعركة القادمة .

وتكون النتيجة خروج المنتصر والمهزوم من الصراع منهوكي القوى. ولقد انطبق هذا القول على نابوليون بسبب عجزه عن حل المعضلات الانجليزيـــة الروسية ، ولكن كلاوزفيتز وانصاره كانوا مبهورين بانتصارات الامبراطور لدرجة عجزوا معها عن رؤية حدود هذه الانتصارات ، فارتكبوا خطيئة فكرية كلفت أوربا خسارة مكان الصدارة في العالم .

استنتاجات :

وتدل النماذج الخمسة التي ذكرناهـــا على أمثلة استراتيجية واقعية ، ولكنها لا تقدم تصنيفاً كاملاً دقيقاً لمختلف أنواع الاستراتيجية .

وهي تفيدنا بأنها تظهر مختلف الحلول التي يجب على الاستراتيجية ان تختار أحدها . وهذا ما يسمح بفهم صفات التفكير الاستراتيجي وتنوعه . ويعتمد التفكير التكتيكي والاداري (اللوجيستيكي) بصورة تامة تقريباً على منهجيـة تهدف الى تطبيق الأساليب العسكرية المادية بشكل ملائم للوصول الى النتيجة المطلوبة ، ويأخذ التفكير السياسي العوامل النفسية والعقلية بعين الاعتبار ، نظراً لاضطراره الى معرفة رغبات الرأي العام وحدود الأمور التي يقبلها . بينما يحاول التفكير الاستراتيجي تأمين تلاؤم المعطيات النفسية والمادية ضمن تسلسل عقلاني مجرد . ويتطلب هذا العمل قدرة كبيرة على التحليـل والتركيب ، لأن التحليل ضروري لتجميع المعلومات اللازمة للتشخيص ، والتركيب لازم لاختيار التشخيص الملائم لكل حالة .

وتسمح هذه النماذج الخمسة بكشف خطيئة عدد كبير من الاستراتيجيين الذين تبنوا نموذجاً واحداً منها . والحقيقـــة أن كل نموذج من النماذج المذكورة يلائم

نظرية خاصة قدمها مبدعها كأنها الحل الوحيـد الأمثل ، متناسياً ان النظريات الأخرى ملائمة وجيدة ضمن اطار ظروف معينة . ولقد أدى نقص تحليـــل العوامل الاستراتيجية تحليلاً كافيـــاً الى القيام باختيار اعتباطي تقوده العادة أو الشهرة السائدتان في عصر من العصور . وخرجت الصراعات بذلك عن نطاق سيطرة الحكومات فنجم عن ذلك وقوع كوارث عالمية مريعة ... ويجتـــاز العالم اليوم أزمة تلاؤم خطـــيرة لم يعرف التاريخ مثلها من قبل ، وتؤثر القوى العلمية والصناعية والنفسية على الفن العسكري تأثيراً بالغاً ، الأمر الذي يجعل من الضروري ايجاد أسلوب تفكير يسمح لنا أن نوجه الأحداث ونقودها ، لا أن ننتظر وقوعها ونتحمل نتائجها . ومن هنا تظهر أهمية وضرورة الاستراتيجية في الوقت الحاضر .

أقسام الاستراتيجية

الاستراتيجية واحدة في هدفها وأسلوبها ، ولكنها تنقسم خـــلال التطبيق الى استراتيجيات متخصصة تصلح لحقـل خاص من حقول النزاع فقط . وعلى هذه الاستراتيجيات ان تأخذ المعطيات المادية بعين الاعتبار ، وتعي ان صفات المعطيات المادية في كل حقـــل من حقول النزاع تؤدي الى نتيجة مختلفة حسب كل حقل : فالاستراتيجية البحرية مثلاً مختلفة عن الاستراتيجية البرية .. الخ.

وهكذا نجد أنفسنا امام هرم حقيقي من الاستراتيجيات المتباينة والمترابطة مع بعضها البعض . ومن الضروري تحديدها جيداً لتأمين توافقهـــا على أحسن وجه ، داخل مجموعة اعمال تسعى للوصول الى الهدف نفسه .

وتقع « الاستراتيجية الشاملة » في قمة هذه الاستراتيجيات، وتخضع مباشرة لإرادة الحكومة – أي السياسة – وعلى هذه الاستراتيجية فهم وتحديد سير الحرب الشاملة[1]. ويتلخص دورها في تحديد المهمة الخاصة لمختلف الاستراتيجيات العامة السياسية والاقتصادية والدبلوماسية، وتأمين توافقها.

وتعتبر هذه الاستراتيجية من عمل رؤساء الحكومات المتعاونين مع رؤساء اركان الدفاع الوطني والمستشارين أو مجلس الدفاع الأعلى. ولقد رأينا في الانواع السابقة الواقعة على مستوى الاستراتيجية الشاملة ان الأهمية النسبية لمختلف حقول العمل السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية تختلف وتتبدل حسب الحلول المتخذة. والحقل العسكري هام فعلاً في النموذج الاستراتيجي رقم ٥ من النماذج المذكورة آنفاً.

ونجد في كل حقل من الحقول الثانوية استراتيجية عامة (عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو دبلوماسية) تكون مهمتها توزيع مهمات الأعمال المنفذة في مختلف فروع نشاط الحقل المدروس وتأمين توافقها. نحن نعرف أنه يوجد عملياً استراتيجية عامة عسكرية تسعى لتحقيق توافق الأعمال البرية والجوية والبحرية بأفضل الشروط. كما نعرف أنه ليس هنالك مفهوم للاستراتيجية العامة في المجال السياسي مقسم إلى (خط سياسي وعمل داخلي وعمل خارجي ودعاية) ولا في المجال الاقتصادي (انتاج وتمويل وتجارة خارجية) أو المجال الدبلوماسي.

---

١ – يبدو تعبير « الاستراتيجية الشاملة » اذا ارتبط بتعبير الحرب « الشاملة » اكثر وضوحاً من التعبير الذي يستخدمه الانجليز غالباً (وخاصة ليدل هارت) وهو « الاستراتيجية العليا » او الذي يستخدمه الامريكيون وهو « الاستراتيجية الوطنية » أما تعبير « الدفاع الوطني » فتعبير مبهم لا ينطبق على شيء ولا يفيد إلا في بلبلة الافكار.

(حاشية المؤلف)

ومع هذا تتم ممارسة الاستراتيجية في هذه المجالات كل يوم بصورة غير واعية . ولكن تنفيذ العمل بشكل غير واع يجعلنا عاجزين عن استنتاج كل ما كان بوسعنا استنتاجه من عمل مبني على أفكار منهجية ناجمة عن تفكير أكثر ترتيباً وأكمل بناء ويقوم الوزراء المسؤولون بتطبيق جميع هذه الاستراتيجيات بعد استشارة رؤساء أركانهم أو أمنائهم العامين (وكلاء الوزارات) .

وفي كل فرع من فروع النشاط الملحقة مكان لدرجة معينة من الاستراتيجية . وتظهر على هذا المستوى المعضلة بين الفكرة والتطبيق ، وبين ما يجب صنعه أو نسعى اليه ، وما تجعله الامكانيات المادية العملية ممكناً . ويسمي الألمان هذا التفصيل الهام في المجال العسكري البري « استراتيجية العمليات » وهنالك استراتيجية عمليات في كل فرع ، وتتم ممارستها بوعي حيناً وبغير وعي أحياناً . ولا تكتفي هذه الاستراتيجية بتأمين توافق الأهداف التي اختارتها الاستراتيجية العامة مع الامكانيات الفعلية التي تحددها القدرة التكتيكية أو التقنية في الفرع المطلوب . ولكنها توجه تطور التكتيكات والتقنية لملاءمتها مع متطلبات الاستراتيجية . ونستنتج من ذلك أن استراتيجية العمليات تلعب دوراً رئيسياً بقي مجهولاً حقبة طويلة من الزمن . فاذا أخذنا الاستراتيجية البرية التقليدية مثلاً وجدنا تأثر استراتيجية العمليات بالعوامل الادارية (اللوجيستيكية) والتكتيكية (حجم القوات بالنسبة لمساحة مسرح العمليات ، امكانية القيام بالحركة الاستراتيجية والتكتيكية ، القدرة الدفاعية والهجومية) التي تقود الامكانيات العسكرية الاستراتيجية ، نظراً لأن قيمتها النسبية تحدد شكل العمليات نفسها (حرب حركة أم حرب ثابتة ، حل عسكري حاسم أم حرب انهاك طويلة الأمد ... الخ) . ولكن عدم الاعتراف بأهمية وأسلوب هذه الاستراتيجية جعل ثبات الجبهة في عام ١٩١٤ وهزيمة الحلفاء في عام ١٩٤٠ مفاجأتين غير متوقعتين بينما كان من الممكن توقعهما وتجنبهما . لذا فان علينا في وقت السلم وضع استراتيجية عمليات تتضمن الحصول على تسليح يفوق تسليح

العدو المحتمل . ولهذه الاستراتيجية في العصر الذري أهمية حاسمة. ولقد أطلق عليها اسم « الاستراتيجية الادارية » أو « الاستراتيجية الوراثية [1] » . وليس علينا أن نعتبرها استراتيجية حقيقية ، أو أن ننظر اليها كمجموعة ميزانيات وبرامج مالية . ولكن علينا أن نضعها في مكانها الحقيقي من الهرم الاستراتيجي وأن نقودها بشكل فعّال ، فنحصل على الردع بأصغر ثمن .

ولا يؤدي تحليل مختلف الاستراتيجيات إلى تبسيط المشكلة ، ولكنه يظهر تعقيد الموضوع وتشابكه . وهنا لا بد لنا من أن نعترف بأن التجريد الضروري في الاستراتيجية يؤدي الى استنتاجات عملية ، وأن معرفة هذه الاستنتاجات توضح العلاقات الموجودة بين مختلف العوامل اللازمة لقيادة الحرب أو المحافظة على السلام .

مبادىء الاستراتيجية

هل تتضمن الاستراتيجية قواعد تسمح بتوجيه التفكير المؤدي إلى اختيار الحلول ؟ لقد قدمت الاستراتيجية العسكرية التقليدية في الماضي مثل هذه القواعد ، وادعت أنها تجد فيها قوانين عامة ودائمة ، تعطي الاستراتيجية ثباتاً يتناقض مع التبدلات المستمرة للأساليب التكتيكية المسايرة لتطور المعدات .

---

١ ـ استخدمنا في تعريب كلمة strategie génétique كلمة استراتيجية وراثية ، ولم نجد تعبيراً افضل من ذلك يعطي المعنى المطلوب .

ولكننا نملك الآن أسباباً عديدة تدفعنا الى الشك بثبات الاستراتيجية . ويمكننا أن نعتبر رغم هذا ، أن القواعد هي العامل الثابت لأسلوب التفكير الاستراتيجي الذي تطوره التطبيقات العملية .

ومن العسير جداً بحث هذا الموضوع الهام في عـــدة صفحات ، ولكنني سأحاول القيام بفحص أفكاره فحصاً سريعـاً ، وسنرى أن الاستنتاجات التي يمكن استنباطها من ذلك العمل محدودة جداً .

النظريـــات :

تتصف القواعد التي وضعها المؤلفون الرئيسيون باختلافهـــا وتنوعها . أما الخلاصات الناجمة عنها فما هي إلا صورة مهزوزة مختصرة لها . ولكنها تسمح مع ذلك بسرد نماذج القواعد المطروحة . وينادي كلاوزفيتز بضرورة اتباع ثلاث قواعد رئيسية وهي : تجميع القوى . وعمل القوي ضـد القوي ، والحل الحاسم عن طريق المعركة في الحقل الرئيسي على قدر الامكان وبأسلوب المعركة الدفاعية -- الهجومية . وتقع هذه القواعد في مستوى الاستراتيجية العامـة واستراتيجية العمليات العسكرية ، وهي تتلاءم مع النموذج رقم ٥ المذكور أعـــلاه . أما ليدل هارت فيقدم ست قواعد ايجابية وقاعدتين سلبيتين [١] ويمكن اختصارها

---

١ - يذكر ليدل هارت قواعده الثماني في كتاب « الاستراتيجية وتاريخها في العالم » ، الفصل ٢٠ وهي :

أ - القواعد الايجابية :

١ - مطابقة الهدف مع الامكانيات . =

جميعاً في أربع قواعد هي : اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطة التقرب غير المباشر ، والمفاجأة بالقيام بعمل غير متوقع، وعمل القوي ضد الضعيف، والبحث عن الحل الحاسم في حقول العمليات الثانوية ان أمكن. وتعود هذه القواعد الى نفس المستويات الاستراتيجية التي تعود إليها قواعد كلاوزفيتز، ولكنها تلائم النموذج الاستراتيجي رقم٣ المذكور آنفاً. ويحدد ماوتسي تونج ست قواعد: الانسحاب امام تقدم العدو «بانسحابات متجهة نحو المركز» ، والتقدم أمام العدو المتراجع واستراتيجية واحد ضد خمسة ، وتكتيك خمسة ضد واحد ، والتموين من تموينات العدو نفسه ، وضرورة وجود تلاحم تام بين الجيش والشعب . وتتعلق قواعده باستراتيجية عامة واستراتيجية عمليات عسكرية، وهي تتلائم مع النموذج الاستراتيجي رقم ٤ . . ولقد وضع لينين وستالين ثلاث قواعد رئيسية هي : تلاحم معنوي بين الشعب والجيش في حرب شاملة ، وأهمية حاسمة للمؤخرات ، وضرورة القيام باعدادات نفسية قبل البدء بالعمل العنيف . وتدخل هذه القواعد في مستوى الاستراتيجية الشاملة ، ويمكن أن تنطبق على نماذج استراتيجية متعددة . وتتلخص المدرسة الاستراتيجية الأمريكية الحديثة في قاعدتين هما :

---

٢ – عدم اضاعة الهدف ومتابعة الجهد .

٣ – اختيار الخط الأقل توقعاً .

٤ – استثمار خط المقاومة الأضعف.

٥ – أخذ خط عمليات يؤدي الى أهداف متناوبة .

٦ – المرونة في المخطط والتشكيل بحيث يتلاءمان مع الظروف .

ب – القواعد السلبية :

٧ – عدم الزج بكل الامكانيات اذا كان العدو محترساً .

٨ – عدم تجديد الهجوم على نفس الخط أو بنفس الشكل بعد فشل الهجوم السابق .

ردع متدرج ، ورد مرن [١] . وتدخل هاتان القاعدتان في حقل الاستراتيجية الشاملة ، وتتماشيان مع النموذج الاستراتيجي رقم ١ مع رغبة في الردع ومحاولة لتحديد النزاع . ولقد وضع ماهان [٢] قبل ذلك نظريتـــه المشهورة المبنية على امكانية الحصول على نتيجـــة حاسمة بفضل السيطرة البحرية . وعارضه ماكيندر [٣] الذي أعلن عن تفوق أهمية السيطرة البرية . وفي العقد الثالث

---

١ – الردع المتدرج والردالمرن :

بعد ان رأى الخبراء العسكريون احتمال فشل استراتيجية الرد الجماعي الشامل لأنها تعرض الخصمين لانتحار متبادل تبنوا نظرية الردع المتدرج والرد المرن بواسطة ردود متحولة ، ويعني ذلك عدم توسيع النزاع وتحديده، والرد على الخصم طبقاً للوضع ولتقديراتنا فمثلا ، قد يهاجمنا الخصم بقوات تقليدية ، فنرد عليه بمثل هذه القوات واذا لم يرتدع قد نستخدم ضده اسلحة ذرية تكتيكية، وقدنستخدم أيضاً اسلحة تكتيكية واستراتيجية، وقد شرحتهذه النظريةالتيوضعها الجنرال مكسويل تايلر رئيس هيئة اركان حرب القوات الأمريكية مفصلاً ، كما تبناها الرئيس كيندي ، وشرحها ليدل هارت في كتابه « الدفاع أم الهجوم الرادع » (تعريب أكرم ديري – منشورات الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة). ولقـــد وضع حلف شماليالاطلسي مؤخراً مشروع خمس سنوات للدفاع الغربي ، ضمن اطار استراتيجية « الرد المرن » ، وتعطي هـــذه الاستراتيجية مجالاً لدول لحلف للردع اي هجوم محتمل برد يبدأ من الضغط السياسي ثم يتصاعد الى الهجوم الذري .

٢ – الفريد ثاييرماهان (١٨٤٠ - ١٩١٤) ضابط بحري أمريكي ومؤرخ شرح في كتبه اهمية البحرية وتأثيرها على تاريخ الامم وأكد نظرية امكانية تحقيق السيطرة الاستراتيجية بفضل التفوق البحري ومن اشهر مؤلفاته (تأثير القوة البحرية على تاريخ اليابان) و (تأثير القوةالبحرية على الثورة الفرنسية والامبراطورية الفرنسية) وغيرها .

٣ – السير هيلفورد جون ماكيندر (١٨٦١ - ١٩٤٧) جغرافي تعـــلم في أكسفورد . أهم أعماله نظرياته في علم الـ géopolitique (سياسة الكرة الارضية) . وهو يؤمن بالتفوق البري لتحقيق السيطرة العالمية .

من القرن العشرين تنبــأ دوي[1] بامكانية الوصول إلى الحل الحاسم عن طريق السيطرة الجوية . أما المدرسة الاستراتيجية الفرنسية التقليدية التي يمثلها فوش فقد بلورت الاستراتيجية في قاعدتين مجربتين تمامـاً وهما : الاقتصاد بالقوى ، وحرية العمل. ويمكن لهاتين القاعدتين بسبب صفتهما المجردة أن تنطبقا على أي نموذج من نماذج الاستراتيجية .

الفكرة الاساسية :

وتشكل القواعد المطروحة الفكرة الأساسية للحلول الخاصة ، ولا تشكل قوانين عامة تنطبق على كل حالة. وهذا ما يفسر تباينها وتنوعها . ويمكن اعتبار أفكار فوش قواعد في حد ذاتها ، ولكنها مجرّدة بشكل يجعل من المتعذر علينا أن نستنبط منها نتائج عملية ، للوهلة الأولى على الأقل ، وهي تشكل مع ذلك اطاراً شبه كافٍ لتحليل المعضلات الاستراتيجية.

وعلينا قبل كل شيء توضيح المفاهيم التي تمثلها ، لهذا فان من المفيد العودة

---

١ – يؤكد الجنرال الايطالي جوليو دوي Douhet ان الشكل الوحيد للحرب هو (الحرب في الجو) وهو يعتبر ان الهجمات الجوية بتجمعات كبيرة من قاذفات القنابل على المراكز الصناعية والسياسية الرئيسية للعدو تؤدي الى تحقيق النصر في فترة قصيرة دون استخدام جيوش واساطيل بحرية ضخمة . ولم تتحقق نبوءته في الحرب العالمية الثانية رغم تفوق الحلفاء الجوي على المانيا ، كما فشلت نظريته في الحرب الكورية . ويحاول الأمريكيون اليوم تطبيقها ضــد فيتنام الشمالية بوحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا ولكن صمود الشعب الفيتنامي يؤكد فشل النظرية في تحطيم حرب شعبية تتم على ارض ملائمة .

إلى تعريفنا للاستراتيجية انهـــا « فن حوار الارادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها » . وتؤدي مبارزة الارادات إلى تعارض المخططين المتقابلين ، ويحاول كل خصم من الطرفـــين أن يصل إلى النقطة الحساسة الحاكمة في خصمه بفضل تصرفات واستعدادات رامية إلى تخويف وشل ومفاجأة العدو ... ويمكننا هنا سرد جميع الأعمال ذات الأهداف النفسية . وهكذا يمكننا أن نكتشف في كل استراتيجية عنصرين واضحين متباينين رئيسيين هما : ١) اختيار النقطة الحساسة الحاسمة الواجب بلوغها (حسب تكوين الخصم ونقاط ضعفه) . ٢) اختيـار المناورة التحضيرية الرامية إلى بلوغ هذه النقطة . ويحاول كلا الخصمين القيـام بهذا العمل ، وتتعارض مناورتاهما التحضيريتان، ثم ينتصر من يعرف كيف يمنع مناورة عدوه ويسير بمناورته إلى هدفها . وهذا ما يسميه فوش في الاستراتيجية التقليدية « المحافظة على حرية العمل » وينقلب صراع الارادات إلى صراع من أجل حرية العمل ، لأن كل واحد يحاول الاحتفاظ بها ومنعها عن الخصم .

فاذا ما كنا أقوى من العدو بمراحل ، أصبح من السهل المحافظة على حرية العمل بفضل استخدام القوى اللازمة لشل مناورة العدو ، مع الاحتفاظ بالوسائل الجاهزة اللازمة لضرب العدو ضربة حاسمة . ولكن هذه الحالة الحدّية نادرة جداً . وعلى القائد أن يعرف كيف يوزع قواته ووسائله بشكل معقول لتحقيق ما يلي : ١) الحماية ضد مناورة العدو التحضيرية . ٢) تأمـــين مناورته التحضيرية الذاتية . ٣) القيام بالعمل الحاسم . وتسمي الاستراتيجية التقليدية هذا التوزيع الامثل : **الاقتصاد بالقوى** .

وهكذا يؤدي تحليل مخطط الصراع المُصاغ بجمل مجردة الى اعادة تركيب القانون التالي: «يجب الوصول الى النقطة المعادية الحساسة الحاسمة بفضل حرية العمل التي يتم الحصول عليها باقتصاد جيد للقوى». وعلينا الآن ان نحلل هذا التركيب حتى نتمكن من استخدامه، مع البحث عن الامكانيات القادرة على تحقيق الاقتصاد بالقوى مع المحافظة على حرية العمل .

اننا نصل بذلك الى عتبة دراسة لم تؤخـذ في الماضي بشكل منهجي إلا في حالات نادرة . الأمر الذي أثر على نتائج هـــذه الدراسة وكان سبباً من اسباب المحافظة على نوع من السرية والغموض المغلق في قضاياها . ويتعلق الأمر هنـــا بتحليل مختلف الامكانيات اللازمة لتحقيق الحسم الاستراتيجي .

عناصر الحسم الاستراتيجي :

يمكننا أن نقول ان كل حل استراتيجي يتعلق « بثلاثة محاور احداثيات » وهي : **الزمان والمكان** وكمية **القوى** المادية والمعنوية الداخلة في تشكيل وضع مؤقت من الأوضاع. وهنالك عامل اضافي معقد نسميه **المناورة** التي تحدد تتابع وعلاقات الأوضاع المتعاقبة .

أ) **عامل المناورة** : ويقود هذا العامل بقية العوامل الأخرى ضمن بعض الحدود . وينجم عن حوار الصراع، وعن المبارزة المجردّة بين الخصمين. وتسمح مقارنة المناورة مع المبارزة بأن نرى عدداً من الأفعال وردود الأفعال وهي :

هجومياً : « الهجوم » عملية يمكن ان تسبقها او تلحق بها اعمال متعددة مثل : « التهديد » و« المفاجأة » و « المخاتلة » و « الخداع » و « التغلب » و « الانهاك » و « المطاردة » ومجموع هذه الأعمال اذن ثمانية .

دفاعياً : « الاحتراس » و « الصد » و « الرد » و « التخلص » و « التجنب » و « قطع التماس » ومجموعها ستة .

أما فيما يتعلق بالقوات فهناك خمسة أنواع من القرارات وهي « التجمع » و « التبعثر » و « الاقتصاد » و « الزيادة » و « الانقاص » .

وتعتبر هذه الأعمال الستة عشرة بعد اضافة اختيار الزمان والمكان اساس اللعبة الاستراتيجية. ويعطي الجدول رقم (١) التالي لكل نوع من هذه الانواع تعريفاً ذا صفة عامة يحدد الشروط التي يفترضها، ويوجز النتائج التي يمكن ان تنجم عنها. وسنرى ان كل شيء يتعلق بحرية العمل (أخذها أو استعادتها أو حرمان الخصم منها). كما سنرى أن وسيلة الحصول على حرية العمل كامنة في معرفة وسيلة الحصول على المبادهة، وهي عامل أساسي للمناورة.

جـــدول رقم (١)

تعاريف مأخوذة من المبـــارزة

العمل	تعريف	الشروط التي يتطلبها وملاحظات	النتائج المتوقعة	
الهجوم	محاولة الوصول إلى نقطة حساسة من نقاط العدو .	يجب أن تكون النقطة حاسمة جزئياً أو كليـــاً . وأن تكون الوسائل المستخدمة كافية .	نتيجة حاسمة أو أخـذ المبادهة	بغية الحصول على حرية العمل
المفاجأة	الهجوم على نقطة حساسة غير محمية .	يجب أن لا تكون النقطة محمية وان تكون حساسة بشكل كاف .	تحطيم مواقــع ومعنويات العدو وأخذ المبادهة	كالسابق

تابع جدول رقم (١)

المخاتلة	تهديد نقطة حساسة مختارة بشكل يجبر العـدو على الصد كاشفا النقطة التي ننوي الهجوم عليها .	يجب أن تكون النقطة المختارة محمية بشكل سيء وان تكون حساسة جداً بالنسبة للعدو .	اجبار العدو على كشف النقطـة الحساسة المطلوبة واخذ المبادهة .	كالسابق
الخداع	المعنى الضيق : التظاهر بتهديد نقطة حساسة ومهاجمة نقطة أخرى .	كالحالة المذكورة أعلاه . ولكن التهديد هنا لا يهدف الى اجبار العدو على الرد ولكنه يهـدف الى وضعه في حيرة دائمة .	تجهيز الظرف الملائم لاخذ المبادهة .	كالسابق
	المعنى العام : التظاهر بحالة تختلف عن الحالة الحقيقية .	ان الحيرة قد تؤدي الى خلق شعور كاذب بالطمأنينة والأمن عند العدو .	كالسابق	

تابع جدول رقم (١)

التغلب	الوصول الى نقطة حساسة رغم مقاومة العدو .	يجب أن تكون الامكانيات كافية لهذا العمل العنيف . مع استغلال المبادهة التي يتم الوصول اليها .	يهدف الى حرمان العدو من حرية العمل أو الى انهاكه	كالسابق
الانهاك	اجبار العدو على تبديد قدرته ووسائله للدفاع عن نقطه الحساسة	كالحالة المذكورة اعلاه ، ولكن سير الانهاك يكون متبادلاً .. دائماً . ولا يؤدي الى نتيجة الا اذا كانت الامكانيات متفوقة ، أو كانت نسبة الانهاك لدى العدو اكبر من نسبتها لدى الصديق .	يهدف الى حرمان العدو من احتياطياته (قدرة وسائل .. الخ) بشكل يؤدي الى حرمانه من امكانيات المبادهة .	كالسابق

تابع جدول رقم (١)

المطادرة	أخذ وضع جديد في ظروف تسمح ببلوغ نـــقاط حساسة جديدة .	تتم عندمـا يقوم الخصم بحركة تجنـب رامية لاستعادة حرية العمل الضائعة .	المحافظة على المبادهة	كالسابق
الاحتراس	اتخاذ موضع يسمح بتغطية النقـاط الحساسة في الوقـت الملائم .	يعتمد على حساب للقوى والزمن .	الأمن ضد محاولات العدو لأخذ المبادهة	كالسابق
التملص	تغيير المواضع لجر الهجوم المعـادي نحـو نقاط حساسة محمية .	امتلاك الوسائل اللازمة . ان هـذه العمليـــة تؤدي الى تبدل اتجـــاه الصراع .	اعادة تحقيق الأمن والحيطة	كالسابق

تابع جدول رقم (١)

الصدّ	حماية نقطة حساسة مهاجمة	يجب ان تكون الحماية فعالة ولا تجبر المدافع على كشف نقاط حساسة أخرى .	كالسابق	
الرد	الوصول الى نقطة حساسة من نقاط العدو بشكل يجبره على ايقاف هجومه .	يجب أن تكون هـذه النقطة حساسة بشكل حاسم ، أو على الأقل هامة بالنسبة للعدو .	استعادة المبادهة	) كالسابق
التجنب	وضع النقاط الحساسة المعرضة للهجوم بعيداً عن متناول العدو .	يجب ان يجبر هـذا العمل العدو على اخذ تشكيلات جديـدة ، على ان لا يضطر المدافع الى كشف نقاط حساسة أخرى .	اعادة تحقيق الأمن والحيطة .	} كالسابق

تابع جدول رقم (١)

قطع التماس	القيام بتجنب عام يترك للعدو هدفاً محدوداً .	على أن لا يكون الهدف المتروك للعدو هاماً وحاسماً .	اعادة تحقيق الأمن والحيطة
التهديد	اتخاذ مواقف تسمح بمهاجمة نقطة حساسة من نقاط العدو .	١) يجب أن يكون لدى المهاجم الوسائل اللازمة . ٢) على أن تكون النقطة المهددة حساسة بشكل كاف .	تحديد حرية عمل العدو) كالسابق

فاذا ما نظرنا نظرة سطحية بدت لنا الاعتبارات المستعارة من المبارزة وكأنها بعيدة عن الاستراتيجية ، لا ترتبط بها إلا من بعيد. ولكن النظرة العميقة تدل على خطأ ذلك. ويقدم الجدول رقم (٢) على سبيل المثال أشكال العمل الموافق لكل وضع من هـــذه الأوضاع ، سواء أكان ذلك في الاستراتيجية العسكرية لحرب ١٩٣٩–١٩٤٥ أم في استراتيجية الردع النووية الحالية. ويمكن عمل جدول مماثل من أجل الاستراتيجية الشاملة ، والاستراتيجية «غير المباشرة» ، أو من أجـــل الاستراتيجية المالية والدبلوماسية والسياسة. وسنرى فيه مثلاً أن استراتيجية الردع السوفييتية المبنية على الصواريخ عابرة القـارات هي المعادل الاستراتيجي لمعركة الآردين في عام ١٩٤٤ [١] وأن تطوير السلاح الذري التكتيكي هو المعادل لمعركة الحلفاء البحرية في البحر الأبيض المتوسط ١٩٤٣ – ١٩٤٤ [٢] أما تعبير الحيطة،

---

١ – جرى في الحرب العالمية الثانية هجومان هامان في منطقة الآردين على الحدود الفرنسية البلجيكية، وهي منطقة وعرة كان الاستراتيجيون التقليديون يعتبرونها غير صالحة لتقدم قطعات مدرعة كبيرة وتم الهجوم الأول في مايو (ايار) ١٩٤٠ بالقوات المدرعة التابعة لمجموعة جيوش الجنرال فون رونشتدت المؤلفة من خمس فرق دبابات و ٤ فرق مصفحة تحت قيادة فون كليست. وكان رأس حربتها فيلق جودريان المؤلف من ٣ فرق مدرعة (منها فرقـــة يقودها رومل) . واخترقت المدرعات دفاعات الفرنسيين في هذه المنطقة وعبرت نهر الموز ، ثم اتجهت نحو البحر فهددت بذلك مؤخرات قوات الحلفاء الموجودة في بلجيكا واجبرتها على الاستسلام او الانسحاب. وتم الهجوم الثاني في ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٤ وكان هدفه ردع الحلفاء واحباط استعداداتهم الرامية الى غزو ألمانيا. وكان على الجيش الخامس المدرع بقيادة مانتوفل اختراق الجبهة الامريكية في الاردن وعبور نهر الموز ثم الانعطاف الى الشمال باتجاه انفرس ، كما كان على الجيش السادس المدرع بقيادة سيب ديتيريك التقدم نحو مؤخرات الجيوش الانجليزية والامريكية الموجودة في اقصى الشمال وعمل سد استراتيجي خلفها. ولقد نجح هذا الهجوم المضاد الرادع ، وخرق خطوط الامريكيين ولكنه لم يعبر نهر الموز ولم يصل الى نتيجة حاسمة استراتيجيـــة نظراً لنقص الوقود وتدخل طيران الحلفاء ولعدم قدرة الألمان المادية على توسيع الجيب الذي فتحوه توسيعـــاً كافياً .

٢ – يقصد المؤلف من هذا التعبير ان المعركة البحرية التي قام بها الحلفاء في عام ١٩٤٣ – ٤٤ والتي استهدفت ضرب الاسطول الايطالي والالماني في البحر الابيض المتوسط ، وتطهير هذا البحر وجعله ، تحت سيطرة الحلفاء التامة ، ان هذه المعركة هي المعادل لتطوير السلاح الذري التكتيكي أو ان تطوير السلاح الذري هو المعادل لهذه المعركة البحرية .

المبني بصورة تقليدية على قوات موزعة بشكل ملائم فانه يغدو في استراتيجية الردع سبقاً على تقدم العدو العلمي . كما أن حرية العمل التي كانت تنجم في السابق عن المبادهة ، فانها تتعلق في استراتيجية الردع بالتفوق بالقوى المنتجة (حيطة) وبامكانية البقاء ، وبعـــدم التأكد من امكانية التصاعد بالأزمات إلى أقصى الدرجات (التهديد) .

ومعرفة مثل هذه المعادلات هامة جداً،لانها تدخل في ادارة الاستراتيجية فهماً واعياً للمناورة التي تدور ، وامكانيات ردود الفعل الواجب توقعها .

جدول رقم (٢)

مايعادله في الاستراتيجية العمل العسكرية ١٩٣٩ – ١٩٤٥	ما يعادله في استراتيجية الردع	
	تعريف	امثلة
• عملية أوفر لورد [١] الهجوم عام ١٩٤٤ • عملية الآردين عام ١٩٤٠	تحقيق تقدم تقني يجعل جهاز الأمن والحيطة عند العدو بلا فاعلية.	الاسلحة النووية الحرارية الأمريكية ثم السوفييتية. برنامج الصواريخ السوفييتية في كوبا عام ١٩٦٢ .
• الهجوم الالماني في الآردين عام ١٩٤٤. • انزال الحلفاء في شمال افريقيا [٢].	تحقيق تقدم علمي يتجاوز توقعات العدو المفاجأة	الصواريخ السوفييتية القنابل الذرية والنووية الحرارية السوفييتية .

---

١ – أوفر لورد : Overlord : الاسم الرمزي لعملية غزو الحلفاء لفرنسا (٦ يونيو – حزيران – ١٩٤٤) .

٢ – في نوفمبر (تشرين ثاني) عام ١٩٤٢ قام ٨٥٠ مركباً منها ٣٥٠ مركبا حربياً بانزال –

تابع الجدول رقم (٢)

المخاتلة الهجوم الألماني في هولندا عام١٩٤٠ [١]	تحقيق تقدم علمي يجبر العدو على الدخول في سباق تقني مع هذا التقدم ، في الوقت الذي تسير فيه الأبحاث العلمية الحقيقية في اتجاه آخر .	قاذفات القنابل السوفييتية عام ١٩٥٥

= قوات الحلفاء في مراكش وتونس (بالتعاون مع بعض قادة المواقع العسكرية الفرنسيين المتعاطفين مع فرنسا الحرة) بغية خلق قوة حليفة تتجه من الجزائر نحو تونس لتضرب مؤخرات القوات الالمانية التي كانت تدافع ضد تقدم الجيش البريطاني نحو تونس. وكان هذا الانزال مفاجأة لم يتوقعها الالمان الذين كانوا ينتظرون نزول الحلفاء على الشواطىء المراكشية على المحيط الأطلسي ومع هذا فقد ردوا عليها بسرعة بأن ارسلوا بعد ٣ أيام من الانزال قوات جديدة من اوروبا الى تونس .

١ ـ في يوم ١٠ مايو (ايار) ١٩٤٠ قام الطيران الألماني بغارات مفاجئة على المدن الهولندية، وتقدمت القوات الالمانية البرية وخرقت الحدود لتلتقي مع القوات المحمولة جواً التي نزلت بقيادة شتودنت وراء الموانع المائية وعلى الجسور وفوق الدفاعات ففاجأت بذلك القوات الهولندية ، ومنعتها من نسف الجسور وسمحت للقوات البرية بالعبور بكل سهولة .

تابع الجدول رقم (٢)

الخداع	تهديد الحلفاء لبولوني في عام ١٩٤٤ قبل الانـــزال في النورماندي[1] .	اقناع العدو بمساعينا لاجراء تقـدم علمي معين، أو اخفاء التقدم العلمي الذي تم الوصول اليـه .	الفضـــاء
التغلب	معارك النورماندي وسان لو[2] والعلمين	سبق العدو بالتفوق عليه في المجال الذي يبذل فيه جهده .	زيادة سقف ، وسرعة الطائرات الأمريكية عام ١٩٥٥ .
الانهاك	● الفردان ١٩١٦[3]	اجبار العدو على القيام	جميع أنواع التنافس

---

١ - استطاع الحلفاء خداع الألمان ومنعهم من تحديد مكان الانزال الحقيقي في النورماندي ، بأن حشدوا قوات مزيفة كبيرة في كنت وسكس مقابل بولوني على مضيق كاليه ، وهو أقرب مسافة بحرية بين انجلترا وفرنسا ، وقاموا بغارات جوية كثيفة على المنطقة ، وضاعفوا من طلعات الاستكشاف الجوي فوقها .

٢ - سان لو : ان معارك النورماندي وسان لو (مدينة جنوب شربورغ) مثال للمعارك التي تزج فيها قوات هائلة بقصد التغلب على العدو وقهره. وفي سان لو جرت عملية من اقوى العمليات التي قام بها الحلفاء لشق جبهة العدو وتكبيده خسائر فادحة في الارواح والعتاد ، وفتح الطريق امام قوات الانزال لاجتياح فرنسا والمانيا .

٣ - الفردان : في نهاية الحرب العالمية الأولى ، كان الألمان يقفون موقف الدفاع باستثناء =

الانهاك	● ستالينغراد والحرب على الجبهة الروسية[1]. ● القصف الجوي الحليف في ألمانيا[2]	بمصروفات هائلة وأكبر من مصروفاتنا في حقل التسابق العلمي أو العسكري .	والسباق التكنولوجي.

=معركة فردان التي كانت هجوماً مباشراً يهدف الى«استنزاف» العدو وانهاكه حتى يؤدي هذا الانهاك الى الموت بفضل سلسلة كبيرة من الوخزات الحلية . ولكن الانهاك كان متبادلاً وادى الى اضعاف القوات الألمانية بشكل كبير .

١ — كانت ستالينغراد (فولغا جراد) معركة انهاك لكلا الطرفين المتحاربين اذ دافعت حامية المدينة عنها بيتاً بيتاً ، وتعرضت لخسائر فادحة بتأثير هجمات المدرعات والطائرات، حتى أصبحت المدينة ركاماً . ولم تسقط المدينة – كما أعلن هتلر في سبتمبر ١٩٤٢ — بل دافعت طيلة خريف وشتاء ١٩٤٢ —١٩٤٣ واستنزفت قطعات المانية كثيرة ، واستطاعت القوات السوفييتية في الهجوم الذي شنته بين ١٩ و ٣٠ نوفمبر (تشرين ثاني) أسر خمس فرق وتدمير سبع فرق أخرى وهكذا كانت معركة ستالينغراد نقطة تحول في تاريخ الحرب.

٢ ـ قام الطيران الامريكي بمساعدة الطيران البريطاني بغارات جوية استراتيجية على المانيا في سنوات الحرب الإخيرة بغية تدمير المصانع الحربيـة (وخاصة مصانع الطائرات) وانهاك الاقتصاد ، وتدمير قواعد الغواصات ، وشل المواصلات ، وتحطيم معنويات الشعب الالماني . ولقد سقط فوق ألمانيا من أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤٣ حتى ينـاير (كانون ثاني) ١٩٤٥ ٣٤٠٠٧١،٧٢٥ قنبلة طائرات،فقتل من جراء ذلك١٧٦٠٩٩١ شخصاً، وجرح ٣٠٤،٥٣٦ شخصاً ، وتدمرت ٣٠٠٠٠٠٠ عمارة كما اصيبت ٣٥٠٠،٠٠٠ اخرى عمارة بأضرار جسيمة .

تابع الجدول رقم (٢)

● المطاردة التي قام بها الألمان في فرنسا عام ١٩٤٠ [١]	استثمار تفوق مـــا للحصول على ميزة سياسية جزئية .	التغطيـة السوفيتية لمصر وكوبا .
معركة ليبيا ذهاباً واياباً [٢] .		عملية الانزال في لبنان

= ويبلغ وزن القنابل التي ألقاها الانجليز على المانيا منذ بداية الحرب الى نهايتها مليون طن ووزن القنابل التي ألقاها الأمريكيون مليونين ونصف مليون طن. وبالرغم من كثافة هذه الغارات الجوية وجسامة الخسائر الناجمة عنهـــا ، فانها لم تتوصل الى نتيجة حاسمة ، ولكنها أدت الى الانهاك وساعدت العمليات البرية في الوصول الى النصر .

١ ـ عندما اخترقت القوات المدرعة الالمانية دفاع الفرنسيين في الآردين ، لم تنتظر قوات المشاة ، بل تابعت تقدمها نحو البحر مطاردة فلول جيوش الحلفاء المنسحبة ، ولم تلاقِ خـــلال تقدمها مقاومات جدية ولم تقف الا عند دنكرك حيث انتهت المطاردة بأسر مليـــون رجل . وبانسحاب ٢٢٤ الف جندي بريطاني و ١١٤ الفاً من جنود الحلفاء عبر البحر الى بريطانيا.

٢ ـ تمت سلسلة من عمليات المطاردة في شمال افريقيا خلال الحرب العالمية الثانية وكانت الأولى عندما انتصر قوات اوكونور على جيش غرازياني قرب سيدي براني في ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٠ وطاردت فلوله واحتلت بنغازي واتجهت نحو طرابلس . اما الثانية فكانت بعد هجوم رومل في مارس (آذار) ١٩٤١ وانتصاره على القوات البريطانية ومطاردتها ٢٠٠ كيلو متراً حتى حدود مصر . وكانت المطاردة الثالثة مطاردة رومل لقوات الجيش الثامن بعـــد انتصاره في معركة الغزالة مايو (ايار) ١٩٤٢ واندفاعه بسرعة من طبرق الى العلمين. وتمت المطاردة الرابعة بعد انتصار الحلفاء في العلمين اوكتوبر (تشرين اول) ١٩٤٢ وانسحاب الالمان باتجاه العقيلة لمسافة ٧٠٠ كيلو متر .

الصد	● معركة النورماندي من الناحية الالمانية	تنظيم جهاز الأمن والحيطة بفضل تدخلات أو اختراعات .	خط الغواصات الذرية حاملة الصواريخ بولاريس وتدعيم الدروع الدفاعية
الرد	● معركة الآردين من الناحية الالمانية عام ١٩٤٤ .	الرد على تقدم ما بتقدم مماثل يزعزع قيمة جهاز الأمن والحيطة المعادي .	رد الامريكيين على برنامج الصواريخ السوفييتية في كوبا عام ١٩٦٢ .
التجنب	انسحاب الالمان نحو اللورين بعد معركة النورماندي .		
قطع التماس	الهدنة في فرنسا عام ١٩٤٠ .	اتفاق تسلح أو انسحاب سياسي لتحاشي الانهيار التام .	التصرف السوفييتي في أزمة كوبا عام ١٩٦٢ .

تابع جدول رقم (٢)

الاحتراس	الدفاع عن بريطانيا عام ١٩٤٠ [1]	التقدم العلمي على العدو	السباق التكنولوجي وجمع المعلومات .
التملص	الحرب البحرية في البحر الابيض المتوسط لعزل رومل في ليبيا .	تحقيق تقدم يجبر العدو على تعديل ترتيبه ومواضعه الهجومية .	الاسلحة الذرية التكتيكية
التهديد	التهديد بانزال قوات .. الحلفاء في	اتخاذ موقف يمكن أن يؤدي الى تصاعد	القوة الضاربة الفرنسية والاسلحة الذرية

١ - بعد سقوط فرنسا عام ١٩٤٠ أصبحت بريطانيا الهدف التالي لهتلر ، وأعدت خطة « أسد البحر » لغزو بريطانيا بحراً وجواً . ولكن صعوبة العملية ، وضعف البحرية الألمانية ، واقتناع هتلر بامكانية تدمير بريطانيا جواً أوقف العملية .وفي خلال ذلك استطاعت بريطانيا تجميع قواتها وتحضير دفاع جدي عن الجزر وتعزيز الدفاع الجوي ، وجمع بعض القوات البحرية لصد أي انزال . وكانت الاستعدادات الدفاعية البريطانية كلها نوعاً من الاحتراس .

تابع جدول رقم (٢)

فرنسا حتى عـــام ١٩٤٤ [٢]	التوتر الى ذروته	التكتيكية وتكتيك حفظ البقاء .

٢ - يعتبر الحلفاء ان التهديد بانزال بحري في فرنسا قد اجبر المانيا على تشتيت قواتها وعدم توجيه كل انتباهها الى الجبهة الروسية ، واضطرها الى الاحتفاظ بقطعات كبيرة في فرنسا .ولكن السوفييت يرون هذا الكلام مغايراً للواقع ، لأن المانيـا لم تحتفظ في فرنسا الا بعـــدد صغير من الفرق واكثرها فرق احتياطية ، بينما وجهت معظم قواتهـــا الضاربة والمدرعة نحو الجبهـــة السوفييتية .

ب)عقائد المناورة :

ويدفعنا اختيار أحد ردود الفعل الى الوقوف امام عدة عقائد متباينة مختلفة .

واسمى الأولى العقيدة « الديناميكية العقلانية » وهي التي تقدر القوى الموجودة ، وتبحث عن الحل الذي يتلائم مع المردود الأعظمي لهذه القوى . ثم يتم البحث بعد ذلك عن تجميع القوى بغية هزم الكتلة الرئيسية المعادية — الأمر الذي يؤدي الى انهيار في بقية القوى . ويتم في هذه الحالة صراع القوي ضد القوي، وتقع النتيجة الحاسمة بلا شك على مسرح العمليات الرئيسي . ويرجع أصل هذه الاستراتيجية الى نهاية القرن التاسع عشر حيث تم تكوينها بناء على نظريات كلاوزفيتز . وهي التي أوحت لفرنسا في عام ١٩١٤ بوضع المخطط ١٧ [١] .

وأسمى الثانية عقيدة « تأمين التوافق » وهي تنتبه الى العامل المعنوي

---

١ — المخطط ١٧ - وضع هذا المخطط لتعديل الخطة الفرنسية التي وضعت للدفاع عن فرنسا بعد كارثة ١٨٧٠ نظراً لأنها لا تتلائم مع الروح الفرنسية الهجومية ، ولقد أيد وضع هذا المخطط الجنرال جوفر الذي غدا رئيساً للاركان العامة الفرنسية عام ١٩١٢ . ويتلخص هذا المخطط بالهجوم العميق الجبهي على طول الجبهة الالمانية ،وعدم مهاجمة حصن ميتزوتثبيته ومتابعة الهجوم في اللورين من شماله وجنوبه . مع تقديم الجناح الايسر عبر اللوكسمبرغ البلجيكي اذا ما خرق الالمان اراض البلاد المحايدة لتطويق الجناح الالماني الايمن. ولقد طبق هذا المخطط بالاشتراك مع الانجليز في بداية الحرب العالمية الاولى ، وكان مباشراً لا يتصف بالمرونة والمناورة الأمر الذي أدى الى فشل الحلفاء في هذه المرحلة من الحرب.

للفعل الذي تقوم به . وتتطلب حلاً تكون من نتيجته : عرقلة توقعات الخصم وبلبلة أفكاره وتحطيم آماله . وقد يتطلب هذا الحل غالباً بعثرة قوى المنفذ تشتيت (جهوده) لإجبار خصمه على القيام بالعمل نفسه ، والبحث بعد ذلك عن النصر بالعمل من القوي ضد الضعيف على المسارح الثانوية أو النائية عند اللزوم . ومن أكبر أنصار هذه الاستراتيجية ليدل‌هارت الذي يقدمها كنقيضة لاستراتيجية كلاوزفيتز ، ويعتبرها تقليداً رئيسياً من التقاليد البريطانية [١] .

وهنالك عقائد أخرى زال أوانها كالعقيدة الهندسية [٢] التي نظمها البروسيون حسب النظام المائل لفريدريك الثاني ، والعقيدة الجغرافية [٣] لجوميني المستنبطة من دراسة انتصارات نابوليون .

والحقيقة أن أية عقيدة من هذه العقائد لا تشكل في حد ذاتها قيمة شاملة لا تقبل النقض . فاذا اسقطنا من حسابنا العقيدة الهندسية التي ماتت فعلاً (ولكن

---

١ ـ (حاشية المؤلف) The British Way in Warfare and Strategy

٢ ـ تتضمن العقيدة الهندسية التي أوجدها النظام المائل لفريدريك الثاني (ملك بروسيا ١٧١٢ - ١٧٨٦) السير الى المعركة بخط مائل تتمركز فيه القوات الضاربة على جناح من الأجنحة لتقوم بعمليات خرق او التفاف . وهي طريقة غير مباشرة ، تعتمد على مناورة الحركة والالتفاف الهندسي فقط دون ان تعتمد على المفاجأة المعنوية . وكان الخصم الحاذق يتحاشاها بسرعة فينقلب الهجوم غير المباشر الى هجوم مباشر كبير التكاليف .

٣ ـ تتضمن العقيدة الجغرافية التي أوجدها جوميني (الجنرال السويسري ١٧٧٩ - ١٨٦٩) بحثاً مستفيضاً عن كيفية اختيار الحركة على الخطوط الداخلية او الخارجية ، واستخدام خط العمليات الواحد او المزدوج ، وعلاقة كل ذلك بصفات الأرض الجغرافية (طبيعة الارض ، الطرقات ، النقاط الاستراتيجية .. الخ) .

هل ننسى أن العقيدة الفرنسية اخذتها في عام ١٩٣٠ ، رغم موتها ، وحاولت تطبيقها تحت شكل آخر ؟) فان كل واحدة من هذه العقائد تتفق في جوهرها مع وضع من الأوضاع وتعتبر في خلاله العقيدة الأفضل . بينما تعتبر في وضع آخر سيئة للغاية . وتتوافق « الديناميكية العقلانية » مـــع الحالة التي تكون فيها أقوى من الخصم (وهنا لا مبرر لكل هذا التبجح) أو عندما يتفرق العـدو ، المتفوق أصلاً ، تفرقاً خطيراً يضعف قواه . أما « تأمين التوافق » فيفرض نفسه إذا كنا في موقف الأضعف ، ويكون مفيداً لتحقيق التفوق شريطة تجنب التبعثر أكثر من العدو . وتلعب الجغرافيا دوراً هاماً في الاستراتيجية العسكرية عندما يكون مسرح العمليات فقيراً بالمواصلات (كما كانت أوربا في عصر نابوليون) ويشكل حقل عمل محدود جـــداً . (يشمل حقل العمل في أيامنا هذه جميع القارات والبحار) .

والاختيار الصحيح لردود الفعل عمل لا يوجهه سوى دراسة الموقف الخاص والوضع الراهن . ومن الأفضل استخدام عدة عقائد متعاقبة حسب تعاقب تطور الموقف .

ج - أنواع الاستراتيجية :

عند دراسة مخطط من مخططات العمليات يضطر الدارس الى تبني موقف عام يتلاءم مع العقيدة الصالحة في الوضع الراهن لكل الخصمين . وهكذا نعود إلى المشكلة الرئيسية المتعلقة بضرورة اختيار أحـــد « النماذج » الاستراتيجية التي ذكرناها سابقاً . ويمكن تصنيف هذه النماذج المختلفة كلها نظرياً داخل نوعـــين رئيسيين هما : **الاستراتيجية المباشرة والاستراتيجية غير المباشرة .**

وتتلاءم **الاستراتيجية المباشرة** مع النماذج ١ ، ٣ ،٥ وتعتمد في جوهرها

على فكرة البحث عن النتيجة الحاسمة أو الردع باستخدام قوةعسكرية ،معتبرة كوسيلة رئيسية، أو التلويح بهذه القوة. وهي قبل كل شيء ، نابعة من استراتيجية كلاوزفيتز ، التي تعتبر تعميماً للعقيدة المبنية على « الديناميكية العقلانية »ولقد كانت هذه العقيدة مصدر الهام للقادة العسكريين في الحرب العالمية الأولى ، والقادة الألمان والأمريكيين في الحرب العالمية الثانية . وتسود هذه الاستراتيجية اليوم من خلال المجابهة الذرية. وقد تستخدم **الاستراتيجية المباشرة** أيضاًعقيدة « تأمين التوافق » عندما يتعلق الأمر بالتقرب غير المباشر .

وتتلاءم **الاستراتيجية غير المباشرة** مع النماذج ٢ – ٣ – ٤ ، وهي مصدر الهام جميع أنواع الصراع التي لا تبحث عن الحل المباشر بصدام القوى المسلحة ولكن بوسائل غير مباشرة سياسية أو اقتصادية (في حالة الحروب الثورية) أو عسكرية مع استخدام عمليات متعاقبة تتخللها المفاوضات (كاستراتيجية هتلر ١٩٣٦ – ١٩٣٩) ولهذه الاستراتيجية شهرة كبيرة تتزايد باستمرار منذ ان أصبح التهديد بالحرب الشاملة ، حسب النموذج المباشر ، خطراً قد يؤدي الى تدمير شامل متبادل . ونظريتها في الحقيقة معقدة بالغة الدقة ، ولكن معظم نقاطها مبهمة حتى الآن ، ودورها دائم في الحرب الباردة ، وقد تكون الاستراتيجية الوحيدة التي يمكن استخدامها بعد ان شل التهديد بالخطر النووي امكانية العمل باستراتيجية مباشرة .

وتتعايش هاتان الاستراتيجيتان في الحقيقة وتتكاملان : ويحتوي الحوار العالمي الحالي حواراً ذرياً نابعاً من الاستراتيجية المباشرةالرامية إلى ابطال وشل القوى المعادية الكبيرة اقتصادياً وصناعياً بنظام ردع رهيب ، بينما يتسلل من شروخ هذا النظام أنواع متعددة من أشكال الحوار السياسي ، تسير على هدى الاستراتيجية غير المباشرة . وللاستراتيجية كالموسيقى طبقة عالية وأخرى منخفضة .

د ـ عامل التنوع :

وليس هذا كل شيء ، ان هنالك عاملا هاماً آخر في انشاء الفكرة الاستراتيجية هو تنوع الوسائل والوسط .

ان العالم يتطور بسرعة كبيرة في عصرنا ، وكل شيء في حالة تحول دائم . وامكانيات ألمانيا في عام ١٩٦٣ مختلفة عن امكانياتها في عام ١٩٣٨ مثلا . ويسير الرأي العام العالمي بتأثير عقائد ومبادىء جديدة ، وردود فعله مختلفة عن ردود فعله السابقة . وتختلف أدوات الاستراتيجية وتتبدل أيضاً بسرعة رهيبة ، فقد بطل في عام ١٩٥٠ استخدام الطائرات المصنوعة في ١٩٤٥ ، وطائرات ١٩٥٠ نفسها لم تعد صالحة للاستعمال في عام ١٩٦٠ ... الخ .

وينتج عن ذلك ان الاستراتيجي لا يستطيع الاعتماد بشكل كلي مؤكد على أي استراتيجي ممن سبقوه . فهو لا يملك أية وحدة قياس ثابتة لا يرقى اليها الشك . وعلى كل حساب ان يأخذ بعين الاعتبار قيمة حقيقية متبدلة وان يتوقع هذه القيمة في الحاضر والمستقبل ، وعلى مدى عدة سنوات . وهذا ما يخلق أمام الاستراتيجيين صعوبة كبيرة . ولا تعمل الاستراتيجية بناء على استنتاجات ثابتة موضوعية ، ولكن عليها أن تعمل معتمدة على فرضيات واحتمالات ، وان توجد الحلول الملائمة باختراعات حقيقية .

وهذه صفة من صفات الاستراتيجية بقيت مجهولة حتى السنوات الاخيرة. ويعود ذلك الى ان التقدم البشري كان بطيئاً لدرجة تدفع الى الاعتقاد بامكانية الاعتماد على التجربة الماضية فقط. وتحتفظ هذه الطريقة اليوم ببعض الامكانيات، ولكنها لم تعد كافية ابداً . ولقد توقع فاليري ذلك منذ زمن طويل .

وعلى الاستراتيجية الخاضعة للفرضيات ان تناور في الزمان ؛

كما ناورت من قبـــل في المكان . على ان لا تعمل حسب فرضيات جامدة مغامرة ، كما تريدهـــا ان تفعل بعض النظريات الامريكية الحديثة المبنية على تحليل لحساب الاحتمالات. وعليها ان تعتمد على مجموعة من الاحتمالات، وان تنظم نفسها بشكل يؤمن لها مراقبة امكانياتهـــا ، حتى تحدد في الوقت الملائم الاحتمالات المتحققة أو المتزايدة او المختفيــة . وهنا يدخل عامل المنــاورة من جديد ، أي التوقعات المضادة « للاحتمالات السيئة » ، تلك التوقعات التي تسمح بالاقتراب من التطور ما امكن .

والشيء الذي لا يخضع لقاعدة أو قياس هو الاختراع الضروري لإيجاد الحل المستقبل الملائم لموقف مستقبل محدد بواسطة معدات جديدة أو مجددة . ان على هذا الاختراع ان يحطم الروتين – القابع بكل صلابة داخل التقاليد العسكرية التقليدية المعتمدة على « الانظمة المتبعة » – كما عليه ان يدعو الى التصور وامعان الفكر بحثاً عن الحلول .

ان من الواجب اصـــلاح عاداتنا بعمق بناء على هـــذه الحقائق الاكيدة للاستراتيجية الحديثة، المتأثرة كحضارتنا بالتقدم العلمي المتبدل المجهول . وليس الحاضر مهماً في حد ذاته، فالمستقبل أهم منه . ويقاس الوقت اللازم لتحقيق أية مناورة (ايجاد معدات جديدة ، تبديل الجو النفسي، تعديل التوازن الدولي. .. الخ) بعدة سنوات . ان التحضير أهم من التنفيذ ، ولم يعـــد من المجدي صرف مليارات كثيرة لبناء جهاز وطني (دفاعي أو هجومي) لا نعرف قيمته الحقيقية في المستقبل . ولكن من الضروري جمع المعلومات وتوقع الاحتمالات .

ويتطلب الاستعلام والتوقع منا بذل اهتمام خاص وتخصيص كمية كبيرة من المصروفات لبناء أجهزة قوية للاستعلام والدراسات ، قادرة على متابعـــة الاحداث ، وتوجيه مناورة تطور القوى بقرارات محسوبة مأخـوذة في الوقت الملائم . وهنا يكمن ، في اعتقادي ، أكثر الاصلاحات اهمية وضرورة اذا شئنا

البقاء على مستوى عصرنا [1] .

وسأنهي هذا التحليل السريع بمقارنة تتصف بقليل من الخيال والمبالغة وتشبه عمل الاستراتيجي بعمل جراح يقوم باجراء عمليـة جراحية لمريض في حالة نمو دائم وسريـع جداً، دون ان يكون متأكداً من تكوين هذا المريض العضوي ، وعلى طاولة عمليات دائمة الحركة، وبأجهزة قديمة مضى على صنعها خمس سنوات على الأقل .

استنتاجات :

وهكذا يمكننا أن نرى مقدار تعقيد اللعبة الاستراتيجية. انها تتم بآن واحد وسط عدد من الاستراتيجيات التي تحتوي كل واحدة منها عدداً من الاحتمالات ، مع تأمين توافق عمل هذه الاستراتيجيات للوصول إلى النتيجة الحاسمة المطلوبة . وقد يساعد العقل الالكتروني في هذه العملية، ولكنه عاجز عن توقع امكانيات الفعل ورد الفعل لأبعد من عدة ضربات! وهذا ما يفسر عدم محاولة الاستراتيجيين عادة ادارة وتحليل الاستراتيجية بصورة « عملية » بحته . ولقد قام البعض بذلك

---

١ ـ تخصص كل دولة فرعاً خاصاً للاستعلام عن العدو وجمـع كل المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكريه عنه ، الى ان يصبح هذا الفرع قادراً بدراساته التي يمدها على التفكير حسب اسلوب العدو ، وعندما يضع القائد خطته ، يضع رئيس هذا الفرع خطة العدو على ضوء اساليبه الخاصة والعادات والتقاليد التي ألفها وكأنه هو فعلاً القائد المعادي . وهذا الفرع مهم جداً وينبغي ان يجمع أحسن المفكرين العسكريين واساتـذة في علم النفس وفي الاقتصاد وفي السياسة .

في زمن نابوليون بصورة خاصة [1] ـ نظراً لأن طبيعة العصر آنذاك كانت تسمح باقلال عدد العوامل الداخلة في الحساب بشكل كبير .

وكان عمل الاستراتيجيين عادة مقتصراً على تحديد العوامل الرئيسية المتعددة المؤثرة على الموقف وحصر مناقشته وتفكيره داخل اطارها . وهذا ما جعل من الاستراتيجية فناً لا علماً. اننا لم نر يوماً فناناً يرسم لوحاته منطلقاًمن لائحةقواعد نظرية كاملة ، انه يعود إلى القواعد أحياناً ليقارن عمله ، ولكن الأصل هو الالهام لا القاعدة .

وينطبق المثال نفسه على الاستراتيجية ، وهذا ما يفسر سبب ارتكاب عدد كبير من الأخطاء الاستراتيجية القاتلة عبر عصور التاريخ .

تطبيقات الاستراتيجية

ولقد فهم نابوليون قواعد الاستراتيجية فهماً سليماً وقال إنها « علم سهل ، ولكن المهم هو التنفيذ » وهذا يعني انه كان يهتم اهتماماً بالغاً بالتطبيق العملي للمباديء النظرية .ومما لا شك فيه أن الاستراتيجية بحاجة إلى عقل واضحورأي سديد كيما تكون القرارات سليمة دقيقة ، كما أنها بحاجة لإرادة صلبة كافية لمتابعة الجهد باتجاه الهدف المختار . ويندر أن تجتمع هذه الصفات في انسان واحد ، وهذا هو سبب قلة عدد رجال الحرب الحقيقيين الذين يحملون رجاحة عقل المفكر وقدرة الرجال الفعّالين على التنفيذ .

---

١ ـ انظر تحليل معركة عام ١٨٠٠ في ايطاليا بقلم بيير فاندريس « حساب الاحتمالات في التاريخ » .

(حاشية المؤلف)

ويطرح التنفيذ معضلة فكرية أساسية أدى تجاهلها في الماضي إلى وقوع عدد كبير من الهزائم – ومنها هزيمة فرنسا ١٩٤٠ – وأقصد بهذه المعضلة العلاقات بين الاستراتيجية والتكتيك . ان الاستراتيجية وسيلة من وسائل تنفيذ سياسة القوة، والتكتيك وسيلة من وسائل تطبيق الاستراتيجية أي أن على التكتيكات أن تتبع الاستراتيجية لا العكس .

ولكن عدة كتاب قدماء ومحدثون (ونذكر من المحدثين فولر وروجرون وتويني مثلاً) يفسرون كل تطور الاستراتيجية بالتطورات التقنية كالكردوس، والليجيون ، والمنجنيق ، والنبالة، وبارود المدافع، والبندقية سريعة الطلقات ، والرشاش ، والسكك الحديدية ، والدبابة ، والآليات ، والطيران ، والأسلحة الذرية ...الخ التي حددت خطوط التبدلات الكبيرة ، ويستنتجون من ذلك أن من الواجب توجيه جميع الجهود نحو الاختراعات التقنية الحديثة ، وخلق التكتيكات الملائمة لها ، على أن تكون الاستراتيجية التي تطبق هذه التكتيكات تابعة لها .

ويظهر هنا تناقض خطير يزداد خطره باحتوائه على جزء من الحقيقة. وهنا يجب ان نؤكد على انه جزء فقط .

والحقيقة ان التقدم التقني عامل رئيسي من عوامل القوة، ومن البديهي فهم تعذر إيقاف الدبابة بالبندقية أو اسقاط الطائرة بالسهام ... لقد سمح تفوق الرومان بالتسليح وتنظيم الليجيونات باحتلال الجزء الأكبر من العالم القديم . ومن الطبيعي ان يقدم التفوق التقني والتكتيكي ميزات كبيرة لمن يحصل عليه ، لأنه يزود الاستراتيجية بوسائل اضافية فعالة .

وقد يبدو هذا التقدم بلا جدوى اذا ما استخدم في اطار استراتيجية سيئة. وهذه نقطة أساسية لا يجب نسيانها أبداً. ولنتذكر تجربتنا الأخيرة في الجزائر

مثلاً ولنتساءل : هل سمح لنا تسليحنا وعتادنا الحديثان بالحصول على نتيجة حاسمة ؟ ان دراسة التكتيك وحدة وتقييم صفاته الذاتية واعتباره تكتيكاً جيداً أو سيئاً أمر لا يقدم ولا يؤخر ، والمهم دراسته وتقييمه بالنسبة لتكتيك الخصم . وقد يكون للدبابة والطائرة تأثير حاسم ولكن حرب العصابات اثبتت فشلها . كما ان السلاح الذري رغم خطورته لم يؤمن للولايات المتحدة في كوريا الا هدنة مبنية على حل وسط . وهذا يعني ان هنالك ما يسيطر على التكتيك وهو حسن اختيار التكتيكات . فإذا ما تم اختيار مقاومة الدبابات في حرب تقليدية بمشاة راجلة (كما حصل في عام ١٩٤٠) [١] فان الهزيمة واقعة لا محالة . ومقاومة حرب العصابات بتكتيك نقاط الاستناد الدفاعية المحصنة (كما فعل تشان كاي شيك في بعض مراحل القتال في الصين) عمل فاشل لا جدوى منه [٢] . ان اختيار التكتيكات هو الاستراتيجية ، وعلى هذه الاستراتيجية ان تحدد شكل الصراع، وهل سيكون هجومياً أم دفاعياً، يتصف

---

١ - لم تقاتل فرنسا الدبابات الالمانية بمشاة راجلة نظراً لانعدام الدبابات لديها ، اذ كان لدى الحلفاء على الجبهة الغربية ٦ فرق مدرعة مقابل ١٠ فرق مدرعة المانية . ولكن الدبابات الفرنسية لم تستخدم جيداً ، فمن أصل ٢٣٠٠ دبابة فرنسية وزعت القيادة على المشاة ١٣٧٠ دبابة واحتفظت بـ ٩٣٠ دبابة فقط داخل فرق مدرعة على شكل قوة ضاربة، بينما وضع الالمان جميع دباباتهم (٣٠٠٠ دبابة) داخل فرق مدرعة تعمل مجتمعة داخل فيالق مدرعة . ويمكن ان نضيف الى ذلك تفوق المدرعات الالمانية على مدرعات الفرنسيين بالسرعة والمناورة والتصفيح ومدى العمل والتسليح ... الخ .

٢ - طبق الفرنسيون هذا التكتيك في الهند الصينية . وكانوا يعتمدون على نقاط استناد مبعثرة جيدة التحصين محاطة بالاسلاك الشائكة والموانع ، وتخرج منها دوريات آلية لمراقبة المنطقة المجاورة لها والسيطرة على الطرق . فاستفاد الثوار الفيتناميون من الثغرات الواقعة بين النقاط ، وصاروا يتحركون بحرية ويهاجمون النقاط المنعزلة واحدة تلو الأخرى ، دون ان تستطيع هذه النقاط دعم بعضها . وهكذا بعثر الفرنسيون قواتهم نظراً لرغبتهم في السيطرة على مناطق اوسع من امكانياتهم، وثبتوا هذه القوات وحرموها من المناورة ، فسمحوا لقوات الثوار بالتجمع وتحقيق التفوق على نقطة ما واحتلالها والانتقال الى غيرها ، وتطبيق تكتيك ٦ ضد واحد ، مع حرية كافية في الحركة والمناورة واختيار زمان ومكان الضربة .

بالمخاتلة أو العنف، مباشراً أو متتابعاً غير مباشر ؟ وهل سيتم البحث عن الصراع في المجال السياسي أو العسكري؟ وهل يستخدم فيه السلاح الذري أم لا؟.. الخ. لقد كان من العبث مثلا ان تبحث الثورة الجزائرية عن النجاح بصراع عنيف في المجالين المالي أو الصناعي ، او بمعركة تقليدية من نوع معارك عام ١٩٤٠ أو عام ١٩٤٥ . وكان من الطبيعي جداً ان تختار تكتيك حرب العصابات الذي يهدف الى بلوغ النتيجة الحاسمة عن طريق انهاك الفرنسيين واستنزاف قواهم مع الاعتماد على الوضع الدولي الملائم . هذه هي اذن الاستراتيجية ، وهي التي يجب ان تقود .

وليس على الاستراتيجية ان تختار التكتيكات فحسب، ولكن عليها ان توجه تقدم التكتيكات لتمكنها من القيام بدورها الضروري للوصول الى النتيجة الحاسمة. فإذا ما درسنا مثلاً تكتيك عام ١٩١٨ الهجومي لتحقيق الخرق وجدناه «تكتيكاً ممكناً» ولكنه بطيء لا يستطيع الوصول إلى النتيجة الحاسمة . انه ممكن فقط ولا يصل إلى درجة « التكتيك اللازم » . وكانت استراتيجية العمليات آنذاك بحاجة إلى « التكتيك اللازم » الذي يتصف بسرعة تقدم أكبر ، وهذا ما وصل اليه الألمان في عام ١٩٤٠ بفضل سرعة فرقهم المدرعة . والخلاصة أن استخدام تكتيك لا يتلاءم مع « التكتيك اللازم » يعني الاندفاع في استراتيجية عسكرية عقيمة . وعلى الاستراتيجية اذن أن تحدد للتقنية والتكتيك سبيل تطورهما واختراعاتهما وأبحاثهما ، حتى يتجه التطور في اتجاهات مجدية متلائمة مع الطريق المؤدي إلى غاية الصراع الأساسية وهي : النتيجة الحاسمة .

استنتاجات :

إذا ما شاهدنا تمثيلية جيرودوكس « سيغفريد » رأينا ما بين آونة وأخرى جنرالات ألمان يظهرون على المسرح باحثين عن قانون أساسي للحرب يكون

كحجر الفلاسفة [1] يسمح بحل كل المعضلات . وهذه الصورة المسرحية صورة مشوهة للاستراتيجية ، كما كان علم تحويل المعادن l'alchimie صورة ممسوخة من صور العلم . ان الحرب ظـــاهرة اجتماعية معقدة بشكل يمنعها من الخضوع لقانون بسيط ، أو بديهيات . ومع هذا توصل العلم الحديث إلى تحقيق التبدلات التي سعى اليها الأقدمون في جوهر تكوين المعادن ، ولكنهم استخدموا لذلك طرقاً مختلفة جداً عن طرق اسلافهم . وعلى علم الاجتماع الحديث أن يبحث عن الوسائل اللازمة لتوجيه مصير الانسانية الذي تُرك حتى الآن عرضة للتجارب السطحية الموجزة ، على أن تحتل الاستراتيجية خلال هذا البحث أهمية كبيرة لأنها وسيلة عمل السياسة العالمية . ومن الممكن تطبيق وسائلها في حقل السياسة نفسها ، وفي كل مجال تتصارع فيه ارادتان .

ولا يمكن توجيه الصراعات الحتمية ، مع تجنب الأخطاء التي سببت انهيار أوربا في الماضي ، إلا بمعرفة وسائل وأساليب الاستراتيجية واستخدامها بشكل واع . وقد تؤدي هذه المعرفة وهذا الوعى إلى تلافي عدد كبير من النزاعات ، كما وقد تؤدي معرفـــة فن الصراع إلى اكتشاف فن حقيقي لسلام لا يعتمد على الرغبات والميول العاطفية بل على حقـــائق مادية فعالة كاستراتيجية الردع المالية .

ولكن الاستراتيجية عبارة عن وسيلة لتحقيق أهداف تحددها لها السياسة . وتنبع سياسة بلد ما من الفلسفة السائدة فيه . وهكذا يتعلق مصير الانسان بالفلسفة التي يختارها لنفسه ، والاستراتيجية التي يستخدمها لتحقيق انتصار هذه الفلسفة .

---

١ ـ وهو الحجر الذي كان يحاول بهعلماء الكيمياء البدائية في الماضي تحويل جميع المعادن الى ذهب .



الفصل الثاني

الاستراتيجية العسكرية التقليدية

الاستراتيجية العسكرية استراتيجية متطورة

كان من المفروض معرفة الاستراتيجية العسكرية أكثر من أية استراتيجية أخرى ، ولكن الحقيقة مخالفة لذلك . لأن القواعد التي وجهت سير هذه الاستراتيجية تعرضت للغموض والسرية بسبب بعض عوامل العصر التي بدت وكأنها خالدة إلى الأبد ، مع أنه كان عليها ان تترك مكانها بعد فترة من الزمن لعوامل جديدة أكثر أهمية . ولهذا فاننا سندرس هذه المعضلة في هذا الفصل مع توجيه اهتمامنا إلى تطور هذه الظاهرة بغية استنتاج الخطوط الرئيسية التي تسمح بفهم الأمور فهماً أفضل .

لقد كانت الحرب العسكرية التقليدية دائماً جزء من الحرب الشاملة ، وكان هنالك دائماً عامل هام مركب اقتصادي ومالي . كما كان هنالك عامل مركب سياسي تقليدي (حياد ، تحالف.. الخ) وعامل سياسي هام ذو صفة ايديولوجية

(الأرمنياك والبورجينيون[1] ، الهوجينوت والحلف[2] ، وطنيو الامبراطورية ووطنيو عصر الثورة [3] ، الديموقراطيات والنازية.. الخ) ولم تخلُ الصراعات أبداً من مثل هذا العامل الهام .

وكان دور الجيوش متنوعاً وهاماً في اطار مشاغل ومهمات الدول والحكام، ولكنه لم يكن حاسماً حقاً إلا في بعض المراحل الملائمة ، كما أنه تضاءل في بعض الحالات حتى غدا عملاً مساعداً اضافياً . ويتعلق هذا التنوع في دور الجيوش بلا شك بصفات القادة العسكريين المسيطرين على مقاليد الأمور ، كما يتعلق – مهما كانت قيمة صفات القادة – بامكانيات القوات المسلحة وقدرتها على تحقيق نتيجة عسكرية حاسمة كاملة . واضطرت الاستراتيجية الشاملة في كل عصر إلى استخدام الوسائل الاقتصادية والدبلوماسية والسياسية والعسكرية التي بدت لها هامة . ولهذا لم تلعب القوات المسلحة الدور الأكبر الا عندما كانت قادرة على الوصول إلى النتيجة الحاسمة بنفسها .

ولقد تنوعت قدرة القوات المسلحة على الحسم في خلال التاريخ حسب الامكانيات التعبوية للخطة المعينة ، هذه الخطة التي كانت تعتمد الى حد كبير

---

١ – انقسمت فرنسا مع مطلع القرن الخامس عشر في عهد شارل السادس وشارل السابع الى حزبين هما: الارمنياك (تحت زعامة كونت ارمنياك برنارد السابع) والبورجينيون (تحت زعامة دوق بورجينيون ...) واستمر النزاع بين هذين الحزبين بعنف حتى معاهدة آراس عام ١٤٣٥ .

٢ – حصل في القرن السادس عشر في فرنسا صراع ديني بين الحلف (الكاثوليك) و (البروتستانت) ودعي ذلك بالحروب الدينية . ولقد اخذت هذه الحروب بعد ذلك شكلا سياسياً .

٣ ـ كان الخلاف مستحكماً أيام حكم نابوليون بونابارت بين انصار الجمهورية الثوريين وانصار الامبراطورية .

على التسلح والتجهيز واساليب الحرب والتموين لدى الخصمين المتحاربين . ولكن ندر ان يحسب هذا التنوع بشكل صحيح . وفاجأ التطور في معظم الأحيان الخصمين اللذين كان عليهما ان يبحثا بأسلوب التحسس والجس عن الحلول الجديدة المؤدية الى النتيجة الحاسمة . واستطاع القادة الأفذاذ - كنابوليون مثلاً - تأمين التفوق المؤقت بفضل سبق بالفكرة أي سبق في فهم الأمور . ثم تعلم العدو مع الزمن ، وانتهى بأن وصل الى التلاؤم المطلوب واصبحت اللعبة الاستراتيجية متوازنة من جديد .

وهكذا كانت العوامل الاساسية للاستراتيجية العسكرية التقليدية هي : فهم تطورات الحرب بسرعة اكبر من سرعة فهم العدو لها ، وبالتالي فهم وتوقع العوامل الجديدة . ولقد سمحت هذه العوامل بتفوق الحصون الدفاعية حيناً ، والمعركة الحاسمة او العمليات الصاعقة الهجومية حيناً آخر . وتعاقبت انواع الحروب خلال فترات طويلة فكانت « قصيرة حاسمة » او « طويلة منهكة » أو « عقيمة غير قادرة على الوصول الى نتيجة هامة » . وكان المعاصرون يفقدون صوابهم عند كل انتقال من مرحلة الى أخرى ، لأن القوانين التي يعتمدون عليها تفقد كل قيمتها فجأة ... ومع هذا ، فالقوانين الجديدة التي تبدو لهم وكأنها الحل النهائي لجميع الصعوبات والمعضلات ، لم تكن الا قوانين مؤقتة .

ان معرفة هذه الحقيقة تؤدي الى فهم مراحل تطور الصفة الحاسمة للقوات المسلحة ، ولهذا الفهم أهمية كبرى لان فيه مفتاح الاستراتيجية العسكرية الرئيسي .

استراتيجية المعركة

تنجم النتيجة الحاسمة العسكرية البحته عن « النصر في المعركة » ويعود سير المعركة بأشكال متباينة جداً الى مخطط بسيط نسبياً ، اذا تتصف المعركة (البرية) بانها مجابهة عنيفة تقع بين جدارين بشريين مشكلين من المقاتلين .

ويأتي هذا التشكيل الجداري من رغبة كل مقاتل بأن يحمي ظهره ومجنبتيه بالاصدقاء . فإذا ما حمى كل مقاتل زميله واحتمى به ، تشكل من المجموعة صفوف (انساق) متراصة يزداد تراصها وتعاقبها بالعمق أو يقل حسب القواعد التكتيكية لكل عصر . الا ان هذه الحماية تنتهي في نهاية النسق ، وهذا ما يجعل من المجنبات نقاطاً حساسة سريعة التأثر في الترتيب كله . ويؤدي ضعف المجنبات الى البحث عن النتيجة الحاسمة « بالالتفاف » و « التطويق » وذلك بزيادة عرض الجبهة بشكل تصبح فيه اعرض من جبهة الخصم . الا ان زيادة عرض الجبهة بغية التطويق يؤدي الى اضعافها ، الا اذا كانت القوات المتجابهة غير متكافئة بشكل صارخ . فإذا ما تعذر تمديد الجبهة خشية اضعافها ، تم البحث عن عمل يهدف الى « خرق » الانساق المعادية لخلق مجنبات اصطناعية جديدة حساسة سريعة التأثر في تشكيل العدو . وهكذا كان هدف المعركة بلبلة نظام تشكيلات العدو المتماسكة المؤلفة من جدار بشري ، باستخدام الخرق أو التطويق . وكان خرق الجدار البشري في الماضي يؤدي الى بلبلة الدفاع ،

وشعور كل مقاتل من المقاتلين بتعرضه لخطر جسيم . وكانت هذه الصدمة النفسية كافية لتفكيك الروابط المعنوية التي تجمع المقاتلين ، فيتفتت الجيش ، وينقلب الى جماعة من البشر هائمة على وجهها . وكانت هذه الجماعة الهائمة في التاريخ القديم ، فريسة سهلة أمام المنتصرين الذين يبدأون « مرحلة المذابح » حيث يتعرض المهزوم لعمليات الأبادة ولا يصاب المنتصر إلا اصابات طفيفة . ولقد أدى .. تباعد المقاتلين في الأزمنة الحديثة الى اختفاء « مرحلة المذابح » وانقلابها الى هزيمة ينسحب فيها المهزوم أمام مطاردة المنتصر الذي يسعى ان تكون مطاردته قوية سريعة تمنع العدو من إعادة تشكيل جيشه داخل مجموعة متماسكة جديدة .

وتتطلب مناورتا « الالتفاف » و « التطويق » حركة أطول من طول خط المعركة ، لهذا شكلت الأجنحة في الماضي من الخيالة القادرة على القيام بهذه الحركة الطويلة بسرعة ، ثم دخل في تشكيلها بعد ذلك القطعات الآلية (الميكانيكية) والمدرعة .

أما مناورة الخرق فتتطلب قوة هجومية متفوقة[1] يتم الحصول عليها بتأمين توافق عناصر الصدمة (خيالة مدرعة ، فيلة ، دبابات) مع عناصر الرمي (سهام ، رماح خفيفة ، حجارة ، نيران مشاة أو مدفعية) المتمتعة بحركة كافية

---

١ ـ يحتاج الخرق عادة الى تفوق يتراوح بين ٢ ، ٣ ضد واحد . وذلك لأن الدفاع يمتاز بالاقتصاد بالقوى . وقد يكون التفوق عاماً أو محلياً في مكان الخرق (بفضل مناورة لتجميع القوى الصديقة أو لبعثرة قوى العدو) ولقد احتاج الخرق في بعض حالات الحرب العالمية الثانية الى تفوق محلي يعادل ٦ — ٧ الى واحد . ولكن قد يتم الخرق احياناً دون وجودهذا التفوق، بفضل المفاجأة الناجمة عن الخدعة او حسن اختيار المكان والزمان او استخدام سلاح حديث وتكتيك جديد ، او بفضل التفوق بالتدريب أو المعنويات او غير ذلك من الأسباب .

لتحقيق خرق الجبهة المعادية بسرعة .

وكان اختيار أحد هذين الشكلين الهجوميين مرتبطاً بعوامل عديدة منها طبيعة الأرض ، وميزان القوى (المادية والمعنوية). كما يتأثر بشكل كبير بفاعلية الأساليب الهجومية ضد التكتيك الدفاعي المعادي الذي تطور باستمرار . وقد بُني التكتيك الدفاعي في بادىء الأمر على المبارزة بالسلاح الأبيض الفردي مع الاحتماء بدرع أو بحاجز اصطناعي كالحفر وجذوع الأشجار ، ثم استخدم انواعاً مختلفة من القذائف من السهم والمقلاع إلى المنجنيق ، ومن المسدس إلى قذيفة المدفع . واضطر الهجوم أمام ذلك إلى التلاؤم مع كل تطور جديد باختيار تكتيكات جديدة ملائمة واستخدام نيران أكثر فاعلية لابطال الوسائل النارية المعادية وانقاص فاعليتها بشكل كاف ، وتدمير الجدار البشري في المكان المطلوب خرقه . وهكذا أدى تطور الاسلحة المتنوعة إلى تفوق الدفاع على الهجوم في بعض العصور ، وتفوق الهجوم على الدفاع في عصور أخرى . فنجم عن ذلك تكتيكات مختلطة مختلفة وعمليات تلاؤم عديدة متعاقبة .

ثم تطور هذا المخطط البسيط للمعركة وازداد تعقيده ، نظراً لأن التطويق والخرق لا يتمان إلا بعد سلسلة من عمليات الخداع والانهاك المتبادلة . وغايه هذه العمليات تثبيت قوات العدو وهز روحها المعنوية بالخوف والتعب وتتابع الخسائر ، وتركيز الجهد بعد ذلك على نقطة حساسة قابلة للتأثر في الجناح أو القلب .ولكن لدى العدو قوات احتياطية تسمح له بصد الضربة الحاسمة ، وعلى العمليات التحضيرية استنزاف هذه القوات باجبار العدو على استخدامها في المعركة أو بخداعه ودفعه إلى زجها في اتجاهات غير مجدية . وهكذا تشمل المعركة مرحلة تحضير تطول وتقصر ، تليها مرحلة التنفيذ الحاسمة لانهاء كل مقاومة .

فاذا ما عدنا إلى جوهر الأمور ، وجدنا أن استراتيجية المعركة بسيطة

سهلة ، وأن تعقيدها ناجم عن ان المقاتلين بشر لا آلات ،حتى عندما يستخدمون الآلات ، والجيش جماهير منظمة يربطها ويزيد من تلاحم بنيانها رباط **نفسي** مبني على الانضباط والثقة المتبادلة . لذا وبالرغم من كل التركيبات **المـــادية** التكتيكية المعقدة ، يكمن الفن الأساسي في معرفة أساليب تقوية الرباط النفسي والمحافظة عليه في قواتنا مع محاولة تدميره وسط قوات العدو . والعامل النفسي إذن عامل كبير الأهمية ، فهو الذي قاد إلى التقنية ، وإلى ايجـاد التركيبات المادية المختلفة من القناع المرعب وصيحات الحرب وصفير قنابل الطائرات القاذفة المنقضة (الشتوكا) حتى المناورات المبنية على الخدعة والمفاجأة الرامية لإيجاد ما أسماه نابوليون « الحدث » الذي يؤدي ظهوره الى هبوط مفاجىء في معنويات العدو . ولا يخضع الحدث لأي تحديد . وقد يصيب في بعض الأحيان الجنود في صفوف القتال ، كما يصيب القائد المعادي نفسه فيدمر ثقته بمواضعه وتشكيلاته . لهذا تم الحصول على النتيجة الحاسمة العسكرية البحتة في بعض الأحيان بفضل تفوق استراتيجي ، ودون ان تكون المعركة جدية .

ولكن هذا المخطط بري بصورة رئيسية ، اذ يلعب عامل التماسك المعنوي في البحر والجو دوراً أقل من دوره على الأرض ، لأن الرباط الذي يجمع المقاتلين هو **العتاد** نفسه ، فلا يمكن للمرء أن يترك طائرته أو مركبه بسهولة . لهـــذا فان لعامل العتاد في الاستراتيجيتين البحرية والجوية أهمية بالغة ، وتأخذ اعتبارات السرعة والمرونة والمدى والحماية وغزارة الرمي شكلاً حاسماً . ولا يتم العمل في هذين المجالين لتفتيت تشكيلات العدو ، بل يسعى كل خصم إلى تدمير خصمه مادياً . وتُحسب نتائج المعارك البحرية بعدد المراكب الغارقة ، كما تُحسب النتائج الجوية بعدد الطائرات المدمرة . وينتج عن ذلك تحاشي المعركة بدلاً من البحث عنها ، عندما لا تكون القوتان المتجابهتان متعادلتين تقريباً ، وهـــذا يعني ان التفوق المادي قادر هنا على تحقيق ردع فعال بفضل «وجوده». وتختلف الاستراتيجيتان

الجوية والبحرية عن الاستراتيجية البرية بأنه ليس في الجو أو على سطح الماء ما يعادل العامل « أرض » الكثير التنوع. وتأخذ المعارك البحرية او الجوية شكلاً نمطياً نظراً لوقوعها على سطح مستوٍ (البحر) ، أو في الفضاء الذي ليس فيه من العوائق سوى الرياح والشمس والغيوم . كما أن عامل النسق أو الجدار البشري الهام في المعارك البرية لم يكن هاماً في البحر ولم يلعب أي دور في الجو. والمعركة الجوية البحتة مجموعة من الاعمال الفردية المنسقة الرامية الى انهاك الخصم مادياً بتدمير عتاده على الأرض أو في الجو . وتختلف فكرتها كلية عن فكرة المعركة البرية .

وتؤثر هذه الاختلافات الرئيسية تأثيراً هاماً على المفاهيم الخاصة بالحرب ، فبينما تقوم الاستراتيجية الارضية المبنية على تحطيم وتفتيت تشكيلات العدو بالبحث عن النتيجة الحاسمة عن طريق المناورة مع استخدام مجموعة أعمال متناسقة ، تسعى الاستراتيجية الجوية للبحث عن التدمير المادي معتمدة على القوة المادية المجردة. ويتعارض المفهومان ويتشابكان في افكار الحرب الحديثة، وسنعود الى هذه النقطة فيما بعد .

•

استراتيجية العمليات البرية

تمثل المعركة في الحرب فترة قصيرة جداً ، أو نهـــاية مرحلة . وعلى القوى الراغبة بالاشتباك فيها ان تقترب من العدو حتى مدى القتال ، على ان تبحث عن الصدام في الظروف الملائمة لهـا . « والعمليات » هي مجموعـــة التشكيلات والمناورات اللازمة لتحقيق ذلك .

سير العمليات :

تعرضت العمليات لتطور هام يعادل تطور المعركة أو يفوقـــه بسبب تبدل تسليح وعتاد القطعات المحاربة ، وبفضل عوامل اخرى كالأرض ، وامتـــداد المسرح بالنسبة لحجم القوات ، وقدرة هذه القوات على الحركة ، وهذا ما يزيد من تباين اشكال العمليات على مر العصور .ويمكن تقسيم مراحل تطور العمليات الى ما يلي :

المرحلة الأولى

العمليات منفصلة تماماً عن المعركة

كانت العمليات في المرحلة الأولى ، الممتدة من العصور القديمة حتى نهاية القرن

الثامن عشر ، منفصلة تماماً عن المعركة . وكان التسليح في هذه الحقبــة الزمنية الطويلة تسليحاً ضعيفاً، لا يؤمن الحماية والمقاومة لمفرزة عسكرية منعزلة . وكان على الجيش ان يتحرك مجتمعاً ليؤمن حيطته . ولم تكن الجيوش آنذاك كبيرة ، بل كانت عبارة عن نقطة موجودة في الطبيعة تبحث عن نقطة اخرى هي جيش العدو . ولم يكن استخدام القوات ممكناً الا بعد ترتيبها في « تشكيل القتال » أي بعد اضاعة فترة زمنية تمتد من عدة ساعات حتى يوم كامل ، وكان الجيشان المتقابلان قادرين على رفض المعركة بالانسحاب . ولم يكن الاشتباك ممكناً إلا برغبة الخصمين وارادتها وهذا ما يسمى « المعركة بالاتفاق المتبادل » .

وكان هدف العمليات اجبار العدو على دخول المعركة في ظروف لا تلائمه ، ويتم ذلك باجتياح أراضيه ونهبها لجره إلى القتال . ولايقـــاف ذلك الاجتياح لجأ المدافعون إلى الحصون وخلقوا بذلك مسرح عمليات محـــدد تتحرك داخله الجيوش . فاصبح المهاجم مضطراً لمحاصرة المدن الكبيرة والتهديد باحتلالها بغية اجبار المدافع على قبول المعركة . وكانت الحرب بالمعارك داخل شبكة مواقـع محصنة ،آخر فنون القتال ، وخاصة في القرن السابع عشر . ولقد وُجهت لهذه الحرب فيما بعد انتقادات عديدة اهمها أنها كانت حرباً روتينية لا تتسم بالبداهة أو المغامرة.ولكن هذه الانتقادات غير صحيحة، لانهذا النوعمن الحروب كان بلا شك الحل الوحيد الممكن في ظروف ذلك العصر ... وكانت نتائج المعركة غالباً صدفية (خاضعة للصدف) ، ولا تؤثر على المعركة وحدها بل يمتدتأثيرها ليشمل مصير الجيوش نفسها . وكان كل قائد يحاول تحاشي المعركة إلى أن يرى الظرف الملائم لتحقيق نصر أكيد ، سواء أكان ذلك بفضل التفوق العـــددي الكبير أو بسبب ميزات طبيعية تقدمهـــا له الأرض . ونجم عن ذلك حروب طويلة غير حاسمة ، تتخللها عمليات حصار لا تنتهي .

وكانت هذه الفكرة في ذلك الوقت منطقية معقولة ، ولقد شرحها المارشال

دوساكس في « تأملاته » قائلاً : « لست من أنصار المعارك ، وأعتقد أن قائداً ماهراً يستطيع القيام بالحرب طوال حياته دون أن يضطر الى خوض غمار معركة واحدة . إن من الضروري القيام بمناوشات متعددة متواترة ، واذابة العدو بشكل متدرج ، ولا شيء يضعف العدو ويحسن موقفنا مثل هذا الأسلوب . انني لا أريد أن أقول إن علينا عدم مهاجمة العدو إلا اذا توفرت لنا فرصة سحقه ، ولكنني أؤكد أنه يمكن أن نخوض الحرب دون أن نترك شيئاً للصدفة (في المعركة) . ويبلغ القائد الذي يستطيع ذلك ذروة المهارة والحذق » .

هكذا كانت أهداف وصفات العمليات القديمة ، التي أخطأ البعض عندما رأوا فيها حرباً غير جدية ، تتصف بحذر مبالغ به كحذر الساسة .

المرحلة الثانية

العمليات متميزة عن المعركة ولكنها مرتبطة بها

وفي نهاية القرن الثامن عشر أحس المفكرون العسكريون (بويسيغور وفولارد وجيبر) وثالثهم على الأخص، أن التسليح الحديث قادر على خلق شكل جيد من العمليات أكثر حسماً . والحقيقة أن تطور البندقية خلق قوة نارية زائدة سمحت بانقاص عدد صفوف نسق القتال (أصبح النسق مؤلفاً من ثلاثه صفوف) . ولكنها أدت بعد ذلك الى امتداد الخطوط المحصنة التي انتهت بأن شلت العمليات من جديد . وغدت الحروب طويلة منهكة .

وأتاحت زيادة القوة النارية للمفارز المنعزلة قدرة على المقاومة لمدة معينة .

وأصبح الجيش قادراً على الانتشار ليتحرك ويتمون من البلاد التي يسير فيها : فظهر من جراء ذلك « النظام الفرقي » divisionnaire الذي أوجده جيل الانسيكلوبيديين [1] والذي يعتبر ثورة في العمليات . وحلم جيبر بظهور « اسكندر جديد » قادر على تطبيق نظرياته . وظهر هذا الاسكندر في شخص نابوليون ، الذي كان أول من فهم كل ما يمكن استفادته من الامكانيات الجديدة .

وكان نظام عملياته يعتمد على تميز مطلق بين « تشكيل العمليات » المبعثر المنتشر على شبكة عريضة و« تشكيل القتال » «المجتمع الكثيف» بينما كان خصومه يناورون حسب الأنظمة القديمة متحركين بتشكيلات متجمعة نسبياً . ولكن نابوليون كان يستخدم شبكته العريضة ليمنع العدو من توقع نقطة تجمعه المقبلة ، مسبباً له بذلك العمى والشلل . وكان يستطيع تطويقه ان بقي ثابتاً (كما في هولم) [2] أو تجاوزه والوقوف على خط مواصلاته ليجبره على القتال على جبهة معكوسة (كما في ينا) [3] ولم يكن العدو قادراً على الانسحاب ابداً ، بل كان عليه ان يقبل المعركة ، في ظروف لا تلائمه وكانت العمليات في هذه المرحلة تقود الى المعركة وعادت الحرب خلالها فأصبحت حاسمة سريعة صاعقة .

---

١ – الانسيكلوبيديون Encyclopedistes هم العلماء والفلاسفة والاخصائيون في جميع المواضيع ، والذين اشتركوا في وضع المعجم Encyclopedie (١٧٥١ – ١٧٧٢) مع ديدرو وآلامبير ومنهم (فولتير ومونتسكيو وروسو وجوكور ... الخ).

٢ – هولم : مدينة المانية على نهر الدانوب استسلم فيها جيش القائد النمساوي ماك (٣٥ ألف جندي) أمام جيش نابوليون في عام ١٨٠٥ . ويرى بيلو ان سبب هذا النصر راجع الى تفوق الجيوش المجمعة المتحركة على الجيوش المبعثرة في حصون دفاعية .

٢ – ينّا : مدينة المانية انتصر فيها نابوليون على الجيش البروسي عام ١٨٠٦ .

ويتصف اسلوب عمليات نابوليون بأنه اسلوب حركي واداري (لوجيستيكي)، يرتبط بحساب الحركات التي تسمح بالتجمع والدعم المتبادل والتطويق والتجاوز والحسابات الادارية (للوجيستيكية) التي تسمح بهذه الحركات . وبالاضافة الى ذلك كان لدى نابوليون جيش رائع « التدريب » على المستوى التكتيكي، مستعد للاشتباك أو الانسحاب بسرعة . وكانت استراتيجية العمليات تعطيه نصراً على نصر .

ثم تعلم الخصم مع الزمن قواعد اللعبة ، وغدا أقل تمسكاً بالقواعد القديمة ، وانتهى الى تبني تشكيلات عمليات تؤلف شبكة كبيرة وتغطي قسماً كبيراً من مسرح العمليات . فتزايدت صعوبة مناورة نابوليون باستمرار ، الى ان ادى تفوق الاعداء العددي الى هزيمته .

ولقد استقى الكثيرون من استراتيجية عمليات نابوليون معلومات خاطئة. لأنهم رأوا في هذه المناورات مرجعاً لقواعد لا تقبل الجدل مع انها لم تكن قابلة للتطبيق في الحقيقة إلا في الظروف الموضوعية السائدة آنذاك . ولا يجب ان تخدعنا دقة حسابات الامبراطور أو تضلنا السبيل . لقد كان يتمتع بلا شك بتقدم فكري على خصومه ، وازدادت قيمة هذا التقدم بفضل الجو السياسي الذي قاتلت فيه الجيوش الفرنسية تحت لواء أفكار الثورة . ونحن نعرف أن كثيراً من مواطني البلاد المعادية (ايطاليا والمانيا) كانوا يشعرون في بادىء الأمر بميل لأفكار الثورة الفرنسية ، فانضموا إلى صفوف جيش نابوليون وزادوا من قوته . ولما أحجم السكان عن الانضمام اليه (إسبانيا وروسيا) تجسمت الأخطار المحيطة بعملياته . وبزوال نابوليون اختفى هذا النوع من المخططات ، ولم يستطع أحد بعده القيام بتطبيقه .

المرحلة الثـــالثة

العمليات مختلطة مع المعركة

ثم أدى تزايد القوة النارية الذي يسمح في وقت ما بايجاد هذه الحلول ، إلى جعل هذه الحلول نفسها مستحيلة،نظراً لاستمرار تزايد التدمير الناجم عن القوة النارية الجديدة .وأدى تضخم الجيوش وازدياد قوتها النارية في القرن التاسع عشر إلى جعـــل « تشكيل المسير » قادراً على التحول بسرعـة إلى « تشكيل قتال » . وانقلب « تشكيل المسير » القديم من شبكة تسير بأرتال متوازية الى « جبهة » تتصف بأنها « تشكيل مسير وقتال ». وغداً أكثر كثافة ، وأصبـح قادراً على عمل جدار بشري مستمر تقريباً .وفي نهاية التطور امتزجت المعركة مع العمليات . واختفى فن العمليات القديم الذي ابتدعه المارشال دوساكس [1] ونابوليون ، وارتفعت استراتيجية المعركة إلى مستوى العمليات . ولكن تزايد القدرة الدفاعية الناجم عن تزايد القوة الناريـــة جعل عملية الخرق صعبة معقدة . وأصبح جوهر العمليات معتمداً على الالتفـاف على الأجنحـة المكشوفة بفضل جبهة أعرض من جبهة الخصم (وويرث [2] ، سيدان [3] ،

---

١ - موريس دوساكس (١٦٩٦ - ١٧٥٠) مارشال فرنسي من ألمـع ضباط القرن الثامن عشر .

٢ - وويرث : اسم يطلقه الالمان على المعركة التي انتصروا فيها على الفرنسيين عام ١٨٧٠ في فرويشويلر - ريشهوفن .

٣ - سيدان : معركة انتصر فيها الالمان على الامبراطور نابوليون الثالث الفرنسي وأسروه عام ١٨٧٠ .

موكدن [1] ، مخطط شليفن [2]) . وبدأت الجبهات تفقد عمقها وتمتد على العكس طولاً ، وجاءت الأسلحة الرخيصة والتجنيد الاجباري والسكك الحديدية فسمحت بتنظيم وتموين جيوش جرارة متزايدة باستمرار .

ثم حصلت ظاهرة لم يفهم معاصروها مغزاها . وهي أن عمليات الالتفاف والتطويق لا تعطي نتيجة حاسمة إلا إذا تم تنفيذها بسرعة قبل انسحاب الخصم أو تدخل قواته الاحتياطية . وكان ذلك ممكناً في حالة صغر طول الجبهات ، وتفوق سرعة القوات الاحتياطية المدافعة . لذلك عندما حاول الألمان تطبيق مخطط شليفن في عام ١٩١٤ بتطويق جناح جبهة عرضها ٣٠٠ كيلومتراً بقوات تسير على الأقدام ، فقدت مناورتهم كل فاعليتها . واستطاعت جبهة الحلفاء التملص واستعادة توازنها بالانسحاب وباستخدام القوات الاحتياطية المنقولة بالسكك الحديدية ، وشكلت في باريس مجموعة من القوات قادرة على تطويق

---

١ ـ موكدن : معركة انتصر فيها اليابانيون على الجيش الروسي في عام ١٩٠٥ .

٢ ـ مخطط شليفن : مخطط وضعه فون شليفن عام ١٩٠٥ ، ويقتضي بنشر القوات الالمانية على طول الجبهة الفرنسية مع تركيز الجزء الأكبر من القوات على الجناح الأيمن ، الذي كان عليه ان يجتاز بلجيكا وشمال فرنسا بسرعة ثم ينحرف نحو الشرق . على ان يقوم الطرف الأيمن لهذا الجناح باجتياز السين قرب روان والتوجه نحو باريس.

ويمتاز هذا المخطط بأنه لا يعتمد على الحركة الجغرافية مثل اعتماده على توزيع القوى (٥٣ فرقة في الجناح الأيمن – ١٠ فرق في المركز مقابل فيردان ـ ٩ فرق على الجناح الأيسر) . ويتصف بأنه غير مباشر لأن الفرنسيين سيهاجمون الجناح الالماني الأيسر الضعيف الذي يتراجع أمامه، بينما يتقدم الجناح الأيمن كباب يدور حول محور ليضربهم من الظهر. ولم ينفذ هذا المخطط في الحرب العالمية الأولى لأن مولتكه (الشاب) عدله وافقده بعض مزاياه .

جناح العدو القائم بالالتفاف (معركة المارن) [1]. ولكن العدو كان قادراً أيضاً على الانسحاب ،والرد بتطويق جديد يتجح حيناً ويتعرض للتطويق حيناً آخر. وسميت هذه العمليات المتعاقبة آنذاك السباق نحو البحر الذي أدى في النهاية إلى فشل مناورة التطويق فشلاً نهائياً . وامتدت الجبهة الغربية من الحدود السويسرية الى بحر الشمال وتجمدت ، وانتهت الفترة الحركية للعمليات .

* * *

---

١ – جرت معركة المارن في سبتمبر (ايلول) ١٩١٤ على ارض الجبهة الغربية في فرنسا. وذلك عندما قامت المانيا بمهاجمة فرنسا عبر بلجيكا ، مطبقة خطة شليفن التي تعتمد مناورتها على جناح ايمن قوي . ولكن الخطة لم تنفذ بحذافيرها ، بل نفذت الخطة المعدلة بناء على توجيهات مولتكه (الشاب) ، وادى هذا التعديل الى اضعاف جناح المناورة الالماني الأيمن وعجزه عن القيام بحركة كبرى تطوق باريس . عندها قام الفرنسيون مع القوات البريطانية بهجوم مضاد لإيقاف التقدم الالماني مع محاولة تطويق جناحه الأيمن . فانسحب الالمان بعد معركة دامت عدة ايام اشترك فيها ١،١٢٥،٠٠٠ جندياً من الحلفاء و ١،٢٧٥،٠٠٠ جندياً المانيا . وتخلصت باريس من خطر اكيد .

المرحلة الرابعة

جبهة المعركة معادلة لمسرح العمليات

وكان ثبات الجبهة مع تغطية مجمل مسرح العمليات مفاجأة غير متوقعة لكلا الخصمين ، مع ان وضعية مشابهة لها ظهرت قبل ذلك في الحرب الأهلية الامريكية وفي منشوريا ، حيث استخدمت تحصينات الميدان بشكل كبير ولكن وجود اجنحة مكشوفة سمح رغم ذلك باجراء بعض عمليات التطويق . ولقد نجمت ظاهرة « الجبهة المتواصلة » الثابتة عن تزايد القوة الدفاعية التي تملكها مشاة مسلحة بالرشاشات ، ومغطاة بالاسلاك الشائكة ومحمية داخل الخنادق ، ومُستخدمة بأعداد كبيرة . وعندما تأكد تعذر التطويق اتجهت العمليات والمعركة الى البحث عن خرق الجبهة بغية القيام بعمليات متحركة.

وهنا ظهرت مشاكل الحصول على القدرة اللازمة، اذ كان من الواجب تجميع تسليح كافٍ « مدافع وذخائر » لتدمير الجبهة المعادية ، واستغلال هذا الخرق بكتل كبيرة من المشاة . وكما فشل التطويق في الماضي لأن الجناح القائم به لا يتمتع بسرعة كافية ، فشل الخرق لأن هجوم المشاة الراجلة كان ابطأ من سرعة تقدم القوات الاحتياطية المعادية بالسكك الحديدية والسيارات . ودخلت الهجمات في « جيوب » لم تستطع الخروج منها رغم محاولات القيادات ، التي لم تفهم أهمية وتأثير الحركة التكتيكية . ولما تعذر « الخرق » اعتمدت العمليات على « الانهاك » الذي يسعى الى استنزاف قوات العدو الاحتياطية (فردان والسوم) .

وأخيراً قام فوش باستخدام مناورة « الطَرْق المتتابع » التي سمحت له بتأمين توافق وتصاعد عمل الجيوب المتعاقبة . وتطلب هذا « الطرق المتتابع »

في معركة فرنسا امكانيات مادية هائلة وغـدت العمليات والاستراتيجية عبارة عن استخدام عنيف للقوة . ولقد حملنا لواء هـــذه العقيدة وسرنا بهديها حتى عام ١٩٤٠ .

المرحلة الخامسة

المعركة تحضير للعمليات

ثم جاءت معركة ١٩٤٠ ، ونجم عنها انهيار استراتيجية الاستخدام العنيف للقوة . وحقق عمل « الدبابة والطائرة » الخرق السريـع على جبهاتنا الخطيـــة الثابتة ، نظراً لوصول الحركة التكتيكية الهجومية الى سرعة كافية بالنسبة للحركة الاستراتيجية التي تقوم بها القوات الاحتياطية الدفاعية . وسمـــح ذلك بالعودة إلى « حرب الحركة ». وبعد مرحلة العمليات الديناميكية القصيرة الرامية إلى وضع قوات الخرق في قواعد الانطلاق وزجها في المعركة ،جاءت مرحلة استثمار النصر الحاسمة المتصفة بالتغلغل داخل خطوط العدو مع سلسلة من عمليـات التجاوز والتطويق . وهكذا انقلب مخطط القرن الثامن عشر رأساً على عقب . ولم تعد العمليات اعداداً للمعركة بل أصبحت المعركة فاتحة تسبق وتعد للعمليات الحاسمة . واستعاد عامل الحركة كل أهميته .

ثم تعدل الموقف قليلاً مع تعاقب الزمن واستمرار مـــدة الحرب . وتزايد التكتيك الدفاعي صلابة يوماً بعد يوم ، وأصبح الخرق أكثر صعوبة . ورأينا في روسيا وعلى الجبهات الغربية كيف تعاقبت المعارك وعمليـات استثمار النصر ، وكيف سيطرت القوة العنيفة حيناً والحركة حيناً آخر . ولم تظهر في هـــذه

الحرب عمليات تعتمد على الحركة المجرّدة كعمليات القرن الثامن عشر (باستثناء عمليات شمالي إفريقيا حيث كانت القوات المتحاربة صغيرة جداً بالنسبة لسعة حقل العمليات) . وبقيت المعركة متشابكة مع العمليات .

ولقد أبرزت الحرب العالمية الثانية عـــلاوة على ذلك أول تطبيق لفكرة العمليات الجديدة القائلة : بالوصول إلى النتيجة الحاسمة عن طريق انهاك الخصم بضربات القوات الجوية . ولهذه الفكرة مصدران هما بريطانيا وايطاليا ،ويعود ظهورها الى العقد الثاني لهذا القرن ، بعد أن ثبت عجز القوات البرية عن تحقيق حل حاسم سريـع . وكان دوي يعتبر أن تكتيك العصر وحـدود جبال الألب عاملان يشلان عمل القوات البرية الايطالية بشكل كبير . وفي عام ١٩٤١وجدت انجلترا نفسها سجينة داخل جزيرتها وفي وضع مشابه لوضع ايطاليا حسب رأي دوي . وحددت القوات الجوية الملكية هدفهـــا بالوصول الى نتيجة حاسمة بالعمل منفردة ، بالرغم من سهولة الحل الحاسم البري آنذاك . وبدأت «قيادة القصف الجوي » المدعومة بقوات حوية أمريكية بسحق ألمانيا تحت وابل من الغارات الجوية . واستطاعت الوسائل الهائلة تحقيق انهاك كبير ، ولكنها لم تكن حاسمة وحدها . وتحقق النصر النهائي ،كما في عام ١٩١٨ ، بسلسلة معارك برية أو برية جوية ، ساعدها وسهل مهمتها أنهاك ناجم عن حصار اقتصادي بحري، وقصف جوي استراتيجي .

●

المرحلة السادسة

جبهة المعركة أصغر من مسرح العمليات

ثم ظهر السلاح الذري في نهاية الحرب، وتطور بعد ذلك. فظهرت على المخطط التقليدي ظاهرة جديدة تلفت الانتباه هي: نقص حجم القوات نقصاناً كبيراً نظراً لتزايد سعر المعدات التقليدية الحديثة في وقت تتزايد فيه المصروفات الناجمة عن الاستعداد لحرب نووية.

وهنا وجدت القوات البرية نفسها تملك وسائل حركة سريعة، ولكنها تقف أمام معضلة ذات شقين، وعليها ان تختار بين الانتشار على جبهات واسعة جداً بالنسبة لها، أو ان تتجمع (نسبياً) على جبهات مكشوفة. ولم تجد هذه المعضلة حتى الآن حلاً جذرياً ملائماً، لأن انعدام الوسائل اللازمة لمراقبة الجبهات الواسعة ليلاً ونهاراً دون استخدام قوات كبيرة جعل من نشر القطعات للمراقبة على الجبهات أمراً لا مفر منه، مع ان الانتشار يضعف مقاومة النقاط الدفاعية. كما ان إشغال جبهات اصغر من مسرح العمليات مغامرة خطرة، تزيد من خطورتها قدرة المهاجم الحركية الكبيرة، الناجمة عن القوات الآلية والقوات المحمولة جواً. والحل الأفضل برأيي هو الحل الوسط الذي يجمع صفات الحلين السابقين [1].

---

١ – تتبنى معظم الدول الكبرى اليوم فكرة انتشار القوات المدافعة بمجموعات متباعدة بعداً كافياً لا يعرضها لخسائر كبيرة عند تلقي ضربة ذرية تكتيكية، مع تزويدها بالآليات –

ولكن دراسة تطور الحروب الماضية تؤكد ان هذا الوضع يمكن أن يؤدي (في حرب تقليدية غير ذرية)الى استحالةثبات الجبهات من نوع ١٩١٤–١٩١٨، أي استحالة الثبات الاستراتيجي . وستلعب المناورة التي تساعدها امكانيات الحركة الحديثة (الناجمة عن المحركات ووسائل الاتصال) دوراً متزايداً . الأمر الذي يجعل النتيجة الحاسمة سريعة جداً .

كما أن وجود قوات جوية ، وأخرى محمولة جـواً ، يعطي للمعركة البرية في المستقبل عمقا كبيراً بحيث تجري المعركة على مساحة واسعة من الارض لا على طول الجبهة فقط .

استنتاجات :

يسمح التحليل السريع السابق باستنتاج بعض الآمور الهامة وهي :

١) إن روح العمليات تطورت بين قطبين متباينين هما الحركة والقوة العنيفة، وجمعتها في بعض مراحل التطور بنسب مختلفة .

٢) كان الجزء الأعظم لهذا التطور يسير حسب تطور العوامل التكتيكية

ـ والاعتدة الخاصة اللازمة للحركة بسرعة واجتياز الاراضي الملوثة بالغبار الذري لسد ثغرة فتحها العدو في الدفاع ، او للقيام بهجمات معاكسة ضد عدو يتسرب بين نقطتين دفاعيتـــين . كما تبنت فكرة نشر المجموعات الهجومية متباعدة عن بعضها ، على ان تلتقي عند تنفيذ مهمة هجوميـــة معينة بسرعة وعلى مقربة من خطوط العدو ، حتى لا يكون لدى العدو هامش حيطة يسمح له باستخدام اسلحته الذرية التكتيكية ، ثم تنتشر بعد ذلك متباعدة من جديدة فور تنفيـــذ مهمتها الهجومية .

المرتبطة بالتسليح والتجهيز ووسائل القتال ، ويمكن ارجاع العوامل التكتيكية إلى ما يلي :

- القدرة الهجومية .

- القدرة الدفاعية .

- الحركة « الاستراتيجية » خارج حقل المعركة .

- الحركة « التكتيكية » في حقل المعركة .

ولقد أدى التبدل النسبي لهذه العوامل الأربعة إلى مختلف أشكال حلول العمليات .

٣) أثر على هذا التطور أيضاً حجم القوات المشتبكة بالنسبة لمسارح العمليات .

٤) عندما فشلت العمليات عن تحقيق نتيجة حاسمة بدأت بالبحث عن الانهاك الذي دفع إلى القيام بجهود حربية كبيرة جداً ، وأدى إلى استنزاف قوى الخصمين بشكل متبادل .

٥) وباختلاف نسب العوامل المذكورة سابقاً والداخلة في تكوين العمليات، كانت هذه العمليات حركية وغير حاسمة أو حركية وحاسمة ، مستمرة أو ثابتة . وكانت التبدلات كلها مفاجئة لمعاصريها ، لأن الناس في كل عصر يظنون أن الاستراتيجية المطبقة في الماضي تحافظ على شكلها ، مع انها في الحقيقة معرضة للتبدل باستمرار .

ويدل هذا العامل الأخير على أهمية فهم آلية وتطور استراتيجية العمليات

حتى لا يفاجأ المرء بتبدلاتها بالاضافة إلى ضرورة السعي للقيام بتقديرها قبل الخصم وبشكل أفضل منه ان أمكن ذلك .

العمليات والموقف الاستراتيجي

يحدد سير العمليات المحتملة في كل مرحلة من مراحل التطور اطار العمل الاستراتيجي في عصر معين . وعلى القيادة العسكرية أن تحدد داخل هذا الاطار ، نوع المناورة التي تفكر أن تحقق بها المهمات المعينة لها من قبل السياسة .

وتتعلق هذه المناورة بلا شك بالعلاقة الموجودة بين المهمة ، وقوة العدو ، وقوة الصديق، والارض. أما المهمات التي يمكن تحديدها للقوات المسلحة فيمكن اعادتها الى الأنواع التالية :

- احتلال منطقة أو منع العدو من احتلالها .
- تدمير قوات العدو أو انهاكها .
- الاندفاع بسرعة أو كسب الوقت .

وبعد دراسة الامكانيات التكتيكية أو التعبوية التي تحددها الظروف والأحوال والتسليح ... الخ ، تظهر لنا سهولة أو صعوبة العمل الواجب تنفيذه كما ينكشف لنا حقل عمله المحدود . وعلى القيادة دائماً ان تختار حلاً تفرضه عليها الاستراتيجية التي حللناها في الفصل الأول ، ويقود هذا الاختيار الى تحديد الموقف الاستراتيجي على مسرح من المسارح .

ولن نعود هنا الى جميع تعقيدات الحسم الاستراتيجي الذي ذكرناه آنفاً ، ولكننا سنحاول القيام بدراسة الحلول الرئيسية المستخدمة في اللعبة الاستراتيجية دراسة موجزة .

١ – عندما تتوفر الوسائل المتفوقة ، والقدرة الهجومية الكافية الأكيدة تكرس العمليات جهودها هجومياً لتحقيق المعركة الحاسمة . وهذه هي **الاستراتيجية الهجومية للتقرب المباشر** التي يتم فيها تحقيق التجمع الأقصى بالوسائل المتجهة نحو الكتلة الرئيسية المعادية .

٢ – عندما يكون التفوق صغيراً وغير أكيد ، أي عندما تجعل المعطيات التكتيكية من الهجوم وسيلة قليلة الفاعلية يظهر على المسرح حلان :

– أولهما انهاك الخصم بدفاعٍ يتخلله ويستفيد منه معاكس هجوم قوي . وهذه **الاستراتيجية الدفاعية – الهجومية المباشرة** .

– وثانيهما تضليل الخصم بهجوم مخادع في حقل بعيد عن المركز يجبره على توزيع قواه . وتحطيمه بعد ذلك بهجوم حقيقي في مكان آخر . وهذه هي **الاستراتيجية المباشرة للتقرب غير المباشر** .

٣ – اذا كانت الوسائل العسكرية غير كافية للوصول الى النتيجة المطلوبة ، يقوم العمل العسكري بدور اضافي مساعد ، في اطار مناورة **استراتيجية شاملة غير مباشرة** تحقق النتيجة الحاسمة بالأعمال السياسية والاقتصادية والدبلوماسية المتوافقة بشكل جيد .

وفي خلال هذا العمل العسكري المساعد تستطيع القوى العسكرية القيام بعمليات محدودة تتلاءم مع الموقف ، وتتمثل في استخدام القوة محلياً ، أو انهاك العدو بحرب عصابات شاملة أو التهديد باستخدامها .

العمليات والمبارزة الاستراتيجية

بعد اتخاذ الموقف الاستراتيجي تتجه الجهود كلها لتنفيذ هذا المخطط بأحسن شكل . ولكن الخصم يبغي تنفيذ مخططه أيضاً ، وهذا ما يؤدي إلى مجابهـــة حوارية ، يحاول كل واحد فيها تحقيق انتصار ارادته . ولقد رأينا في الفصل الأول الأفكار النظرية المتناسبة مع هذه المبارزة . ولكن تطبيق هذه الأفكار يختلف من عصر الى آخر . وتأخذ المبارزة الاستراتيجية أشكالاً متعددة يتعذر مع الزمن معرفتها .

وتبدو هذه المبارزة حسب العصور وكأنها اشتباك تستخدم فيه السيوف الخفيفة أو الصوارم الثقيلة أو الهراوات الغليظة أو الأيدي العزلاء . ويتم الصراع غالباً بشكل غير متكافىء ، كما في معـــارك المتصارعين gladiateurs حيث يتقابل سيف خفيف (نابوليون) مع صارم ثقيل جداً (ماك) ، أو عندما يصطدم الرجل الأعزل (شعوب المستعمرات) مع رجل مسلح بالخنجر (الجيوش الاستعمارية) . وتتم المبارزات عبر العصور بأشكال مختلفة وكأنها فيلم سينمائي يسير بسرعات متباينة يظهر المتحاربون معها وهم يقفزون ويعدون حيناً أو يسيرون ببطء وجلال حيناً آخر . وتعود كل أسباب (البطء والسرعة) الى امكانيات العصر التعبوية والادارية التي تستخدمها عبقرية القادة المتحاربين بشكل كامل أو شبه كامل .

ويقول جاملان في مقدمة كتبها عام ١٩٣٤ ، أن بين المخطط ١٧ (عـــام ١٩١٤) الذي كان يتوقع هجوماً من جهة الآردين ونهاية الحرب في عام ١٩١٨ اتفاقاً كاملاً في الفكرة الاصلية . ولكن تم في خلال الفترة الزمنيـــة الفاصلة

بينهما تحقيق تلاؤم الوسائل مع الاهداف الاستراتيجية ، وتوصلت الاستراتيجية الى وسائل مادية تجعل مناورتها ممكنة . وتكشف هذه المقارنة المعتمدة على تشابه جغرافي فقط ، الخطأ الكامن في الخلط بين عملين عسكريين يبدوان متشابهين ، ويجريان على الأرض نفسها ، ولكن في مرحلتين مختلفتين من مراحل التطور ، وفي ظروف متباينة . لقد كانت الضربة باتجاه الآردين في عام ١٩١٤ جنوناً للأسباب التالية :

أ) ان ضعف القدرة الهجومية في ذلك العصر عرضت العمل الى الوقوع في فشل أكيد .

ب ــ كانت الأرض غير ملائمة للهجوم بالوسائل المتوفرة آنذاك .

جـ ــ كان التقدم نحو المركز مع وجود جناح الماني غير مثبت يعني التعرض للتطويق ... ولكن الموقف في عام ١٩١٨ قلب عاملين من العوامل الثلاثة السابقة : لقد بقيت الارض غير ملائمة ولكن أ) القدرة الهجومية تزايدت بشكل كبير . ب) أصبح العدو مثبتاً في كل مكان ، واستنزف القتال قواته الاحتياطية ، وأصبح التقدم نحو المركز يهدد بتطويق جناحه الأيمن دون ان يستطيع الرد على هذا التطويق .

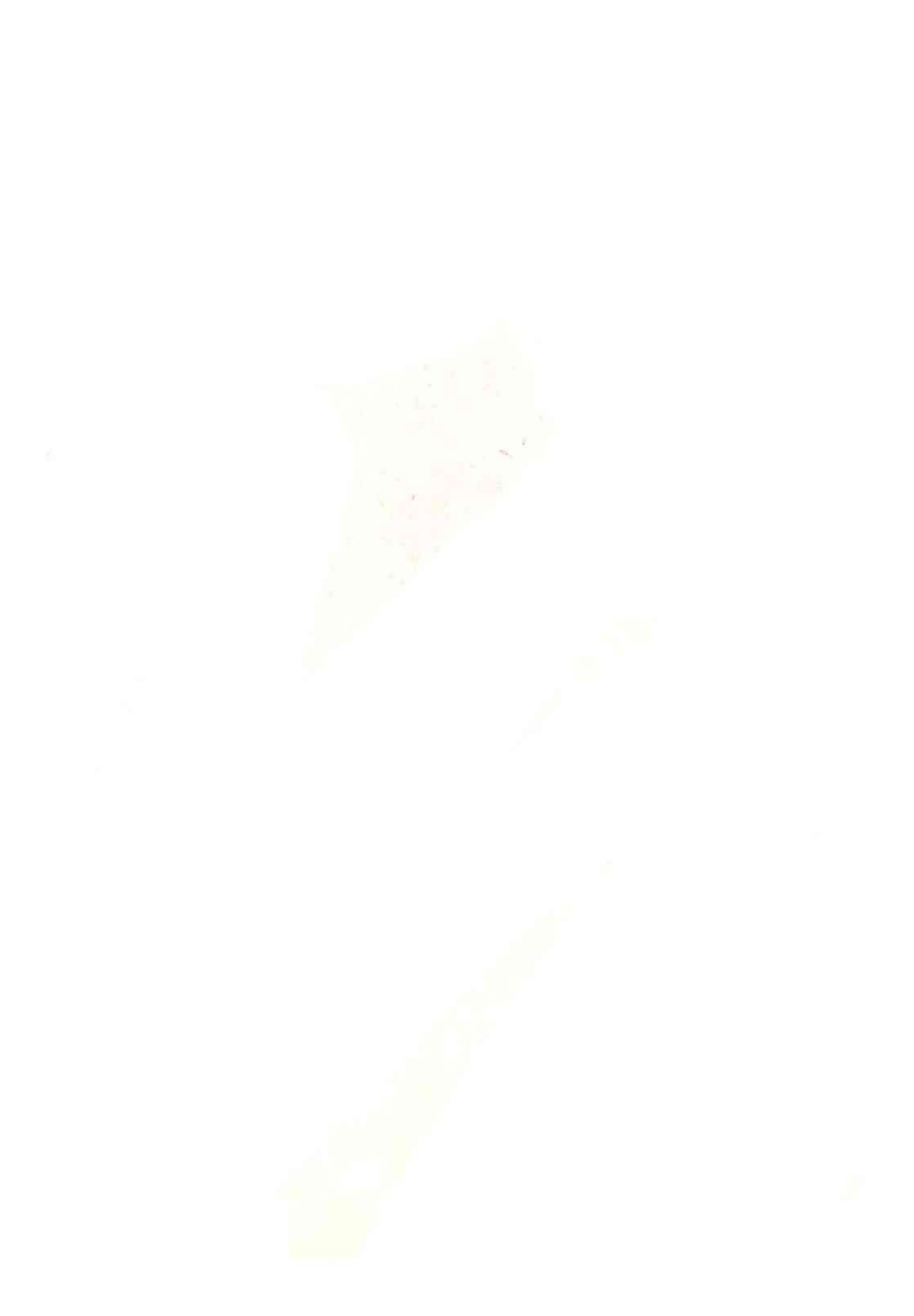
وهكذا تظهر المقارنة بين عام ١٩١٤ وعام ١٩١٨ قدرة القوات على الحركة في عام ١٩١٤ وثقلها وجمود حركتها في عام ١٩١٨ . وهذا يعني ان قواعد المبارزة الاستراتيجية تبدلت خلال ٤ سنوات تبدلاً تاماً . ولقد شاهدنا فيما بعد تبدلاً أعمق جرى بين عام ١٩١٨ وعام ١٩٤٠ أو بين عام ١٩٤٠ وعام ١٩٤٥ .

وتظهر كل هذه الاعتبارات صعوبة الفن العسكري وتبدله وتطوره . لقد كان التحليل والتفسير في السابق يعتمد اذا اقتضى الأمر على الصدفة . ولكننا لا نستطيع ان نفعل ذلك في الحاضر والمستقبل ، حيث تتحرك كل المفاهيم

الاستراتيجية وتتبدل . وعلينا ان نعتمد قبل كل شيء على دراسة التجارب الماضية ، وايجاد التلاؤم بين الوسائل الحديثة وهذه التجارب . صحيح ان كل تجديد يحمل في داخله خطراً كبيراً ، ولكن العمل الروتيني خاسر لا محالة.

ان علينا ان نبحث عن الحل في هـــذا المجال الفكري الرهيب المبني على الاحتمال والتخمين ، معتمدين على فكرة وجود تبدلات مستمرة في استراتيجية العمليات .

●



الفصل الثالث

الاستراتيجية الذرية

لقد احدثت الاستراتيجية الذرية – أو بالاحرى استفادت الاستراتيجية من آثار السلاح الذري ،فاحدثت انقلابات هامة في مفهوم استخدام القوى للحرب أو للحفاظ على السلم . ومن المفيد تحليل الآلية التي تمت هذه التحولات بواسطتها . إذ نستطيع بهذا الشكل قياس أهمية هذه الانقلابات بصورة أفضل ، التنبوء بالنتائج الممكنة لهذا التطور الذي نعيشه اليوم .

أهمية السلاح الذري وغرابته

ليس السلاح الذري ، الذي تتعاون من اجل خدمته كل الوسائط الحديثة اليوم ، « سلاحاً كبقية الاسلحة ولكنه أقوى منها » كما أعلن عنه في بعض الأحيان . فالسلاح الذري لا يقارن بأي سلاح من الاسلحة التي عرفناها من ناحية قدرته . ان قنبلة « ذرية » متوسطة من عيار ٢٠ كيلو طن تحدث قوة متفجرة مساوية لصلية ٤ ملايين مدفعاً من عيار ٧٥ مم . والقنبلة النووية الحرارية

(الهيدروجينية) المتوسطة من عيـــار (ميجا طن) تمثل صلية ٢٠٠ مليون مدفع عيار ٧٥ مم [١] . فهذه الطاقة الهائلة والتي تتضاعف فاعليتها ايضاً بسقوط الغبار الذري [٢] ، سيطلقها أفراد قلائل تقع على عاتقهم مسؤولية اطلاقها من عقالها . إنها لثورة فريدة من نوعها في عالم الحرب .

ومن جهة اخرى فان مدى الصواريخ حاملة الرؤوس الذرية يبلغ حوالي نصف محيط الكرة الارضية . لذا فان هذا السلاح سيكون في قدرته بلوغ أي هدف على الكرة الأرضية بدقة متناهية . وبلادنا [٣] في الوقت الحاضر تمتد على طول يكاد يكون ربع محيط الكرة الأرضيـــة . الأمر الذي يعني ان سلاحاً ذرياً واحداً يغطي بتهديده نصف الكرة الأرضية التي يشكل هو نفسه مركزها

وهكذا نرى ان السلاح الذري يحدث بحكم هذه الميزة المزدوجة (القدرة والمدى) ، ظاهرة جديدة كل الجدة : **فليس هناك من علاقات بين الطاقـــة والكتلة** (الاعداد الكبيرة) . وبالامس كنا نحتاج إلى ١٠٠٠ طائرة لتدمير مدينة كمدينة هامبورغ ومدفعية جيش بكامله لتدمير مدينة كمدينة برلين ، أما اليوم فتكفي قذيفة واحدة لتدمير احدى هاتين المدينتين .

---

١ - وفي الانفجارات الجوية ، العالية جداً ، قد تبلغ المنطقة المحروقة عـــدة عشرات من آلاف الكيلومترات المربعة .

٢ - تسبب الانفجارات الذرية ـ اذا حدثت على ارتفاعات منخفضـــة ـ مناطق موبوءة بالغبار الذري قد تبلغ مساحتها عدة آلاف من الكيلومترات المربعة.

(حاشية المؤلف)

٣ ـ يقصد بذلك بلاد العالم الغربي الداخلة في حلف شمالي الاطلسي .

ومن ناحية اخرى تتمتع هذه القوة النارية الهائلة **بحركية شبه كاملة**، مختلفة اختلافاً كلياً عن حركية الكتل المسلحة الثقيلة في الماضي، هـــذه الحركية الملتزمة بالطرق والمرتبطة بذيول ادارية طويلة. بينما في مكنة هذه القوة الذرية ان تصيب اية نقطة من الارض. فالدفاع عن الحـــدود بجدار بشري تشكله الجيوش أضحى دفاعـــاً غير قادر على حماية البلاد ضد التدمير المادي أو التلوث الذري. وتبدو القوات المسلحة التقليدية، قوات لا فائدة لها ابدا - لدى اول تحليل للوضع على الاقل.

طرق الاستراتيجية الذرية

فللوقاية من هذا الخطر الذي لم يسبق له مثيل، لا وجود على ما يبدو إلا لأربعة نماذج من الوقاية الممكنة:

- **التدمير الوقائي** للاسلحة المعادية (وهـــذا النموذج وسيلة هجومية مباشرة[1]).

- **ملاقاة** الاسلحة الذرية (وسيلة دفاعية)[2].

- **الوقاية المادية** ضد آثار الانفجارات الذرية (وسيلة دفاعية).

- **التهديد بالانتقام** (وسيلة هجومية غير مباشرة)

وقد استغلت هذه النماذج الاربعة لأغراض مختلفة وانتهت بأن امتزجت مع

---

١ - وذلك بالهجوم على مراكز اسلحة العدو الذرية وتدميرها.

٢ - Interception ويدخل في هذا المجال الصواريخ المضادة للصواريخ التي اخترعها الاتحاد السوفييتي وتوقعها البرنامج الامريكي الرامي الى خلق شبكة من الصواريخ المضادة للصواريخ عابرة القارات.

بعضها ضمن اطار من الصيغ الاستراتيجية الكثيرة التعقيد .

١ - لقد بدا في بادىء الأمر ان صيغة التدمير الوقائي لوسائل الانتاج ولوسائل اطلاق الصواريخ - ان لم نتمكن من تدمير الاسلحة الذرية نظراً لصعوبة تحديد مواقعها - لقد بدت هذه الصيغة وكأنها أفضل الصيغ وأحسنها وذلك لأن التفوق الامريكي كان تفوقاً هائلاً في هذا المضمار ، وكانت وسائل اطلاق القذائف الذرية المعادية مشكلة فقط من طائرات مرتبطة بقواعد جوية من السهل اكتشاف مواقعها وتحديدها ، الأمر الذي يسمح بتدمير معظم وسائل العدو الذرية تدميراً شبه كامل . وهكذا خطط تكتيك التدمير، المستند الى خطة نيران ذرية تتوقع الهجوم على كل هدف من أهداف العدو الذرية المعروفة .

ولكن هذا الوضع الملائم للولايات المتحدة الامريكية لم يدم وقتاً طويلاً : فقد تضاعفت الاهداف وازداد عددها بفضل ازدياد وسائل الاتحاد السوفيتي الذرية وبفضل تكتيك الانتشار الذي كان يطوره وينفذيه . فضلاً عن ذلك ، فإنه لم يكن من المستطاع اكتشاف مواقع عدد كبير من الاهداف الذرية نظراً لتدابير الانتشار المتخذة عند الانذار ، وانتشار هذه الاهداف فوق أراض لم تجهز تجهيزاً كافياً ، أو أراض ومواقع معروفة بصورة سيئة أو غير معروفة على الاطلاق . وبالاضافة إلى ذلك ، كانت السياسة السلمية التي أعلنتها منظمة حلف شمال الأطلسي ، لا تسمح باتخاذ المبادرة في شن أعمال القصف الذري بسهولة فلم يكن من الممكن مواجهة القصف الذري إلا كرد على قصف معاد . وهكذا فقدت صيغة تدمير وسائل العدو الذرية طابعها الوقائي بشكل أتاح فيه للنماذج الوقائية الاخرى ، كالملاقاة، والوقاية المادية ضد آثار الانفجارات والتهديد بالانتقام الذري الذي سنفحصه فيما بعد ، أهمية أساسية .

ولقد اتاحت دراسة مشكلة تدمير القوات استنتاج أهمية الهجوم المفاجىء : فاعتباراً من وجود مستوى معين من الوسائط الذرية ، قد يسبب لنا مثل هذا الهجوم المعادي تدميراً خطيراً إلى الحد الذي يصبح فيه ردنا مشكلة عويصة . وقد اقلقت هذه المشكلة الجديدة ، الشبيهة «ببيرل هاربور»[1] الذرية دوائر الاركان العامة طيلة اعوام ، وقادتهم في النهـــاية الى انشاء تكتيك « مضاد للمفاجأة » سنتحدث عنه عندما نتحدث عن النماذج الاخرى للحماية والوقاية ، وقد اضحى هذا التكتيك تكتيكاً كبير الفاعلية .

أما فيما يتعلق بقيمة الرد ، فقد كان من الضروري ان نحافظ على فاعليــة محتملة مقبولة للقضاء على قدرة التدمـــير المعادية ان امكن ، أو على الاقــل للتقليل من نتائجها بصورة محسوسة . إلا ان ازدياد وسائـــل الاطلاق وظهور القذائف الصاروخية زاد من صعوبة هذه المشكلة الى حد كبير ، حتى ان مدرسة عسكرية بكاملها ادعت ان تكتيك «معاكس القوي»[2] تكتيك معرض للفشل. والحقيقة انه اضحى من المستحيل تدمير كل شيء ، إلا انه من جهـة اخرى ، هناك خطوة كبرى في ترك جزء هام من القوى المعادية على قيد الحياة[3] . فمن

---

١ - يقصد بهذا التعبير التلميح الى الهجوم المفاجىء الذي قام به اليابانيون في ٧ ديسمبر (كانون اول) ١٩٤١ على الاسطول الاميركي ، مما ادى الى تعطيل القوة البحرية الامريكية لمدة طويلة . الا ان هذا الهجوم المفاجىء حسم تردد الولايات المتحدة الامريكيـــة فتدخلت بشكل حاسم في الحرب العالمية الثانية – ويقصد بهذا التعبير الهجوم الذري المفاجىء على مراكز اسلحة العدو ومستودعاته ومراكز اطلاقه .

٢ - « Contre - Forces » وبالتعبير الشائع ، « استراتيجية معاكس القوى » وهو يعني في الواقع طريقة تطبيق الاستراتيجية ، اذن فهو تكتيك .

(حاشية المؤلف)

٣ - لأن اية مفرزة ذرية تبقى على قيد الحياة ستقوم بالانتقام الذري.

الممكن دوماً ، وعلى الأقل ، تدمير الوسائط السريعة التأثر كالطائرات القديمة واجهزة الرادار التي تشكل جزءاً هاماً من الامكانات المعادية . وفضلاً عن اننا واثقون اليوم ان تكتيك « معاكس القوى » لن يكون فعالاً إلا جزئياً ، فإن تطبيق هذا التكتيك لا يزال يعتبر تطبيقاً ضرورياً؛ الأمر الذي يدعو الى مضاعفة وسائل الاطلاق . ومن ناحية أخرى ، بما ان عدداً كبيراً من الاهداف يقع في بلدان اوروبا الشرقية ، حيث نحاول جهدنا اقتصار عمليـــات التدمير فيها على المنشآت العسكرية ، فمن الواجب ان يكون « تكتيك التدمير » محدداً بدقة بالغة ، وان يستبعد استخدام انفجارات ذات طاقة كبرى . كل هذا يقودنا الى اعتماد برامج باهظة التكاليف .

ولهذا وفي نهاية التطور ، قام البعض باعادة فكرة عمـــل وقائي حقيقي يكون ذا مردود أعلى لسببين : أولهما اننا لم نتعرض بعض لخسائر الصلبة المعادية الأولى وثانيهما ان العدو الذي لم يتم انذاره وانتشاره سيتعرض لدمـــار اكبر . وللتوفيق بشكل مقنع الى حد ما بين مفهوم هـذا العمل الوقائي ، مفهوم العمل السياسي المتضمن الامتناع عن العدوان، اطلق على هذا العمل الوقائي اسم العمل المسبق ، مع التأكيد بأن هذا العمل الخاص لن يشن إلا اذا ظهرت دلائل مؤكدة تسمح بالتنبوء بهجوم معادٍ وشيك الوقوع.

ومهما يكن من أمر ، فإن الوقاية الكاملة عن طريق تدمير وقائي للوسائل المعادية تتبدّى عويصة لدرجة رهيبــة [1] . إلا ان هذا التدمير يبقى ضرورياً اثناء النزاع ولكن بنتائج جزئية فقط . وهنا لا بد اذن من استخدام وسائل الحماية والوقاية الأخرى .

---

١ ـ هذا الاستنتاج (وخاصة في ظروف تطور الغواصات) لا يتعارض مع النظرية الامريكية الحديثة التي تفضل استخدام تكتيك (معاكس القوى) على تكتيك (معاكس المدن) وسنعود الى هذه النقطة عند بحث الردع .

٢) ملاقاة الاسلحة الذرية :

وقد ظهرت هذه الوسيلة بسرعة نسبياً بصفتها العنصر المفتاح للاستراتيجية الجديدة . فإذا استطعنا تحقيق الملاقاة بصورة مطلقة لم نعد بحاجة الى عمل وقائي ـ هذا العمل الخطير من الناحية السياسية ـ ولن نحتاج ايضاً الى الوقاية المادية وعندئذ يفقد التهديد المعادي بالانتقام كل قوته .

إلا انه من الصعب جداً تحقيق هذا الهدف المثالي من الناحية التقنيـــة (التكنولوجية) ، كما ان من الصعب المحافظة عليه. ففي هذا السباق التكنولوجي الجبار الذي ينفتح بين الملاقاة والاختراق [1]، نرى في كل تقدم تقني جديد للملاقاة، تقدماً فنياً جديداً للاختراق يرد عليه . وبهـــذا الشكل يتطور في السلم شكل جديد من الاستراتيجية ، تكاد معالمها تتحدد في النزاعات السابقة التي كنا نسميها في الماضي (سباق التسلح) .

ولا تفتح هذه الاستراتيجية معارك ابداً ، إلا أنها تحاول التفوق على ميزات الأعتدة المعادية . وقد اعطيت اسم« الاستراتيجية الادارية » أو « الاستراتيجية الوراثية ».وتكتيك هذه الاستراتيجية تكتيك صناعي وتقني ومالي. إنه شكل من اشكال الانهاك غير المباشر، الذي يكتفي بابطال قيمة الوسائل المعادية وتكليف الخصم مبالغ باهظة بدلاً من تدمير تلك الوسائل . وبهذا الشكل اتاحت اجهزة الرادار الانجليزية في معركة انجلترا النصر الدفاعي الجوي الأول في التاريخ[2] . إلا ان الطائرات التي كانت تحلق على ارتفاعات عالية ابطلت مفعول كل اجهزة

---

١) الاختراق ، اي اختراق القذائف الصاروخية للمجال الجوي بغرض الوصول الى اهدافها في البلد المعادي ، أما الملاقاة فهي تفجير قذائف العدو في الجو قبل وصولها الى اهدافها .

٢ ـ أتاحت اجهزة الرادار عندما صنعت في الحروب العالمية الثانية ، من قبل الانكليز ، =

الرادار وكل المدفعية المضادة للطائرات. ثم تفوقت الصواريخ أرض ـ أرض تلك الصواريخ التي لا يمكن ملاقاتها ، على الطائرات المرتبطة بقواعد ارضية ثابتة معرضة للهجوم ، بينما جعلت الصواريخ أرض ـ جو قطع صواريخ أرض ـ أرض وملاقاتها خلال مسارها أمراً محتملاً . ولكن الصواريخ جو ـ أرض سمحت للطائرات ببلوغ أهدافها مع بقاء هذه الطائرات خارج مدى الصواريخ أرض ـ جو للدفاع الجوي ، ويبـــدو الآن ان ملاقاة الصواريخ أرض ـ أرض أصبح ممكناً الخ .

وهكذا تدور حرب صامتة ظاهرها سلمي إلا انها معركة حاسمة وحدها. ومع ذلك ، فان السباق لم ينتهِ بعد ، والملاقاة على ارتفاعات عالية أو منخفضة يبقى مشكلة المشاكل .

٣) فهل من الممكن القضاء على آثار النيران الذرية بصورة مقبولة بوقاية مادية ؟ قبل ظهور السلاح الهيدروجيني (النووي الحراري) ، كانت هنـــاك حلول ممكنة مثل : الدفن تحت الأرض ، الانتشار ، الحركة ،الوقاية بمنشآت إسمنتية الخ .. إلا أن أياً من هذه الحلول لا يتيح حماية مطلقة إلا أنه يقلل من مردود الرمايات الذرية إلى حد كبير (يقلل من مردودها حوالي ٢٥ مرة ، في أفضل الحـــالات) . وبظهور السلاح الهيدروجيني (النووي الحراري) تحافظ الوقاية على قيمتهـــا النسبية ، إلا أن قوة الهجوم تزداد لدرجة أضحى الأمل بتحقيق حماية

= ربح المعركة الجوية فوق بريطانيا ضد الالمان رغم شراسة هجمات الالمان الجوية وذلك بتحقيق انذار كاف يساعد الطيارين الانجليز على كشف وملاقاة اسراب الطائرات الالمانية قبل وصولها الى اهدافها .

فعالة وكافية منها أملاً صعباً ، ومن الواجب ان نخصص لهـــذا الفرض الوقائي مبالغ خيالية . وقـــد توصل الكثيرون إلى ضرورة بذل كل الجهود لاعداد الوسائل الهجومية وزيادة قدرتها على الاختراق(المجالات الجوية والنطاقات الدفاعية) .

٤) والواقع أنه رغم وجود كل هذه الوسائط الدفاعية ذات القيمة المتغيرة وغير المؤكدة ، لا يوجد حماية حقيقية إلا في التهديد بالانتقام . فلهذا لا بد من تملك « قوة ضاربة »[١] ذات طاقة كافية لارغام الخصم وتحويله عن استخدام قوته الخاصة . هذه الاستراتيجية هي استراتيجية الردع بأبسط أشكالها الأولية : إذ نحـــاول التأثير على ارادة الخصم بصورة مباشرة دون المرور باختبار للقوة. ومن خلال هذه الفكرة العامة سنرى تطور استراتيجية تزداد تعقيداً ودقة .

استراتيجية الردع :

أ ــ الردع النووي .

يستند الردع أولاً إلى عامل مادي : فمن الواجب أن يكون لدينا طاقـــة تدمير كبرى ، ودقة جيدة . وقدرة عظيمة على الاختراق. ولقد رأينا فيما يتعلق بالملاقاة أهمية هذا الصراع الدائم للمحافظة على قدرة اختراق كافية . وبما اننا لا

---

١ ــ قوة ضاربة Force de Frappe وهي الترجمة الحرفية لكلمة Striking Force عن الانجليزية . والواقع ان التعبير الملائم لهذا المفهوم هو« القوة الهجومية » او «قوة الهجوم» .

(حاشية المؤلف)

تجارب ، فان القيمة الحقيقية لقدرات الملاقاة والاختراق تبقى قيمة تخمينية - كما تبقى قيمة تدمير الخصم أيضاً قيمة تخمينية . وهنا يمكننا ان نفهم بصورة أفضل أهمية طائرات U2 هذه الطائرات التي سمح طيرانها بقيـاس قيمة الملاقاة المعادية وتسببت بالسخط الذي تملك السوفييت عندما رأوا خصمهم يمارس مثل هذه التجارب .

ويعتقد هذا العامل المادي الذي هو في الأصل عامل غير مؤكد بصورة غريبة إذا ادخلنا في حسابنا الفرضيات المتعلقة ، بمن يكون البادىء بالرمي من بـين الفريقين المتصارعين . ولم يكن لهذا الحساب أهميـة كبرى في عصر الطائرات البطيئة نسبياً لأن مدة الانذار كانت كافية لملاقاة الهجوم الذري والرد عليـه في الجو . وعلى العكس من ذلك بظهور القذائف الصاروخية لا وجود للردع إذا كان للصلية الأولى المعادية طاقة تدمير تضعف ردنا عليه بصورة هائلة .وهكذا فإن قيمة الردع بهذا الشكل مرتبطة بالقوة الباقية بعـد التعرض للصلية الأولى المعادية لا بطاقة القوة الضاربة الأساسية ، إذن فقيمة الردع مرتبطة بقدرتها على البقاء بعد الضرب . ومن هنا نتج **تكتيك البقاء** ، وهو تكتيك باهظ التكاليف وكثير التعقيد يستهدف تحقيق انذار شبه فوري باستخدام (اجهزة رادار كبيرة، اقمار صناعية ، اتصالات اوتوماتيكية وآلات حاسبة اليكترونية الخ...) وشن مهمات جوية ورمايات ذرية قبل وصول الصلية الذرية المعـادية وذلك بواسطة (طائرات محلقة في الجو بصورة مستمرة أو في حالة انذار لمدة خمس عشرة دقيقة، وقذائف صاروخية ذات وقود جاف الخ..) ، وبحماية ادوات الرمي عن طريق الحركة (غواصات ذرية) ، وبالتحصينات الاسمنتية لارغام الخصم على صرف عدد كبير جداً من الاسلحة الذرية على كل هدف من الاهداف ، أو بالانتشار . وتتعلق نتائج المعادلة التي تعطي نتائج الضربة المعادية الأولى والرد عليها بالقيمة النسبية لتكتيكات البقاء لكل جزء ، كما تختلف النتائج ايضاً تبعـاً للفاعلية المقدرة لتكتيكات الملاقاة ولتقدير دقة الرمايات . وتصبح هذه النتائج تدريجياً

نتائج تخمينية .

ولكن لكل ما تقدم طابع حسابي اذا ما قورن بالعامـــل النفسي الذي يفوقه أهمية ، هذا العامل الذي لا يمكن تقديره . فنحن نريد التأثير على الخصم حتى نمنعه من استخدام قوته الضاربة . فلكي يتحقق ذلك ينبغي اولاً ان يكون لدينا طاقة تدمير من القوة بحيث يخشاها خصمنا ، ثم نجبره على الاعتقـاد باننا قادرون على الانتقام منه - كرد عليه أو في ضربة اولى — .

ولقد كان مفهوم طاقة التدمير الكافية من وجهة النظر النفسية ، هدفـــاً لتقديرات مختلفـــة . وبالاستناد الى سابقـــة هيروشيما وناجازاكي ، يرى البعض ان تدمير بضعة مدن كبرى كافٍ لاستسلام أية دولة حديثة . ويذهب البعض الآخر الى أبعد من ذلك فيحسبون جزء من القوة الاقتصادية المعادية التي ينبغي تدميرها لإصابة الدولة المعادية بجرح بليغ ولانزال الخسارة بقوتها بشكل نسبب لها فيه أذى دائماً وغير محتمل ، ويعتبر بعض «المنظّرين» الامريكيين ان التدمير الوحيد الفعال هو تدمير الاسلحة الذرية لأن تدميرها ينزع سلاح الخصم. فينبغي اذن ان تسمح طاقة التدمير . «برمي معاكس بطاريات[1]» العنيف يضاف الى نتائجه ضمور مخزونات العدو بسبب هجومه على وسائل اطلاقنا . وترتسم مختلف وجهات النظر هذه في التكتيكين المتقابلـــين « معاكس ـ القوى » و « معاكس ـ المدن » . ان الاختيار بين هذين الحلين صعب جداً . وقد رأينا ان تكتيك « معاكس ـ القوى » يكون فعالاً جـــداً لو استطعنا الوثوق من تحقيقه بصورة كاملة . ولكن بالاضافة الى انه تكتيك باهظ التكاليف ، فقد اضحى تدريجياً غير مؤكد بسبب تحسن وتطور تكتيكات البقاء . وهكـــذا

---

١ - Contre Battarie رمي معاكس البطاريات ، تعبير مأخوذ من تعبيرات المدفعية التقليدية ويقصد به ضرب مواقع تمركز مدفعية العدو لتدميرها او ابطال نيرانها .

نجد أنفسنا وقد جرنا الاغراء للتحول الى تكتيك « معاكس – المدن » هذا التكتيك الذي هو اسهل بكثير واقل التكتيكات من ناحية التكاليف والذي سُمي (استراتيجية الهجوم الرادع الأدنى) .

ولكن يلاحظ فقط اننا اذا لم نهاجم – أي أننا لم ندمر – أساس طاقة الضرب المعادية ، فاننا سنخضع لعقاب رهيب ، عندما نقوم بأي تدمير . وبالتبادل نصل الى تدمير شامل متبادل ، وقد يكون هذا التدمير غير متكافىء وينقلب ضدنا وبذلك نتعرض للردع بمقدار ما تعرض له العدو . فضلاً عن ذلك، فليس هناك بالالزام تناظر في الردع : فالمدن الامريكية الكبرى أكثر تأثراً بالتدمير الذري من المدن السوفيتية . وهذا ما يفسر اختيار الامريكان لتكتيك « معاكس – القوى » والاختيار المحتمل للسوفييت لتكتيك « معاكس – المدن » [1] ويفصح هذا الاختيار أيضاً عن نوايا هامة جداً : فالذي يختار حل « معاكس – المدن » يؤمن بالقيمة المطلقة للردع الذي يحققه ، وفي حالة النزاع لا يجد أمامه منفذاً إلا في الانتحار المتبادل. أما الذي يختار « معاكس – القوى » فهو الذي يشك بقيمة الردع ويقبل احتمال نزاع ذري يشتمل على استخدام شبه كامل للقوى الضاربة الاستراتيجية الأمر الذي يزيد من قدرته الرادعة . وعلى كل حال فالاختيار مفروض على الدول الذرية الثانوية (كبريطانيا وفرنسا والصين) ، هذه الدول التي لا تستطيع ان تملك الوسائل الضرورية لتنفيذ تكتيك « معاكس – القوى » . فالى أي حد يمكن لمثل تكتيك « معاكس – المدن » ، هذا التكتيك

---

١ – ان العدد الضعيف نسبياً المقدر للقذائف الصاروخية السوفييتية .I.C.B.M العابرة للقارات تشير الى اختيار السوفييت لتكتيك « معاكس – المدن » او لوجود صعوبات لم تسمح حتى الآن بتحقيق برنامج « معاكس – القوى » الذي يتفق مع النظريات السوفيتية المطبوعة ، وربما كان من جملة اهداف محاولة اقامة قواعد الصواريخ في كوبا عام ١٩٦٢ الاسراع بتحقيق طاقة « معاكس – القوى » .

(حاشية المؤلف)

المحدود بالضرورة ، ان يردع وان يشل بالتالي ، أحد الفريقين الكبيرين ؟ بما ان طاقات التدمير لديهما غير متساوية اذن فلا يمكن اعادة التوازن فيما بينهما إلا بشكل آخر من اشكال الاقناع : الخوف من ان يشن الأضعف منهما الانتقام الذري .

وتشتمل الدرجة الاولى من هذه العملية على اعطاء البدء بهذا العمل أساساً عقلانياً يتيح له الاحتمال الممكن . وهــــذا ما دعي **الاحتمال المعقول**. ولا ينتج هذا الاحتمال عن قيمة التوازن المادي الذي رأيناه واعلنا عن طابعه الايجابي ، ولكنه ينتج أيضاً عن المقارنة بين المخاطرة وما ينجم عنها. فقد تجد دولة كالسويد تدافع عن حريتها ، قد تجد نفسها أمام مغامرة شاملة على حين لن يجني الاتحاد السوفييتي من غزوها إلا مكسباً محدوداً . فمن الممكن فهم انتحار السويد كانتحار قائد المركب الذي يفضل تفجير برميل البارود في مركبه على استسلامه للقراصنة. فالخسائر التي سيتعرض لها الاتحاد للسوفييتي لن تقارن أبداً بالمكاسب المحتملة لهجومه . وهنا نجد الاساس المنطقي لأعمال الردع الوطنيـــة الصغيرة . ولنضف الى ذلك أن هذه اللعبة الخطيرة تفترض حداً معيناً من الثقة بالردع ... فإذا قدر للخصم أن يقتنع اننا حسبنا ان من مصلحتنا في مثل هذه الحالة ان نشن هجوماً بقوانا ، فسيؤمن بالتهديـــد بصورة أسهل . ولنلاحظ فوراً ان اللعبة ثنائية، وان صراع احتمالين ممكنين ومتضادين على كسب متقارب يؤدي الى انعدامهما .

عندئذٍ تتدخل الدرجة الثانية من الاقناع المستندة في هذه المرة على عدم العقلانية Irrationalité .فإذا كان علينا ان نواجه جنوناً، لا ينبغي علينا ان ندفعه بعيداً جداً في خنادقه ! فحزم دالس وانفعالات خروتشوف وحذاؤه ، وعناد ديغول البارد تتلاءم مع هذه اللعبة البسيكولوجية التي قد يتجاوز أثرهـا كل الحسابات المستنبطة من العامل المادي . ففي الحقيقة يعتمد العامل الحاسم على ارادة شن هذه الكارثة ، وحمل الناس على الاعتقاد بأننا نملك مثل هذه الارادة

هو أهم بكثير من كل ما تبقى . وبالطبع ، يقـــوم الجميع بالخداع « والبلف » ولكن الى أي مدى ؟

كل هذا يقودنا الى حوار دقيق يستهدف تقـدير احتمالات ردود فعل الخصم تبعاً لوسائطه ولارادته في استخدام هذه الوسائط، وتبعاً للرأي الذي يتكون لديه عن وسائطنا وعن ارادتنا في استخدامها ، وفي فكرته التي يكونها عن الفكرة التي نكونها نحن عن وسائطه وعن ارادته في استخدامها .

ومن هذا الجبل من التقديرات التخمينية ، والفرضيات والتقديرات المستندة الى حدس معقد ، لا يبرز إلا عامل وحيد ذو قيمة غير مؤكدة هو : الشك [1] . فالشك هو الذي يشكل في نهاية المطاف العامل الاساسي في الردع . كما يجب أيضاً ان يكون الردع غرضاً لتكتيك خاص يكون الهدف فيه زيادة الشك أو المحافظة عليه . كما ينبغي ان تفتح التدابير المادية المتخذة امكانيات مختلفة وان تكون هذه الامكانات معروفة من الخصم. وينبغي بالاضافة الى ذلك زرع الشك في كل العناصر التي تسمح بتقدير نوايانا الحقيقية . وبالطبع ، لا بد من تجنب أي عمل او الادلاء بأي تصريح قد يلغي احدى الفرضيات التي يخشاها العدو . ولهذا السبب ، مثلاً ، نرى ان كل المعارك التي نظمت للامتناع عن استخدام السلاح الذري التعبوي ، معارك معاكسة للعبة المفهومة لإستراتيجية الردع . ولقد كان الامر كذلك أيضاً بالنسبة للتصريحات الامريكية حول « الصاروخ العابر للقارات » والامتناع عن استخدام استراتيجية الردع الشامل [2] .

---

١ – Incertitude.

٢ – يشير المؤلف هنا الى مناداة بعض القـــادة العسكريين والسياسيين في الولايات المتحدة الامريكية باستخدام الاسلحة الذرية التكتيكية ، في الهند الصينية وكوريا والصين لحسم الحروب=

ب) أعمال الردع المتممة :

وعلى كل الاحوال، فان الوسائل الحالية التي تزداد قيمتها بازدياد شكوك العدو حولها ، تخلق درجة معينة من الردع . وهذه « الدرجة المعينة » من النادر أن تبقى درجة مطلقة منذ أن أصبح لدى المعسكرين أسلحة نووية. إذن فهذا يعني وجود هامش من عدم الردع، أي وجود درجة معينة من حرية العمل لكل من الخصمين الموجودين في اطار الاعمال الجانبية أو المحدودة التي تبدو نتيجة الصراع فيها غير متكافئة لتبرير استخدام التهديد بالردع . وتقود نتيجة هـــذا الوضع (وهو وضع تخميني) إلى فتح مجال جديد في استراتيجية الردع هدفه تتميم اثر الردع للتهديد الذري بوسائل أخرى، بغية تقليص كل هامش لحرية عمل الخصم أو إلغاء هذا الهامش . ولبلوغ هذه النتيجة في الردع ، لدينا طريقتان : الطريقة الاولى مادية ، وتشتمل على أن نقدم للخصم جهـازاً من القوات العسكرية قادراً على تفشيل كل العمليات التي قد يقوم بها بفضل الهامش المحتمل في حرية عمله . وهـذا هو السبب الذي من أجله وجدت « دروع » القـوات الجويـــة – البحرية البرية أو الجوية التي تدافع عن المناطق الحساسة . وهذا هو سبب وجود « فيالق التدخل » . القادرة على الانتقـــال الى المناطق المهددة [1] . وتسمح هذه الوسائل المادية بتجنب المعضلة الهامة المتمثلة في مبدأ كل شيء أو لا شيء، أي أنها تسمح بتجنب الاضطرار الى الاختيار

= التقليدية المحدودة وانهائها لصالح الامريكيين ، لأن القوات التقليدية قد عجزت حتى الآن عن حسمها حسماً كاملاً .

١ – اعتمد الامريكيون في استراتيجيتهم الجديدة على قواعدهم المنتشرة في كل مكان من العالم وقدرتهم على التدخل قبل الاتحاد السوفييتي في كل نزاع بقوات تقليدية سريعة الحركة =

بين التضحيات المتبادلة أو القبول بالامر الواقع . وتشمل الطريقة الثانية ذات الطابع البسيكولوجي على القبول بمخاطر شن الانتقام اذا حدث نزاع محلي. ان هذا التهديد بالتصعيد الى الحدود القصوى، بُعيد درجة معينة من الشك والتردد على أهمية أهـــداف النزاع ، وحتى ولو بدت اهدافاً محدودة مبدئياً ومن وجهة النظر هذه ، يلعب وجود الاسلحة الذريه التكتيكية ، مع مخاطر التصعيد التي قد يتضمنها استخدام هذه الاسلحة ، يلعب هـــذا الوجود دوراً هاماً جداً في ميدان الردع . وتبدو الخطورة للكثيرين خطراً مؤكداً ، فهـو خطر إذا لم يقم الردع بلعبته . ولكنه يشكل على العكس عامل أمن اضافي في استراتيجية الردع. وينبغي أن لا يغيب عن ذهننا هذا المظهر .

وتزداد أهمية هذه الاستراتيجية التكميلية في الردع الذري مع ازدياد ابطال التهديدات الانتقامية المتبادلة للطرفين. ففي هذا الوضع يضعف الاعتقاد تدريجياً بشن الانتقام ، وبالتالي يضعف التهديد بالتصعيد . وهكذا نرى ان استراتيجية

– قادرة على القيام بضربات صغيرة مفاجئة مـــع عرض مباشر للتفارض بشكل يجعل الاتحاد السوفييتي عاجزاً عن اتخاذ القرار بهجوم معاكس ذري . لذا انشأت الولايات المتحدة الاميركية أساطيل بحرية – جوية متحركة تحمل « فيالق التدخل » المؤلفـــة من قوات انزال ، ووزعتها في جميـــع بحار العالم كقوة رادعـــة تحمي الاستعمار الجديد بكل اشكاله ومظاهره (مصالح اقتصادية ، قواعد ، دول عنصرية ، حكومات مستخذية خاضعة للنفوذ ، حكام ترتبط مصالحهم مباشرة مع الغرب .. الخ) وتملك الولايات المتحدة في البحر الأبيض المتوسط مثلا قوة قمع هي الاسطول السادس المؤلف من (تاسك فورس ٦٠) الذي يحـــوي على ٣ غواصات حاملة للصواريخ الذرية بولاريس ، وحاملتي طائرات تحملان ٢٠٠ طائرة قاذفـــة مطاردة ، وعدة مراكب حربية مقاتلة ، و ٢٠ مركب انزال قادرة على انزال ٢٥ ألف جندي . بالاضافة الى (تاسك فورس ٦٣) الذي يحوي مراكب الامداد والتموين. ويلعب هذا الاسطول منذ تأسيسه دوراً هاماً في سياسة منطقة البحر المتوسط والشرق الاوسط ، ويؤثر وجـــوده على التصرفات الداخلية والخارجية لبعض الحكومات كما يؤثر على وجود بعض الحكومات الاخرى نفسه .

الردع ، مع كل النفقات التي تكلفها تؤدي بنا الى طريق مسدود : فنعود الى استراتيجية تقليدية تكلفنا كثيراً من النفقات بالاضافة الى نفقات السلاح الذري الباهظة – وكأن هذا السلاح غير موجود – . ان هذا الاتجاه هو الاتجاه الذي يتطور وينمو في الوقت الحاضر ، منذ ان اضحى لدى القوى الضاربة (القوى الهجومية) قدرة لا بأس بها على البقاء على قيد الحياة أو عندما تمتلك مثل هذه القدرة .

ومع ذلك نرى ان الواجب يحتم العودة بالضبط الى نقطة الانطلاق أي الى وضع مماثل للمرحلة السابقة على وجود الاسلحة الذرية. والواقع ان وجود الاسلحة الذرية يحافظ على خطر يتعلق تقديره اساساً بعوامل الشك وعدم العقلانية التي رأيناها فيما سبق . ولطالما كان لهذه العوامل أهمية لا يمكن اهمالها ، لا نستطيع أن نتصور أن يكون من الممكن مثلاً حدوث حرب تقليدية كبرى من نموذج حرب ١٩٣٩–١٩٤٥ ، لأنه من المستحيل أن نكون واثقين في هذه الحالة من ان لا تتصعد هذه الحرب الى الحدود القصوى . ولهذا من الممكن تحقيق درجة عالية من الردع التقليدي بوسائل تقليدية إلا أنها محدودة: فكمية القوات والمخاطر التي ينبغي ركوبها قد تخلق وضعاً خطيراً من الصعوبة ان نتصور ان لا يؤدي هذا الوضع الى تصعيد . وهكذا نرى تحقيق ردع شبه مطلق : فالقوى الضاربة المتوازنة تردع باحتمال نزاع ذري شامل بينما تردع القـــوى التقليدية باحتمال وقوع نزاع محدود ، كما ان الخطر الدائم بالتصعيد يردع بتحويل النزاع المحدود الى مقامرة خطيرة النتائج [1] . ويحدث التوازن العام عندئذ من محصلة هـذه الاعمال الثلاثة

---

١ – يؤدي التوازن الذري عادة الى العدم الذري . لأن خوف الخصمين من ارتكاب حماقة تؤدي الى الانتحار المتبادل يجعل وجود السلاح الذري كعدمه . ولكن فقدان التوازن الاكيد الشامل، والحصول على قدرة ضاربة كافية مع قدرة اكيدة على صد الضربات المعادية سيؤدي حتماً الى اندلاع حرب ذرية يشنها المتفوق لابادة خصمه بضربة سريعة مفاجئة. ان الولايات المتحدة=

التكميلية والمتضامنة والتي تتعلق فاعليتها الى حد كبير بعامل الشك .

وينبغي أن نلاحظ مع ذلك ، وفي هذا الوضع بالذات ـ إذ أثبتت التجربة وبرهنت عن ذلك ـ أن الردع يترك هامشاً ضيقاً لحرية العمل إلا أنه هامش هام: هذا الهامش هو ما تستثمره الاستراتيجية السوفيتية غير المباشرة في الساحة العالمية . ان العمل السياسي والاقتصادي ، واستخدام حركات ثورية اجنبية ، حتى النزاعات التي يتدخل فيها أشخاص من خارج البلاد ، لا يشلها تأثير الردع، أو على الأقل لا يصيبها الشلل الذي درسناه فيما مضى . وينبغي أن يقودنا نفس المنطق الذي قادنا إلى بناء جهاز تقليدي متمم إلى بناء جهاز ردع في المجال غير المباشر .

ان الغرب يفتش عن صيغة كبيرة الفاعلية في هذا المجال ، إلا أنه لم يجدها لاسباب تتعلق بصورة خاصة بالفهم السيء لهذه المشكلة . فهذا الموضوع الهام هو في جوهره كثير التعقيد لا يمكن تلخيصه هنا بل سأبحثه بصورة مستقلة ، ولكن من الطبيعي أن كل ثغرة في جهاز الردع تعطي لخصم حاذق وذكي امكانات عمل قد تستطيع مع الوقت أن توقع جهاز الامن الغربي في دائرة الخطر .

الامريكية والاتحادالسوفييتي لم يحصلا في أية مرحلة من مراحل سباق التسلح على هذا التفوق الكامل الأكيد الذي لا تنتابه أية شبهة ولا تتخلله ابسط الشكوك ، وهذا ما دفعهما دائماً الى الامتناع عن استخدام السلاح الذري رغم ارتفاع حرارة المجابهة بينهما احياناً الى الدرجة القصوى .

استراتيجية الحرب

برغم كل الجهود المبذولة للردع ، لا يمكن التأكيد ان الحرب لن تنفجر ، وذلك بسبب عوامل الشك واللاعقلانية التي أشرنا الى اهميتها . فلنقل : إلا في حالة الجنون - وهي حالة لا يمكن استبعادها ، فظهور هتلر منذ مدة قريبة دليل على ذلك - ستكون الحرب نتيجة « خطأ في الحساب » أي نتيجة تقدير متفائل جداً عن ردود فعل الخصم . وقد نعتقد ان في مكنتنا ان نعمل هذا العمل أو ذاك بلا عقاب فنطلق المأساة . فماذا ستكون عندئذ استراتيجية العصر الذري ؟ عندما كانت استراتيجة الردع تستند أساساً الى الانتقام الشامل الجماعي ، كانت استراتيجية الحرب تختلط باستراتيجة الردع : فلو نفذت خطة النيران الرادعة ، لنتج عنها من كلا الطرفين دمار هائل ، ولكن بما ان الفكرة هي أن أحد الطرفين (وهو الخصم طبعاً) سيوضع خارج المعركة - تبعاً لاستراتيجية « قصم الظهر فإن مرحلة انهاء الخصم ستتم عندئذ بواسطة ما تبقى لديه من اسلحة ذرية ، وتتخذ الحرب عندئذ الطابع الاولي لمشروع تدميري عقلاني وجبار ، تليه مرحلة استثار من الصعب التنبوء بها بسبب الارتباك والشك في كل المجالات حول نتائج ما سمي « بالتبادل الذري » وهو تعبير رقيق لا يدل على خطورة مضمونه .

وتؤثر هذه النظرة المبسطة بوزنها أيضاً على المفاهيم العسكرية أولاً بقوة جذبها المغناطيسية وثانياً لان كل تمارين وقت السلم التي تستهدف التحقق من قيمة الردع وتحسينه تنصب على دراسة « التبادل الذري » مما يساعد على الاعتقاد بأن هذه الصورة هي صورة الحرب المحتملة .

إلا أنه لحسن الحظ ، ليست هذه هي الصورة الوحيدة أو انهـا على الأقل صورة لاحدى الفرضيات ، بل صورة للفرضية الابعـد احتمالاً : افتتاح الحرب بحرب ذرية ضمن الحدود القصوى. والواقع أن فكرة وجود استراتيجية للحرب مختلفة عن استراتيجية الردع فكرة ولدة تدريجياً مع ازدياد خطورة التهـديد الذري المعادي . ان استراتيجية الردع تستهدف إخافة الخصم ، وينبغي إذن أن تكون لها امكانية القيام بدمار مرعب حتى لا تحتاج إلى القيام بمثل هذا الدمار. ولكن إذا كان لا بد من الدمار المتبادل فأين المكسب من هذه الاستراتيجية؟ فقيامنا بعمل يؤدي الرد عليه إلى موتنا هو شكل مقنع من العقاب الانتحاري بطريقة الهاراكيري . هذه الاستراتيجية ليست باستراتيجية. بل على العكس، لا بد من عمل كل ما يمكن أن يعمل لتجنب مثل هذه النهاية . ومن المحتمل أن يمارس خصمنا نفس هذه المحاكمة المنطقية ، إذن فليس هناك إلا فرص ضعيفة كي يفتتح الخصم نزاعه بهجوم نووي شامل . ولا يمكن للخصم أن يقوم بمثل هـذا العمل إلا إذا تقدم علينا في هـــذا المجال تقدماً كبيراً وكان قادراً على الاعتقاد بأن يخرجنا من المعركة منـــذ الضربة الأولى ، ولكن هذه الفرضية مستبعدة منذ اللحظة التي تحافظ فيها قوة الضرب على درجة كافية من القدرة على البقاء . وفي هذه الشروط ، فإن اكبر احتمال هو ان يفتـح الخصم العدوان بعمل محدود . والسؤال الذي يطرح الآن هو معرفة الرد على هذا العمل المحدود .

وبعكس ما يمكن ان نعتقد فإن الجواب على السؤال كان محوراً لكثير من المناقشات الطويلة : والواقع اذا كان الحس السليم يشير بضرورة تحديد النزاع ومنع توسعه ، فإن كثيراً من المعارضين يبرهنون على ان تحديد النزاع يسيء الى الردع ، وان الهجوم الشامل هو الوسيلة الوحيدة لمنع الخصم من شن هجومـه المحدود . ومن جهة أخرى فإن هؤلاء المعارضين انفسهم يقبلون عن وعي تقريبي ان الهجوم الشامل سيحدث دماراً يخفف من أهميـــة الرد المعادي ويجعل

هذا الرد مقبولاً بصورة كافية . وهـــذه الحجة المتعلقة بالردع جدية جداً وسنفحصها فيما بعد . إلا أن ما يحسم النقاش هو ما ظهر في السنوات الأخـيرة ومؤداه أن حجم الرد سيكون مرعباً في كل فرضية من الفرضيات . ولهذا انحاز كيندي إلى معسكر الذين أرادوا الامتناع عن تنفيذ مبادىء الرد بالانتقـــام الشامل . وقد قدم الجـنرال ماكسويل تايلور بوضوح كامل استراتيجية الحرب الجديدة وأطلق عليها اسم « الرد المرن » .

وتعني استراتيجية الرد المرن أن نهيء لكل عمل معادٍ رداً يتلاءم معه بقوة كافية لتفشيل الخصم ، إلا أنها لا تجازف إلا بكمية ضرورية من القوات . سوى أن هذه الاستراتيجية لا تعني أن يكون سلوكنا مماثلا لسلوك العدو (فمن الممكن فعلاً أن نرد على هجوم تقليدي بدفاع ذري تكتيكي ، وبعمل ذري استراتيجي محدود أحياناً) ، ولكن هذه الاستراتيجية تعني دراسة كل حالة حسب أهميتها وطبقاً لما تستحق من الأهمية وعدم اللجوء إلى الرد الشامل إلا في آخر المطاف . والخلاصة فان هذه الاستراتيجية تحاول أن تكون فعالة في الرد مع الحفاظ على أن يبقى النزاع محدوداً .

وغرابة هذه الاستراتيجية انها تؤمن التوافق بين المعركة العسكرية المحلية والردع العام لابقاء النزاع داخل حدود معينة . وبالاحتفاظ كاحتياط بالتهديد بالرد الشامل ، نحتفظ بقسط كبير من قيمة الردع لاستراتيجية « زمن السلم » . وبما أن الردع سيكون ثنائي الطرف ، فان كلا الخصمين سيتجه إلى تحديد النزاع . وإذا لم تحدث اخطاء وبقي هدف النزاع محدوداً بصورة كافية يتم الصراع دون « تصعيد الى الحدود القصوى » .

وفي هذه اللعبة الخطرة التي لا يمكن تجنبها ، يفرض الامن وجـــود جهاز للاشراف على التسلح ، بشكل نتجنب فيه حدوث التسلق بصورة عفوية من

قبل المنفذين وبشكل لا يتحول فيه حادث محلي الى حرب عامة. ومن هنا يتولد تكتيك خاص له عدد معين من العتبات المتتابعـــة التي لا ينبغي اجتيازها إلا بقرارات سياسية خاصة ، وان يضمن هذا التكتيك عدم اجتياز هذه العتبات اذا لم يتلقَ تصريحاً بذلك . وتتبدى الحرب عندئذ كسلـّم متعدده الدرجات (حوادث ، حروب تقليدية، ذرية تكتيكية، استراتيجية محدودة، استراتيجية شاملة ... الخ) ، ويتمنى عندما ينطلق اختبار القوة ان يحسم هذا الاختبار على احدى هذه الدرجات الوسيطة .

وعلى هذه الاستراتيجية – التي لا يمكن تجنبها كما رأينا – اعتراضان يولد الاعتراض الاول بالطبع من البلدان المهددة بأن تكون أراضيها مسرحاً لهـــذه « النزاعات » المحدودة : ففكرة تحول أرضهـا الى مسرح للعمليات – ذري احتمالاً – فكرة ، لا تبدو مشجعة لهـذه البلدان . فقد يبدو لها ان التضحيات التي تقدمها في حرب عالمية تضحيات حقة وعادلة أكثر من التضحيات التي ستقدمها هي وحدها عندما تكون ارضها وحدها مسرحاً للحرب الذرية . ألا يعني هذا انا ضحينا بأمنهـا لصالح مناطق أخرى كان من الممكن أن تسمح بتشتيت جهود الخصم لو دخلت المعركة الذرية ؟ ويمس الاعتراض الثاني الردع الذي تحدثنا عنه سابقاً. أفلا يعني قبول النزاع المحدود دعوة للقيام به ، وتقليص الردع بالتالي ، واذا نشب نزاع محدود ألا تزداد معه مخاطر التصعيد الى الحدود القصوى ؟

ان في هذين الاعتراضين قسطاً من الحقيقة : فالخطورتان موجودتان . ولكن لا يجب ان نحمل مداهما عكس معناهما . فمن الصحيح ان هناك تناقضاً بين وسائل استراتيجية الردع (التهديد بالتصعيد الى الحدود القصوى) وبين وسائل استراتيجية الحرب (تحديد النزاعات وعدم توسيعها) . ولكن هذا التناقض ليس تناقضاً قائماً بآن واحد : فاستراتيجية الردع تُمارس قبل استراتيجيـة الحرب . وبالاضافة الى ذلك ، فان هاتين الاستراتيجيتين تشتركان بعوامـل

الشك واللاعقلانية ، هذه العوامل التي ألححنا عليها والتي تعوض تناقضها الى حد ما ونحن لسنا متأكدين من انه لن يكون هناك تصعيد الى الحدود القصوى، حتى في استراتيجية تنوي تنفيذ خطة الحرب المحدودة . وبهذا الشكل نحافظ على أثر الردع ، وبهذا الشكل أيضاً لن تستفيد المناطق « الاحتياطية » المحتفظ بها بمنأى عن العمل الذري على حساب المناطق التي ستجري فيها المعارك الذرية الاولى . وفي المجموع ، يوجد تضامن كامل بين أمن كل المناطق وتضامن كامل في استقرار الردع . ومن الممكن تعزيز هـذا التضامن أو جعله مرئياً بصورة أكثر باتخاذ بعض التدابير المحدودة : وهـذه الحالة هي على سبيل المثال الطريقة التي تتضمن الاعلان عن ان الهدف المعادي الفلاني أو ذاك من الاهداف المعادية يشكل رهينة تدمرها القوى الاستراتيجية فيما لو هوجمت منطقة امامية صديقة (نحددها نحن) ، وفيما لو قام العدو بأي رد محدود معاد في المجال الاستراتيجي ، فإننا سندمر هذا الهدف أو ذاك من أهداف العدو . فإذا سلكنا هذا الطريق، طريق استخدام محدود وتدريجي للقوى الاستراتيجية نستطيع اضعاف الاحساس بترك ساحات محتملة للمعارك .

وفي كل الاحوال ، ينبغي أن لا يقود مفهوم تحديد استراتيجية الحرب ، كما أكدنا على ذلك مراراً ، إلى التحديد المسبق من جهة « لمسارح عمليـــات » لا يقتضي الهجوم عليها شن أعمال انتقامية ، وحيث نقبل فيها استخدام السلاح بين القوى المتمركزة فيها ، و « بحُرُمات » من جهة أخرى محمية بالتهديد بالانتقام الشامل . أن نتيجة مثل هذا التوزيع الجغرافي المسبق للردع هو اضعاف حماية مسارح العمليات ، وعندما تدور فيها النزاعات ،فان احتمال التصعيد إلى الحدود القصوى في « الحرمات » يزداد لدرجة كبيرة نظراً لان خطورة التصعيد قائمـة دوماً . كما أن من غير الممكن تأمين حماية « الحرمات » في الوقت نفسه ، كما لا يمكن تأمين حماية مسارح العمليات أيضاً – بالتهديد بهجوم آلي للانتقام الذري الشامل : إذ تسبب الأعمال الانتقامية في الوقت الحاضر رداً مدمراً مخرباً ولن

تكون نتيجتها سوى احداث دمار للخصم نتعرض نحن لمثله . والحقيقة في هذا المجال هي ضرورة تطبيق الردع على مسارح العمليات وعلى «الحركات» وان يكون الردع في كلتا الحالتين « متدرجـاً » أي أن يتضمن الردع استخدام ردود « متغيرة » وغير قابلة للكشف كي نحافظ على سلامة العامل الثمين للشك .

ولهذا فلا بد من التفكير بضرورة ابقاء النزاعات العنيفة في العصر الذري في نوعين من الحروب : حروب محدودة في المناطق الحساسة من العالم ، وربما تكون حروباً عنيفة جداً إلا أنها قصيرة جدا تستهدف خلق أمر واقع يتبعه مفاوضات فورية . وفي المناطق الجانبية ، حروب انهاك طويلة إلا أنها ضعيفة الحدة نسبياً وذات طابع تقليدي أو ثوري . وبالاختصار كنموذج سيناء (١٩٥٦) ونموذج كوريا والهند الصينية ولاوس . وقد يتطور أي نوع آخر دون شك بسرعـة كبيرة نحو تصعيد إلى الحدود القصوى .

ولكن من سوء التقدير الاعتقاد بان الردع بوجود السلاح الذري كافٍ لمنع النزاعات المسلحة : فقد أظهرت السنوات العشر الاخـيرة انه مع وجود تفوق ذري هام ، يبقى وقوع مثل هذه النزاعات محتملاً وممكناً . ومع توازن قوى الضرب فان حدة مثل هذه النزاعات قـد تزداد في المستقبل بصورة كبيرة – إلا إذا اتـُخذت تدابير فعالة لتتميم أثر الردع الذري بصورة جوهرية بأثر القوات التكتيكية وحوفظ بصورة خاصة على أثر الردع على مستوى مرتفـع ، بتكتيكات ملائمة لا نستطيع أن نبالغ في أهميتها .

السير العام لتطور الاستراتيجية الذرية :

ليست الدراسة التي قمنـا بها سوى تحليل للأفكار الرئيسية التي تحـكم الاستراتيجية الذرية التي درسناهـا بالتتابع . ولكي لا نزيد في تعقيد هذا

الموضوع الكثيـف ، تركنا جانبـاً كل مـا يتعلق بمختلف التكتيكات (من ملاقاة واختراق وبقاء على قيـد الحياة ومراقبة للتسليح ودروع وشك وتردد الخ ...) .

وليكون لدينا فكرة عامة عن الحدث وعن تداخل عمل مختلف المعطيات، علينا ان نفحص بسرعة تطور التنافس السوفييتي الامريكي منـــذ خمسة عشر عاماً . ولنقسم تخطيطياً هـذا التطور الى أربع مراحل ، تبتدىء كل مرحلة منها بتقدم مادي ذي آثار استراتيجية هامة من الجانب السوفييتي ، تلحق به استراتيجية امريكية ملائمة ، مستندة الى انجازات مادية خاصة .

١ ـ ففي المرحلة الأولى، كان الاتحاد السوفييتي ، الذي لم يسرح في الحقيقة قواته ، يملك قوات جوية ـ برية هامة وبفضل استراتيجياته العملياتيه Opérationnelle العسكرية والثورية ، وكان قادراً على اجتيـاح اوربا وتقويضها . اما الولايات المتحدة التي لم تكن تملك إلا قـوة جوية ذرية لا زالت في مرحلة التكون ، فكانت تجابه هذا الخطر باستراتيجية ردع توحد بين اعادة بناء اوربا (طبقـاً لمشروع مارشال) وبين اعادة تسليحها التقليدي (بناء على اتفاقية منظمة حلف شمال الاطلسي ، خطة ليشبونة) بهدف دفاعي، مع تشكيل قوة ضرب جوية ـ ذرية هجومية مخصصة للتهديد بالانتقام الشامل . وقـد عزز الاقتصاد الاوربي .

وصُنعت الطائرات والقنابـل الذرية ، ولكن مدى الطائرات الامريكية ب ٢٦ كان محدوداً ، فاضطرت الولايات المتحدة الامريكية الى انشاء شبكة كاملة من القواعد المحيطة بالاتحاد السوفييتي . وتمكن الغرب من الردع . واوقف الاندفاع السوفييتي المحتمل في أوروبا .

٢ – وفي المرحلة الثانية ، كان الاتحـاد السوفييتي عاجزاً عن الرد الا بالاستراتيجية دفاعية للردع متعاونة مع هجوم – مضاد في ميدان الاستراتيجية غير المباشرة (كوريا – الهند الصينية) . ولانعـدام الوسائل بصورة اولية ، كان الردع الذي قام به السوفييت في بادىء الأمر بسيكولوجياً : وقام الاتحاد السوفييتي بحملات مضادة لاستخدام الاسلحة الذرية في مؤتمرات السلام ، هذه المؤتمرات التي حققت بعض النتائج في أوروبا وفي العالم الثالث . ولكن بفضل جهد علمي – وجهد في مجال التجسس – استطاع الاتحاد السوفييتي بسرعة هائلة أن يمتلك عدة قنابل ذرية ؛ واستطاع بناء قوة ضرب هجوميـة على غرار القوة الجوية – الذرية لطائرات (ب ٢٦) . وبالوقت نفسه قام الاتحـاد السوفييتي بتحسين دفاعه الجوي باجهزة من الرادارات . وامـام بدء التهديد الذري والدفاع الجوي السوفييتي ، حافظت الولايات المتحدة على قيمة استراتيجية الردع بتعزيزها التهديد بالانتقام . وقد كان ذلك ضرورياً ، لأن إعادة تسليح اوروبا كانت عملية بطيئة وغير كاملة ولعل من أسباب ذلك غياب القوات الفرنسية التي كانت الحرب في الهند الصينية تستنزفها وبرغم دخول القوات الالمانية الغربية في أطار الدفاع الغربي . وكان على التهديد الجوي إذن أن يكون كافياً كي لا يترك للقوى الدفاعية (قوى الدروع) إلا دور انـذار القوات الاستراتيجية . وهكذا ازدادت قوة الردع بالانتقام زيادة هائلة بامتلاك القنابل الهيدروجينية . وأمكن اختراق الأجواء المعادية ، برغم الدفاعات السوفييتية بطائرات تحلق على ارتفاعات أعلى من امكانيات كشف الرادارات المعـادية ، وبسرعة اقوى من سرعة مقاتلاته . وفي أعوام ٥٤ – ٥٥ كان التفوق الامريكي لا جدال فيه . ولم تحافظ امريكا على قوة الردع فقط ، بـل كان على السوفييت أيضاً ان يوقفوا اندفاعاتهم غير المباشرة في الهنـد الصينية وكوريا وان يقبلوا فيها الحلول الوسط . ولنلاحظ هنا مـع

ذلك ، انه في تلك الفترة ، كان بامكان الولايات المتحدة أن تحصل على نتائج أفضل ، كما أعلن ماك آرثر [1] .

٣ – وفي المرحلة الثالثة – بدأ السوفييت اللحاق – بالامريكيين في مجال الردع . فحصلوا هم أيضاً على القنبلة الهيدوجينية وعلى قوة ضاربة يُعتد بها ، وحسنوا دفاعهم الجوي ، مما سمح لهم باستعادة هجومهم – المضاد في الشرق الاوسط وفي شمال افريقيا. ان امتلاك السوفييت للسلاح الهيدروجيني يمثل خطراً هاماً. وكانت الاستراتيجية الامريكية في هذا الوقت مترددة حائرة بين عدة طرق . هل من الواجب الحفاظ على الردع بتعزيز هجومي جديد بالانتقام أم على العكس بابطال جزئي للتهديد المعادي بخلق دفاع جوي في امريكا ؟ وهل يتوصلون الى الحفاظ على الاحتمالات الكافية للتهديد بالانتقام كي يكونوا قادرين على التلويح به في كل الحالات ، وحتى في الحالات الصغيرة . غير أنه أليس من الواجب السير على طريق الردع التكميلي وتعزيز الدروع التكتيكية حتى لا توضع في اوضاع علينا ان نختار فيها بين الرد الشامل أو الاستسلام ؟ وانتهت هذه المناقشة الكبرى التي كانت تدور بهذا الشكل في عام ١٩٥٥ بفشل الهجمات التي كانت تريد تنفيذ برنامج للصواريخ التي لا يمكن ملاقاتها . واستقال الجنرال كافان الذي كان يضغط لصالح هذا الحل . وراحوا على العكس من هذا الحل ،

---

١ – كان ماك آرثر ينادي بضرب القواعد الخارجية الموجودة في منشوريا ، وفي الحدود الصينية ـ الكورية ، كما كان يريد اقامة حاجز من المواد المشعة في هذه المناطق لعزل كوريا الشمالية عن قواعدها الخارجية . الا ان الحكومة الامريكية عارضت هذه الفكرة خوفاً من توسع الحرب وامتدادها .

ينشئون دفاعاً جوياً جباراً يغطي امريكا ، وطوروا التكتيك المضاد للمفاجأة .S. A. C (الذي يعتمد على طائرات في حـــالة انذار دائم الخ ..) وأعطي طائرات عابرة للقـــارات ، قادرة على التملص من الهجوم الاول السوفييتي نظراً لوجودها في الجو أو في قلب القلعـــة الامريكية. اما الدرع الاوروبي (الدفاع) فعزز بأسلحة ذرية تكتيكية أعطيت منها اعداد كبيرة لدول منظمة حلف شمال الاطلسي ، ولكنها بقيت تحت إشراف امريكي دقيق . وهكذا حقق هذا القرار لعام ١٩٥٥ بعض الاستقرار المؤقت ، إلا أنه كان قراراً محافظاً . وقد ظهر خطأ هذا القرار فيما بعد وأثر بثقله على المرحلة التالية .

٤ ـ وفي المرحلة الرابعة حقق السوفييت تقدمـاً على الامريكيين في برنامج القذائف الصاروخية التي اعتقـــد الامريكيون بضرورة الامتناع عن تنفيذها . وفي عام ١٩٥٧ ، امتلك السوفييت الصاروخ العابر للقارات واطلقوا قمرهم الصناعي الأول [١]. ثم بعد ذلك بفترة قصيرة ، بلغوا القمر بصواريخهم وأظهروا بكثير من التجارب دقة رماياتهم والقوة الهائلة لانفجاراتهم ، وبهذا الشكل أصبح لديهم امكانية اللحاق بالامريكيين والتقدم عليهم في استراتيجية الردع ، لان تهـديد صواريخهم لا يمكن مجابهته بالدفاع الامريكي الذي انشىء سابقاً ، وكان باهظ التكاليف ، إلا أنه ليس فعالاً إلا ضد الطائرات . كما أنهم في نفس الوقت ، كانوا قد

---

(١) اعلن السوفييت في اغـطس (آب)عام ١٩٥٧ انهم اطلقوا بنجـــاح صاروخاً اندفاعياً عابراً للقارات .I. C. B. M واطلقوا قمرهم الصناعي الاول (سبوتنيك) في اول اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٧ وكان وزن هذا القمر ٨١ كيلو غراماً .

عززوا دفاعهم الجوي وجهزوا قواتهم البرية من أجـــل حرب ذرية تكتيكية ذات طابع هجومي (اسلحة ذرية تكتيكية ، آليـــة كاملة ، وسائل عبور برمائية . . .الخ) وبهذا الشكل أضحى السوفييت قادرين على إفشال كل التدابير المتخذة من قبل الاستراتيجية الامريكية في كل المجالات. كما أصبحوا أقوياء بسبب هذا الوضع البسيكولوجي الذي زادت من قيمته النتائج العجيبة للاقمار الصناعية الروسية ، فحركوا مشكلة برلين التي تثير كل الوضع الالماني في منظمة حلف شمال الأطلسي ، وتحدوا الولايات الامريكية في الكونغو وكوبا .

ولحسن حظ الولايات المتحدة الامريكيـــة ، فإن هذا التفوق السوفييتي لم يتحقق إلا تدريجياً . وعندما وصل كنيدي الى السلطة في مطلع عام ١٩٦١ ، كان « الصاروخ العابر للقارات » لا زال مشروعاً من مشاريع المستقبل. ولكن كان من الواجب ان لا يضيـع كنيدي دقيقة واحدة . وكان الرئيس محاطـاً بمجموعة من المفكرين الذين درسوا كل هـــذه المسائل بامعان . وانتج هؤلاء المفكرون استراتيجية كاملة متماسكة انضجوها خلال المرحلة الثالثة ، وهي استراتيجية سنوات البقاء على قيد الحيـــاة ضمن اطار استراتيجيـــة الانتقام الشامل . وفي أول الأمر ، تخلوا عن هذه الاستراتيجية الأخيرة « استراتيجية الانتقام الشامل » وحافظوا على استراتيجية الردع باستبدالها باستراتيجيـــة اطلق عليها اسم « الاستراتيجية المتدرجة » أو «استراتيجية الردع المتدرج » ، وتستهدف التفتيش عن التعادل في مختلف الميادين، في الميدان الذري والتقليدي وغير المباشر. والاجتهاد في حالة النزاع لتجديد هذا التوازن والتعادل بواسطة « الرد المرن » الذي رأينا نظريته. وفي مجال قوة الهجوم الذرية « قوة الضرب» التي أضحت دفاعية « درعاً » أكثر من كونها « سيفاً » قوة هجومية ، ينبغي مهما كان الثمن المحافظة على قوة ردع مادية أساسية : ولهذا طورت الصواريخ (بولاريس ومينوتمان) التي كانت قد درست اثناء المرحلة السابقة ، وتأكـد الامريكيون بواسطة تكتيك واسع للبقاء على قيد الحياة مع استخدام (الغواصات

الذرية ، والملاجىء الاسمنتية ، والمعدات المتحركة .. الخ) بأن صواريخهم لن تدمر بالصلية المعادية الاولى . وأما في المجال التقليدي ، فقد طلب بصورة خاصة إلى حلفاء منظمة حلف شمال الأطلسي تعزيز كافة الدروع التكتيكية التي اضحى وجودها أساسياً . وفي المجال غير المباشر ، شكلت قوة احتياطية قوية منقولة جواً من قوى التدخل التقليدية ، وأخيراً ولمنع التصعيد العفوي الى الحدود القصوى في حالة النزاع ، وضع بأحكام تكتيك أكثر ضماناً لمراقبة التسليح الذري والاشراف عليه – وحاول الامريكيون تعليم السوفييت فن ابقاء النزاعات ضمن مستويات معينة .

ولقد جاء هذا التقويم في الوقت الملائم لتجنب « الصاروخ العابر للقارات » الذي بدأ وكأنه يفتح مجال التنافس، إلا أنه ظهر بعد ذلك أن التقدم السوفييتي في مجال الصواريخ أقل بكثير مما كان الغرب يخشاه . واتفقت كل المعلومات لتؤكد أن قوة الضرب السوفييتية العابرة للقارات لا تملك آنذاك إلا قدرة محدودة وهي القدرة التي تلائم تنفيذ تكتيك « معاكس – المدن » وأن هذه القوة لن تكون لها فعالية كافية في تكتيك « معاكس – القوى » . ولقد قامت الولايات المتحدة الامريكية بجهد هائل جعلها تبدو وكأنها في وضع من التفوق الواضح ، فأتاح هذا الوضع لماكنارا أن يعلن استراتيجيته في الردع المتدرج بواسطة الرد المرن .

وعندئذ، بدا أن السوفييت يحاولون بدورهم املاء الفراغ في نظام صواريخهم العابرة للقارات باقامة قواعد صاروخية لصواريخ متوسطة المدى في كوبا ، كي يكون لديهم قدرة في « معاكس -- القوات » ضد الولايات المتحدة ونظامها المضاد للمفاجأة S. A. C. وباقامتهم هذه القواعد يحققون في بضعة أشهر ، وبصواريخ متوسطة المدى I. R. B. M تقدماً يعجزون عن بلوغه بصواريخ عابرة

للقارات .. I. C. B. M. في عدة أعوام [١].

ولكن يبدو أن الامريكيين قد كشفوا هذه العملية الروسية التي تورطت في وضع يتفوق فيــه الامريكيون ، لانهم يستطيعون من مواقعهم غزو جزيرة كوبا، فكشفوا نواياهم عندما اعلنوا عن ارادتهم باقامة منشآت دفاعية في كوبا، وادرك الامريكيون خطورة اقامة مثل هـذه القواعد الصاروخية ، فكان رد فعلهم حازماً ومباشراً إلا انه كان رداً محسوباً . واضطر السوفييت الى الخضوع لأنهم في وضع دون وضع الامريكيين من ناحية التفوق. وقد انتهت هذه المرحلة من حرب الطاقة الذرية الرادعة التي تبادل الطرفان التهديد بها بمنتهى الدقـــة والواقعية والدم البارد ، انتهت لصالح الامريكيين . وهكذا اضطر السوفييت الى اتباع الطريق الجهنمي الذي اتبعــه الامريكيون في اعادة تسليحهم وهو طريق ينهك اقتصادهم الذي هو في الأصل أضعف من اقتصاد خصومهـــم الأغنياء .

٥ – وقـد ظهرت مؤخراً الاستعدادات لمرحلة خامسة ، لأن السوفييـت يحافظون في مجال الفضاء ، هذا المجال الذي قد تخرج منه اسلحة جديدة في المستقبل، بتقدم واضح من الصعب التنبوء بمداه. ومن ناحية أخرى، فإن سياستهم التفوقية المستندة الى مبدأ «السلاح الأقوى من كل سلاح » Biggest big Weapon قادرة على احداث التعادل والتوازن بواسطة عـدد صغير من الاسلحة، بينما نجد ان الجهاز العسكري الامريكي هو أسلوب اسلحة

---

١ – كانت خطة السوفييت تهدف الى قلب ميزان قوة الضرب النووية لصالحهم لأنهم لم يكونوا يملكون في ذلك الوقت القدرة على توجيه الضربة الاولى بحرية ، كما انهم كانوا لا يملكـــون من الصواريخ البعيدة المدى ما يكفي لتغطية الاهداف الهامة في نصف الكرة الغربي.

استراتيجية أصغر وأكثر عدداً ، وهو جهاز كثير التكاليف . ومن المحتمل أن نشاهد تطورات جديدة في مجال الردع الاستراتيجي تستخدم الفضاء والقنبلة الهيدروجينية (مثلا) .

ومع ذلك ، وفي نفس الوقت ، نرى اتجـاهاً جديداً ، يمثله بصورة خاصة كيسنجر ، يرى توجيه جهد الردع في تعزيز « الدروع » . فأمام خطر غـير مقبول للحرب النووية الاستراتيجية ، نعود إلى الردع بتغطية مباشرة للاراضي المهددة ، واستخدام القنابل الذرية التكتيكية عند الحاجة إلى ذلك . إن هذه الفكرة التي تشير إلى انقلاب لصالح الاستراتيجية الـبرية القديمة على حساب الاستراتيجية الجوية ، ان هذه الفكرة تتضمن قسطاً كبيراً من الواقعية .وسيساهم نجاحها كثيراً في اعادة نوع من الاستقرار العسكري في العالم [١] .

* * *

إن هذا العرض السريع للتطور الذي سارت فيه الاستراتيجية النووية طيلة الخمسة عشر عاماً المنصرمة ، يفرض علينا عدداً من الأفكار .

وأول هذه الافكار ، هو اتسام هـذه الاوضاع المكتسبة بطابع متبدل ،

---

١ – يتبنى ليدل هارت هذه النظرية أيضاً – فلاستزادة القارىء في هذا الموضوع راجـع كتاب ليدل هارت« الدفاع أم الهجوم الشامل الرادع في معركة من غير دمار شامل » تعريب اكرم ديري (الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة) .

واتسام اجهزة الدفاع التي تحققت بقيمة غير ثابتة ، تتبدل بين تطور وآخر : ففي كل خمسة أعوام على الأكثر تصبح الادوات والتكتيكات عتيقة وقديمة أكثر مما كان يحدث في الماضي لهذه الاسلحة والتكتيكات من حرب إلى أخرى . ويبدو هذا التبديد الهائل للاموال والثروات ضريبة يزداد ثقلها يوماً بعد يوم من أجل أمن غير مؤكد . فمثل هذا السباق في التسلح قد يؤدي بنا في يوم من الأيام إلى الحرب أو إلى الافلاس الاقتصادي أو إلى اتفاقية لتحديد الأسلحة : إذ لا يمكن المحافظة على السلم إلى الأبد بتوتر من مثل هذا النوع التوتر العنيف .

وهناك ملاحظة هامة اخرى تقول : اذا كان السوفييت قد نجحوا تقريباً في الصعود مرة أخرى على انحدار الردع ، ونجحوا نجاحاً باهراً ، فذلك لان الولايات المتحدة عندما كانت تتقدم عليهم تقدماً هائلاً (في المرحلة الأولى والمرحلة الثانية بصور خاصة) امتنعت في مناسبتين عن استغلال هذا التفوق . كل هذا يبرز أن اللعبة لعبة حامية الوطيس في حد ذاتها ، إلا أنها لا تشتمل على عقوبات فورية .

وفضلاً عن أن من الممكن ان يكون السوفييت أقسى في لعبتهم من الامريكيين ، إلا ان الاحتمال ضعيف في أن يتجرؤوا على الاندفاع بعيداً في استغلال ميزة ليس لها طابع مطلق . ويكمن السبب الاساسي لهذا التعقل في عامل الشك الذي لا يسمح لهم أبداً بأن يعرفوا أين موقعهم من هذه العملية كلها .

ومن الممكن ان نؤكد انه بينما لم يكن هناك أي عمل في هذه المعركة المستمرة ، كان المنحنى العام للردع يتطور منذ بدء المرحلة الثالثة لصالح السوفييت . كانت استراتيجية الانتقام الشامل استراتيجية هجومية . أما استراتيجية الردع المتدرج فاستراتيجية دفاعية ، ولا بد من البرهنة على فاعليتها ازاء الاستراتيجية السوفييتية

غير المباشرة .

وعلى مستوى سير الاستراتيجية ، فإن التطور الذي حدث يظهر جيداً العلاقة القائمة بين الاعتدة الجديدة وامكانيات التكتيكات الجديدة التي أحدثتها، هذه التكتيكات التي تؤدي الى تبديل في التوازن الاستراتيجي. وعندئذ يحدث مسار معكوس : فإعادة التوازن الاستراتيجي يفرض اختيار قرار استراتيجي تكون نتيجته تحديد الامكانيات التكتيكية الواجب امتلاكها (ملاقاة ، اختراق ، بقاء على قيد الحياة ...الخ) ومنه نستنتج الاعتدة الجديدة الواجب صنعها (كالرادارات والصواريخ والغواصات ... الخ). ويقول بعض الكتاب أمثال كامي روجرون انه لا وجود لاستراتيجية سوى استراتيجية الوسائل وهذا صحيح عندما يقصد به القول أن من الواجب أن يكون لدينا وسائل استراتيجيتنا إلا أن هذا القول لا يعني أن الاختراعات هي التي تحكم الاستراتيجية، بل على العكس ، لان المنطق الصحيح يقول بان الاستراتيجية هي التي ينبغي أن توجه المخترعين وترشدهم ، أو على الأقل تنتقي الاستراتيجية من الاختراعات ما يلبي رغبتها ويستجيب لحاجاتها ومطالبها بصورة أفضل . ففي بعض الحالات قد نكون محرومين من الوسائل الضرورية (كما كان حال السوفييت عندما كانوا محرومين من القوة النووية) ، عندها ينبغي على الاستراتيجية أن تجد الرد الشافي (كالحملات البسيكولوجية لمؤتمرات السلام) باختيار حل قادر على إحباط استراتيجية الخصم بالوسائل التي تمتلكها . وتحتاج هذه العملية إلى ذكاء وخيال خصب .

●

استنتاجات عن الاستراتيجية الذرية

ان الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها من دراسة الاستراتيجيـــة الذرية هي بالطبع استنتاجات عديدة ومتنوعة . وسنقتصر هنا على بحث أهم هـــذه الاستنتاجات .

١ – تتمركز الاستراتيجية « الذرية » في خطة الحرب الشاملة بالضرورة . وذلك عائد الى مركباتها البسيكولوجية والماليـة والاقتصادية الهامة . اذن فالاستراتيجية الذرية هي شكل خـــاص وحديث « للاستراتيجية الشاملة » في شكلها المباشر .

ولقد كانت كل الاستراتيجيات الجيدة استراتيجيات شاملة – حتى أكثر الاستراتيجيـــات اعتماداً على الناحية العملياتية كاستراتيجيات الاسكندر المقدوني ونابوليـون – إلا أن مظهرها الشامل قـــد حجبه في غالب الاحيان بريق المعارك لدرجة وَرطت المؤرخين وأغرقتهم في الخطأ . فالسلاح الذري الذي لم يحدث معارك حتى الآن، يُلزم بوعي الحدث الاستراتيجي وعياً كامـــلا وبمعرفة تأثير مختلف عوامله . فقد حلت استراتيجية شاملة جديدة ، (من الواجب أن تكون استراتيجيـــة علمية) محل الاستراتيجية الشاملة الضمنية التي يقودها رؤساء الحكومات بالحدس والالهام . وأضحت الاستراتيجية الشاملة نظاماً للتفكير لا غنى عنه للطبقات الحاكمة والموجهة .

وقد برهن مثال كوبا على ذلك [١] .

٢) لقد كَنَّسَت الاستراتيجية الشاملة للعصر الذري كل المفاهيم الاستراتيجية للقرن التاسع عشر ، وبخاصة مفاهيم مدرسة كلاوزفيتز التي فهمها انصارها فهماً خاطئاً. ولا يمكننا إلا أن نهنىء انفسنا بهذه الاستراتيجية ، إلا أن من الواجب انشاء اسلوب جديد والامتناع قدر الامكان في هذه المرة عن انشاء نظرية خاصة جداً قد تقود إلى ارتكاب اخطاء اكبر . كما ينبغي أن لا ننشىء « استراتيجية ذرية » خاصة فقط بالازمة الحالية ، بل ينبغي أن ننشيء استراتيجية شاملة قادرة على استيعاب الحدث النووي والاحداث التي قد تليه (فضاء – كيمياء ، ... الخ) بالاضافة إلى الاحداث الصغيرة وغير المباشرة .

٣) ينبغي أن تشتمل هذه الاستراتيجية الجديدة على التبديلات الهامة التي أدخلتها الطاقة العلمية والصناعية على تطبيق الدفاع عن البلاد .

وأول ما تشتمل عليه هذه الاستراتيجية هو تبدل مقياس مسائل الدفاع

---

١ - كان مثال كوبا مثالاً في نظر المؤلف لسرعة الرد الامريكي والتقاطه لمغزى اقامة قواعد صاروخية لتغطية اهداف استراتيجية في نصف الكرة الغربي . والحقيقة ان الاتحاد السوفييتي قد خضع للاسباب التالية :

١) بعد منطقة البحر الكاريبي عن قواعده الاساسية واحتمال خسرانه هذه المعركة بعيداً عن ارضه وبالتالي فقدان هيبته أو الاضطرار الى تصعيد العملية الى الحدود القصوى .

٢) وجود سبعين قاعدة في أوربا الغربية وشمال افريقيا (للغرب) منها ثلاث فقط للقذائف الصاروخية ذات المدى المتوسط وهي بريطانيا وتركيا وايطاليا (صواريخ جوبيتر تصل الى ١٧٠٠ ميل) .

٣) بالاضافة الى ذلك ، هناك اتفاقات تمت لمصلحة سلامة كوبا ولمصلحة الاتحاد السوفييتي بخصوص بعض القواعد الغربية المحيطة به .

بسبب مدى الاسلحة وقدرتها وبسبب النفقات الهائلة التي تسببها . وهذا التبدل في المقياس يؤثر بسرعة هائلة على حجم الدول . ومرة أخرى نرى أن شروط الأمن التي فرضت في الماضي المدينة القديمة ومملكة القرن السادس عشر ، أن هذه الشروط قد تلعب دوراً حاسماً في بنية الكيانات الدولية .

ثم تشتمل هذه الاستراتيجية على تغير طابع مسائل الدفاع بسبب تأثير العامل الصناعي . **فقد أضحى التحضير اكثر أهمية من التنفيذ** ، لان امتلاك وسائط متفوقة أكثر حسماً من طريقة استخدامها . إن هذا هو الانقلاب الكامل في فن الحرب الذي قال عنه نابليون «انه فن كله تنفيذ» ومن هذا الواقع ، فان مفهوم الأمن الذي كان مرتبطاً في الماضي بالحماية المباشرة للقوى الداخلة في الصراع ، يتخذ الطابع المجرد لتقدم في التحضير . فاستبدلت المخافر الأمامية بالتجسس العلمي . وأضحى مفهوم المناورة نفسها أكثر تجريداً : كما أن القوات التي كانت تمثل على الخريطة بالازرق والاحمر وبأسهم ورموز ، أضحت مناورة طاقات في الزمن تنجو من كل تمثيل خطي . ففي تقدير الطاقات ، يتخذ العامل النوعي «المعنوي والتقني» الاولوية على العامل الكمي ، مما يجعل تقدير أي موقف من المواقف تقديراً ذاتياً أما مقياس الوقت الذي كان في الماضي محصوراً جداً (كانت حملات القرن التاسع عشر تدوم شهراً كاملاً ، والمعركة تدور عدة ساعات) وضيقا ، فقد استطال في حروب القرن العشرين الكبرى ، أولاً بسبب اتساع مسارح العمليات وثانياً بسبب المدد الضرورية لانتاج الوسائل المادية التي تبدت ضرورتها (لانهم لم يستطيعوا التنبوء باحتمال ضرورة استخدامها) . أما الحرب الادارية (اللوجيستيكية) التي تدور حالياً في زمن السلم ، فان المدد اللازمة لتحقيق وسائلها هي خمسة أعوام تقريباً . فينبغي إذن أن نفكر

ملياً لخمسة أعوام قادمة في وضع قد نواجهه وقد يكون وضعاً تخمينياً.
وهكذا فإن التنظيم العلمي القائم على توقع المستقبل أضحى اليوم نظاماً حيوياً.

وهناك آثار مماثلة إلا أنها مغايرة تماماً تنتج عن الاستخدام الدائم لفنون سياسية وثورية : فالاتحاد السوفييتي لم يجن مكاسب مؤتمر باكو عام ١٩٢١ الا ابتداء من عام ١٩٤٨ (انتصار ماوتسي تونــج في الصين) .

٤ – بما ان الشيء الاساسي يدور « قبل الأحداث » ، أي في « وقت السلم » فإن الجهد يتجه بالطبع نحو اتخاذ قرار من القرارات، مع تجنب الحرب التي لن يكون لها إلا قيمة نوع من « البرهان القاطع » عن فعاليــة ال[illegible]ـيرات التي تحققت . ومن هنا ينبع التطور المنطقي وغـير التام، دون شك ، لاستراتيجية الردع .

ويظهر تطور استراتيجية الردع الأهميــة المتزايدة لأعمال الردع التكميلية التي نحصل عليها من استراتيجية الردع بالانتقام الذري . وهكذا ينضم السلاح الذري ، ككل الاسلحة التي سبقتــه الى كل الاسلحة التي هي أقدم منه دون أن يلغيهـــا أو يبطلها ، ويتكامل عندئذ متحف الاسلحة من السلاح الابيض الى القنبلة الهيدروجينيــة ر[illegible]ص دور السلاح الابيض إلا انه لم يختفِ تماماً حتى الآن. وهناك أيضاً اسلحة أقل قدماً منه تدعى بالاسلحة « التقليدية » . وهكـــذا ينشأ نوع من التوازن إلا ان هذا التوازن، خلافاً لتنبؤات بعض الكتاب المعاصرين، لا زال يحتم ضرورة بقاء قوات تقليدية هامة. وهناك وسائل أخرى ، معروفة بصورة سيئة ، ستفرض استخدامها دون شك لتتميم أثر الردع في مجال الاستراتيجية غير المباشرة .

٥ – ان تطور استراتيجية الردع يتجه الى تقليص المساحة الخاصـــة بحرية عمل القوة تدريجياً . ومن هـــذا الواقع ، نرى ان من الممكن حـل النزاعات بأعمال جانبية تبدو متواضعة جداً ، هذه النزاعات التي كانت تمتص في الماضي كمية هائلة من الطاقة والموارد بواسطة لعبـــة الردع المتبادل . كما ان هذه الاعمال الجانبية تسمح في الواقـــع بقياس فائض الارادة المتحفزة وما تبقى منها . وهكـذا فإن الحرب لو نشبت ، فستكون هناك فرص كبرى لبقائها محدودة وأن تتقرر نتيجتها « بالنقط » لا بالضربة الحاسمة . وبهـذا الشكل ، تُحسم الازمات المتولدة في المناورات أو من التهديدات المتطورة في مجال الاستراتيجية غير المباشرة . وبهذا الشكل أيضاً حُسمت ازمة الاستراتيجية الذرية المباشرة في كوبا . فنحن نبتعد اذن تدريجياً عن النزاع الشامل الذي احالته رومانتيكية القرن التاسع عشر الى نظرية . واللعبة الحديثة لعبة استراتيجية اساساً تحكمها السياسة بصورة أوثق من قبل .

إلا ان وجود حقل عمل للقوة ، حتى ولو كان هذا الحقل صغيراً يعطي أهمية جديدة للاعمال الصغرى ويجعلها اعمالاً ممكنة التحقيق. فالحرب القديمة تنحت في التاريخ بضربات المعارك كجراحة دموية . أما الحرب الحديثة ، المليئة بالالتباسات والغموض فإنها أكثر شبهاً بطريقة تعفن الجراح . ولا ينبغي أن يخدعنا عمل هذه الحرب الجديدة البطيء والأقل دراماتيكية من الحرب السابقة : لأن الانقلابات التي تحدثها هذه الالتهابات تدريجياً في قوة الطرفين ستبدو فيما بعد كفيضان عالمي . فمن الأساسي اذن استعادة السيطرة على « تطبيب » قادر على ايقاف النزاعات التي تبدو ثانوية ، هذه النزاعات التي تستغل حمى تصفية الاستعمار وازمات التلاؤم مع قوة الانتاج الحديث والانفجار السكاني الناتج عن المعجزة الباستورية « في مكافحة الامراض » . وهذه المشكلة

هى ما دعيناه « بالاستراتجحة غير المباشرة » فليس هـــناك ما هو ضروري وعاجل في هذه الأيام أكثر من هذه الاستراتيجية. وسنفحصها في الفصل القادم .

٦ – وتستطيع استراتيجية الردع أيضاً توليد فن حقيقي للسلم . عندما يقاس التقدم الذي تحقق في هـــذا المجال في عشرة أعوام نجد انه من الممكن ان نتوصل في المستقبل الى تنظيم اكثر عقلانية للسلم واكثر فاعلية من الأسس السابقة المعتمدة على العوامـل الانفعالية والمعنوية . وتستطيع استراتيجية السلم هذه ان تنفذ الى توازن ثابت يسمح بالاشراف على التسلح أو يشرع بأنشاء قوة دولية قادرة على تحطـــيم التوازن على حساب كل معكر للسلم . وما زال هذا الهدف بعيد المنال ، إلا انه ليس بعيداً عن متناول تفكيرنا . فلو فتشنا جيداً ، نستطيع أن نجد حلولاً قد تسمح الظروفُ الملائمةُ بتطبيقها .

٧ – والخلاصة هـــل تسير البشرية نحو الحرب الانتحارية أم نحو السلم ؟ لا يمكن أن نجيب على هذا السؤال الرئيسي بشكل قاطع . فلكي نستطيع الاجابة ، ينبغي أولاً ان نكون واثقين أن الحرب لا ترتبط إلا بأرادة الرجال . الا أننا رأينا في الحرب دائماً ما يشير الى إرادة الآلهة ، ثم رأينا الحتمية التاريخية و الفائض السكاني . ولكن اذا كان الاختيار بين الحرب والسلم هو مسألة انسانية من الممكن ان تحكمهـــا قوانين المنطق ، نستطيع ان نقول ان السلاح الذري ، بزيادته المخاطر بشكل لا يقاس ، يعطي للسلم استقراراً اكبر . فالاحتمال اليوم هو في استخدام يسخر القوة لصالح تركيبات استراتيجيـــة – سياسية محسوبة أكثر من ذي قبل . فلم يعد هناك قفزات عاطفية في المجهول بعـد الآن – لعل مثـل هـذه القفزات أقل من قبل – ومن هنا ، لا « حروب كبرى » دون شك ، مثل الحروب التي كانت جرح

القرن العشرين وسببت انهيار اوروبا قبل الأوان.

ولكن هل سنسير نحو السلم؟ بالتأكيد كلا ! لان تعشق الرجال للقوة مضافاً اليه القوى الغامضة التي تحكم التطور الاقتصادي والبيولوجي للانسان ستفتش دوماً عن مساحة للتوسع والامتداد لتحويل القوة أو المنفعة التي تتطلبها تبدلات التوازن . ستندر الحروب القديمة أو تختفي، وسيحل محلها تزايد في الحروب الثورية ، والصراعات التي لا تنتهي ، والازمات المتكررة ، والجهد العلمي والصناعي والعسكري الدائم .

فرجل القرن العشرين الذي تلاحقه مآسي الحربين العالميتين ١٩١٤-١٩١٨ ، ١٩٣٩ - ١٩٤٥ - هـذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ، ربما وجد أخيراً الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسي . إلا أن الثمن الذي يجب على رجـل القرن العشرين أن يدفعه ، والذي يفرضه عليه قدر ساخر ، سيكون مختلفاً عن تقـديره - فالمعركة المحفوظة على على سجل صغير ، ستصبح معركة دائمة .

وبهذا الشكل تموت الحرب الكبرى ويموت السلم الحقيقي معها .





الفصل الرابع

الاستراتيجية غير المباشرة

تعريف :

قد يبدو تعبير الاستراتيجية غير المباشرة تعبيراً قابلاً للنقاش ومجالاً لكثير من اللبس والغموض ،إلا أن ليدل هارت طور نظرية « التقرب غير المباشر » بصورة باهرة ، واعتبرها افضل الاستراتيجيات على الاطلاق. وتتضمن هذه الاستراتيجية في مجال العمليات العسكرية « عدم أخذ الثور من قرنيه » أي عدم مجابهة العدو في اختبار مباشر للقوة. ولكن هذه الاستراتيجية تتضمن عدم الاقتراب منه إلا بعد ازعاجه ومفاجأته زعزعة توازنه بتقرب غير متوقع من قبله ، نقوم به من اتجاهات متحولة : وقد وجدنا الاسكندر يستولي على فلسطين ومصر قبل أن يسير في اتجاه ايران ، وسيبيون يشرع في غزو إسبانيا قبل مهاجمته لقرطاجة الخ ...[1] . ويمكن ان نصنف الانزال الحليف في

---

١ ـ لقد فصل ليدل هارت استراتيجية التقرب غير المباشر في كتابه « الاستراتيجية وتاريخها في العالم » تعريب الهيثم الايوبي (دار الطليعة ـ بيروت) وفي هذا الكتاب يتعرض ليدل هارت لأهم المعارك الحاسمة في التاريخ ويعزو سبب نجاحها الى استراتيجية التقرب غير المباشر .

شمال أفريقيا عام ١٩٤٢ ومعركة صربيا في عام ١٩١٨ في عداد التقرب غير المباشر.

والواقع أن مناورة التقرب غير المباشر هي وسيلة تفرض نفسها على أحد الخصمين المتنازعين اذا كان لا يثق ثقة تامة بأنه من القوة بحيث يستطيع التغلب على خصمه في معركة تنشب على أرض يختارها عدوه.

وقد بين ليدل هارت بحق ان كلا الطرفين لا يستطيعان أن يكونا واثقين كل الثقة من قوتهما كل على حدة. وحتى لو أحس أحدهما أنه قوي فان انتصاره سيكون له ثمن باهظ التكاليف ولهذا يقترح ليدل هارت الاستخدام المنهجي للتقرب غير المباشر[1]. ولقد كان ليدل هارت على حق في معظم الحالات التي ذكرها، إلا أنه يبقى شيء وهو أن الفكرة الرئيسية من هذا المفهوم هو **قلب ميزان القوى المتجابهة قبل اختبار المعركة بالمناورة** لا بالقتال. فبدلاً من أن نجابه العدو مجابهة مباشرة نستعين بلعبة دقيقة نرمي من ورائها إلى تعويض النقص الذي نجد أنفسنا فيه بالنسبة لقوات العدو.

ولقد وجدت هذه الفكرة المركزية التي كان تترجم في الاستراتيجية العسكرية التقليدية بمناورة ذات طابع جغرافي (التقرب غير المباشر) وجدت تطبيقها في الاستراتيجية الشاملة بشكل مختلف في كل النزاعات التي يريد أحد الخصمين فيها الوصول إلى نتيجة بوسائط عسكرية أقل من الوسائط التي يحتمل أن تجابهه

---

١ - التقرب غير المباشر يعني التقدم نحو العدو من اتجاهات غير متوقعة كالتقدم الذي قام به الالمان في الآردين اثناء الحرب العالمية الثانية، ثم التقدم في اتجاهات والقيام بتغييرها بحيث نصرف تفكير العدو عن أهدافنا الحقيقية كالتقدم الذي قامت به الفرق المدرعة الالمانية في الحرب العالمية الثانية ضد فرنسا بحيث زعزعت ترتيب الحلفاء الدفاعي وحيرتهم في أهداف الهجوم، هل هو باريس أم شمال فرنسا ؟

(وذلك نتيجة ضعفه لسبب أو لآخر أو خوفاً من استخدام وسائط أهم) ولهذا سنعطي هذه الاستراتيجية الأسم العام - **الاستراتيجية غير المباشرة** .

وسنرى أن هذه الاستراتيجية التي أضحت لها مساحة عمل متسعة بسبب وجود السلاح الذري وبسبب حركة تصفية الاستعمار ، سنرى أن هذه الاستراتيجية أصبحت بالغة التعقيد ورهيبة الفاعلية وتتميز هذه الاستراتيجية بصفات ماكرة مخادعة لانها أصلاً غير مباشرة ولكنها لم تفهم جيداً في معظم الأحيان ، وهذا ما كلفنا سلسلة نكسات متتالية في هذا المجال . وليس هناك إذن أهم من فهم آلية هذه الاستراتيجية.

* * *

ولا يكمن الفرق الاساسي بين التقرب غير المباشر والاستراتيجية غير المباشرة في الطابع الجغرافي « للتقرب » فحسب . فالتقرب غير المباشر يهدف في الحقيقة إلى النصر العسكري وتحضيراته فقط هي تحضيرات غير مباشرة . لهذا وضعت التقرب غير المباشر في الاستراتيجية المباشرة . فالاستراتيجية غير المباشرة هي تلك التي تنتظر حلول الحسم بوسائط غير وسائط الانتصار العسكري .

وهناك ميزة أخرى للاستراتيجية غير المباشرة وهي : تكمن في الطابع الخاص الذي تتخذه فيها حرية العمل. وفي أيامنا - وهذا قبل ظهور السلاح الذري - لا يمكن أن يدور أي نزاع إلا داخل **هامش من حرية العمل محدد بصورة جيدة** ، بسبب الانعكاسات التي قد يسببها تطوره على الوضع الدولي . فقد امتنعت دول البلقان في عام ١٩١٢ مثلاً عن الاندفاع الى القسطنطينية خوفاً من أن يتمركز الروس فيها . كما راعت فرنسا المصالح الانجليزية والاسبانية في مراكش الخ ... وقد أشرنا في دراسة أخرى الى خطأ الالمان عند مهاجمتهم بلجيكا في عام ١٩١٤ وشروعهم في حرب الغواصات في عام ١٩١٦ الخ وقد

كنا محددين بالخوف مما سماه كلاوزفيتز (التصعيد الى الحدود القصوى). ويعني التصعيد ان نرى النزاع المحدود يتحول الى حريق مضطرم لا يتناسب أبداً مع هدفه الأولي. وفي اعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، حاول هتلر جهده بلوغ اهدافه دون ان يجعل الحرب العالمية تنشب . ومع السلاح الذري أصبح التصعيد الى الحدود القصوى كبيراً جداً بينما ضاق هامش حرية العمل بصورة كبيرة ، الا أن هـذا الهامش في الحرية بقي أيضاً كما بينت ذلك النزاعات المحدودة المتعددة التي حدثت منذ عام ١٩٥٠ (كوريا - الهند الصينية - شمال افريقيا - اسرائيل - هنغاريا - السويس - الكونغو - كوبا - برلين) .

فكلما ضاقت حرية العمل ، اصبح استثمارها هاماً لأنها تسمح وحدها بمجابهة الوضع القائم الذي يدعي الردع الذري محافظته عليه . وبقدر ما تضيق حرية العمل بقدر ما تصبح وسائل استثمارها دقيقة ومتروية إلى أن تتخذ مظاهر تصبح الحرب فيها مرفوضة تقريباً . ومع ذلك فان النتائج التي حققتها كانت هامة جداً، وتزيد قيمتها عن قيمة النتائج التي تحققت بحرب كبرى : فقد حرم الغرب من الصين ومن كل جنوب شرقي آسيا، واضطرب الشرق الاوسط ، وثارت إفريقيا، وانتشر التذمر في أمريكا الوسطى والجنوبية . كل هـــذه النتائج ليست فقط المحصلة الحتمية للتطور التاريخي ، فهي نتيجة استخدام بارع لاتجاهات التطور الطبيعية بمناورات محسوبة بدقة طبقاً لاستراتيجية واضحة ومحددة . وهـــذه الاستراتيجية هي ما أسميناه الاستراتيجية غير المباشرة . وقد تأكدت هـــذه الاستراتيجية بهذا الشكل كترياق لما سمي « بالعدم الذري » .

وهكذا تبدو الاستراتيجية غير المباشرة على أنها فن معرفة أفضل استخدام لهامش حرية العمل الضيق الذي أفلت من الردع بالاسلحة الذرية والحصول بواسطته على نجاحات حاسمة هامة رغم التحديد ، والتحديد القاسي أحياناً للوسائط العسكرية التي يمكن استخدامها فيه .

وسنحاول انطلاقاً من هذا التعريف فهم قواعد هذه اللعبة البالغة الدقة .

مفهوم المناورة غير المباشرة

يشتمل العنصر الاول في الاستراتيجية غير المباشرة على تحديد **هامش حرية العمل** الذي يستطيع الحدس أن يتيحه ، كما يتضمن التأكد من امكانية الحفاظ على هذا الهامش أو توسيع مداه بينما يضيق هامش الأمن الذي يتمتع به الخصم إلى أقصى ما يمكن .

ونتعرف هنا على المبدأ الذي أشرنا اليه في تحليل الاستراتيجية بصورة عامة وهو المبدأ التالي : يعود كل حوار المعركة إلى نزاع للحصول على حرية العمل .إلا أن الغرابة الاساسية للاستراتيجية غير المباشرة هي في أن حرية العمل لا ترتبط بالعمليات التي يشرع بها في المنطقة المحددة بل تستند كلها إلى عوامل خارجة عن هذه المنطقة : كتقدير قيمة الردع الذري وتقدير ردود الفعل الدولية والامكانات المعنوية للخصم وحساسيته سواء تجاه ما يواجه من أعمال أو حساسيته للضغوط الخارجية الخ .

وينتج عن ذلك أن امكانية هذا العمل ونجاح العملية محكومان بنجاح المناورة في الساحة العالمية . وهذا ما نسميه **المناورة الخارجية** . وقد أنكرت أهمية هذه المناورة في غالب الاحيان : لم نكن نرى ان اساس المعركة وروحها ينشب خارج أرض القتال لا فوق هذه الارض ، وبصورة عامة جر هذا المعنى المغاير الخطير الى كل الهزائم المتعددة التي تعرضنا اليها .

مفهوم المناورة الخارجية

ان الفكرة الاساسية في المناورة الخارجية هي التأكد من الحصول على حرية عمل قصوى بشل الخصم بواسطة ألف رباط ورباط من الردع ، كما فعل الأقزام مع جلفر وعرفوا كيف يقيدونه[1] وبالطبع – كما يجري في كل ردع – ان المناورة هي مناورة بسيكولوجية تستعين لتحقيق هـــذا الغرض بكل الوسائل السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية .

وتتعدد طرائق الردع المستخدمة من أكثر الطرق دهاء ومكراً الى أكثرها عنفاً وشراسة . ويلعب فيها احترام الاشكال الشرعية للحق الداخلي والدولي ، وتُبين فيها القيم الاخلاقية والانسانية ، ونحاول اعطاء الخصم فيها فكرة سيئة عن معركته مع جعله يشك بالمبدأ الذي تستند إليه قضيته ، ونحاول خلــق معارضة لجزء من الرأي العـام الداخلي في بلاده بينما نحرض اذا أمكن أقسام في الرأي العام الدولي ، وذلك بخلق حلف معنوي نجر إليه المؤيدين البسطاء الذين أغرتهم المبررات والحجج المتلائمة مع مزاعمهم وأهوائهم ؛ ويستغل هذا المناخ في الامم المتحدة مثلاً أوفى اجتماعات دولية أخرى ، إلا انــه يُستخدم بصورة خاصة كتهديد معد لمنع الخصم من المباشرة بعمل من الاعمال ، ويستخدم في هذا المجال تحت شكل من اشكال التهديد أو التنفيذ والتدخل غير المباشر بارسال الاسلحة

---

١ – يحاول الكاتب هنا استعارة صورة من اسطورة « جلفر في بلاد العمالقة والاقزام » التي كتبها سويفت عام ١٧٢٦ .

والاخصائيين والمتطوعين ، ويؤكد التهديد بالانتقام سياسياً واقتصادياً اذا كان ذلك ضرورياً ، وأخيراً يلوح بالتدخل المباشر وبالاسلحة الذرية ايضاً. ونتعرف بهذا التعداد الذى ذكرناه والذى لا يقتصر على ما أشرنا إليه فقط على الملامح المميزة للواقع الراهن في عصرنا .

إلا انه من غير الممكن استخدام كل هـذه الطرق بفاعلية إلا اذا تحقق الشرطان التاليان : أولاً ان تشكل القوة العسكرية الرادعة (ذرية أو تقليدية) تهديداً عاماً كافياً لشل ردود الفعل . والشرط الثاني ان يكون مجموع الاعمال المتوقعة داخلاً ضمن اطار خط سياسي اختير بصورة مناسبة ليشكل كلاً متماسكاً. فعلى سبيل المثال عندما تدخلت الولايات المتحدة في كوبا بصورة غير مباشرة في خليج الخنازير [١] ، ارتكبت خطيئة بسيكولوجية لا تعتبر خطـيرة في الاستراتيجية المباشرة (وخاصة إذا كانت منتصرة). إلا أن هذه الخطيئة كلفتها غالياً في ميدان الاستراتيجية غير المباشرة . وعندما انسحبت فرنسا من افريقيا السوداء وأنهت استعمارها لها ، وأجلت قواتها بارادتها من المغرب وتونس ارتكبت خطيئة بتمسكها بالجزائر (أو بالتبادل) .ان انتقاء هذا الخط السياسي يشكل

---

١ ـ منذ عام ١٩٥٩ بدأت الولايات المتحدة وبعض دول أمريكا اللاتينيـة تفتح أبوابها للمهاجرين الكوبيين وتنظمهم وتعدهم لغزو كوبا . وفي ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٦١ قصفت طائرات تحمل الشارات الكوبية قادمة من مطارات امريكيـة مدارج المطارات الرئيسية في كوبا . وفي اليوم التالي نزل ١٥٠٠ مهاجر قادمين من فلوريـدا وجواتيمالا على شاطىء جيرون في منطقة تدعى خليج الخنازير (لوس كوشينوس) على مقربة من شبه جزيرة زاباتا ، وكانت مهمتهم عمل رأس جسر وتشكيل حكومة مؤقتة تستطيع الدول الامبريالية دعمها بالطائرات والدبابات لتحرير البلاد كلها . ولكن جيش الثورة والميليشيا الوطنية اشتبكا مع النازلـين بمعارك شديدة ، وفي يوم ٢٠ ابريل (نيسان) تدمرت قوات الغزو وأسر مئات الغزاة مع معداتهم العسكرية

قراراً رئيسياً لنجاح المناورة .

ومن العجيب أننا استطعنا التحقق في هذا المجال من امكانية السيطرة على مواقع مجردة في المجـــال البسيكولوجي ، كما نستولي في الحروب العسكرية على موضع جغرافي ونمنع العدو عنه . وقد نجح السوفييت أيضاً في جعل الجميع يقبلون المبدأ القائل ان الستار الحديدي كان حاجزاً سياسياً غير قابل للنفاذ في الاتجاه غرب – شرق ، بينما كان هذا الحاجز نافذاً في الاتجاه شرق – غرب ، واستولى السوفييت أيضاً على مناطق وثوب للسلم ، وأصبحوا ممن ينادون بالامتناع عن صنع الاسلحة الذرية (مع أنهم يطورونها) كما أنهم دعاة تحرير المستعمرات والتحرر من الاستعمار بينما هم الذين يملكون الامبراطورية الاستعمارية الوحيدة الباقية حتى الان[٢]. ان تحليل هذا الحدث الهام من مهمات التكتيك النفسي ، ولن نبحثه هنا ، ولكن لنسجل على الأقل أن هذه (الانتصارات) تعتمد بصورة عامة على المبادىء التي يعترف بها خصومهم. فليس من المستحيل على الغربيين اذن « غزو » المواقع الأيديولوجية التي حصلوا عليها استناداً للماركسية ، اذا عرفوا كيف يطبقون في استراتيجيتهم غير المباشرة حسابات واعية بدلاً من المبـادىء القانونية

---

٢ – يحاول الغربيون الامبرياليون تشبية الجمهوريات الصغيرة الداخلة في الاتحاد السوفييتي ودول اوروبا الشرقية بأنها مستعمرات روسية . وهم يتجاهلون في هـذا حقيقة هامـة هي ان الاستعمار في حد ذاته استغلال اقتصادي ونهب لثروات الشعوب ، ولا يمكن ان يكون الدخول في اتحاد جمهوريات او الحصول على العون غير المشروط نوعاً من الاستغلال أو السرقة أو استنزاف الثروات . ويحاول الغربيون ايضاً اظهار تصفية الاستعمار العسكري وكأنها نهاية لمستعمراتهم مع أنها في الحقيقة عملية شكلية تتطلبها ظروف العصر ، وهي لا تمنع ـ رغم أهميتها النسبية ـ وجود الاستعمار الجديد الذي يستمر في نهب البلاد النامية المستقلة حديثاً (استقلالاً اسمياً لا اقتصادياً) وإخضاع شعوبها لضغط اقتصادي مستمر يجعلها أسيرة بلا حرية .

أو الاخلاقية التي يستخدمها خصومهم بصورة فعالة ضدهم في كل مناسبة [1] .

وينبغي ان يأخذ انتقاء الخط السياسي بعين الاعتبار الاتجاهات النفسية الراهنة والتطلع الى السلم، وتصفية الاستعمار وارادة رفع مستوى الحياة الخ...) كما ينبغي ان تؤخذ بعين الاعتبار حساسية العدو ونقاط ضعفه بالاضافة الى حساسية وضعف الشركاء الذين نريد استخدامهم . ويقودنا هذا في الغالب الى قيادة النزاع بصورة غير مباشرة وبواسطة « خصوم يشكلون طرفاً ثالثاً » . ان هذا التخيل لا يخدع أحداً ، الا انه اساسي من الناحية النفسية . ومن المؤكد أيضاً ان الخط السياسي ينبغي ان يتنبأ بكل الانعكاسات الممكنة للخصم وان يشتمل بقوة على كل اعمال المجابهة الملائمة . والخلاصة فإن على « الخط السياسي » ان يشكل فكرة المناورة لخطة عمليات نفسية حقيقية ، مصممة ، بنفس قوة ودقة خطة العمليات في الاستراتيجية العسكرية .

مفهوم المناورة الداخلية

وبعد ضمان الحصول على امكانية حرية العمل الى حد ما ، يبقى ان نصمم المناورة التي سنجريها على المساحة الجغرافية التي نريد الحصول فيها على بعض

---

١ — ان الذين يكثرون الحديث عن اخلاقيات حضارة البلاد الامبريالية يتجاهلون دائماً مآسي الظلم والاضطهاد التي اصابت البلاد المستعمرة في الماضي ، كما ينسون الجرائم الجديدة التي ترتكب ضد الشعوب في فيتنام وفلسطين وكمبوديا ودول امريكا اللاتينية وافريقيا ، كما يتناسون فظائع التفرقة العنصرية في افريقيا وفي قلب الولايات المتحدة الامريكية نفسها.

النتائج . وسنطلق على هذه المناورة اسم « المناورة الداخلية » .

وهنا تعود المشكلة الى ثلاثة عوامل متحولة تكميلية ورئيسية هي : القوى المادية والقوى المعنوية والزمن. فإذا كانت القوى المادية متفوقة بكثير على قوى الخصم، وقد تكون القوى المعنوية أقل، فمن الممكن ان تكون المناورة قصيرة جداً . وعلى العكس ، اذا كانت القوى المادية صغيرة جداً ، فمن الواجب ان تعوض بقوى معنوية كبيرة جداً . أما المناورة فستكون طويلة بالضرورة . وهكذا يرتسم شكلان متطرفان من المناورة الاستراتيجية .

يستهدف الشكل الأول تحقيق هدف جزئي بسرعة كبيرة ، بالاستفادة من حرية العمل الخارجية التي حصلنا عليها ، وبفضل تفوق القوات ، ثم التظاهر بالتوقف قبل القيام بعملية أخرى . هذه المناورة التي تتحقق على أهداف متتالية ، تبدو أهدافاً متواضعة نسبياً يتخللها مفاوضات،هي المناورة التي يمكن أن يطلق عليها « مناورة الخرشوفة » . وقد أعطى هتلر عن هذه المناورة مثلاً بارزاً من عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٣٩ . وقد حاول الاتحاد السوفستي تجربتها مراراً (تشيكوسلوفاكيا ، كوريا) بنجاحات غير متساوية تصنف كل المعارك الاسرائيلية فى سيناء (١٩٥٦) في نفس هذه المجموعة.

أما المناورة الثانية فتستهدف بلوغ الهـدف – وغالباً ما يكون هاماً – لا بانتصار عسكري ، بل بالتغـذية المستمرة لنزاع مصمم ومنظم ليكون ثقيل الحمل على الخصم تدريجياً . وهـــذه المناورة هي « المناورة بالاعياء » للنزاعات الطويلة التي كان ماوتسي تونج المنظّر الرائع لها والمنفذ المنتصر . ومعركة الجزائر مثال حديث من أمثلتها وربما كان من أكمل هذه الأمثلة . وتشكل برلين مثلاً من أمثلة هذه المناورة أيضا فهي تسير على التصميم نفسه تحت شكل ماكر ومخادع. وبالطبع فان كل المناورات الوسيطة ممكنة بين هذين الشكلين المتطرفين : كوريا التي ابتدأ القتال فيها تحت اشارة « مناورة الخرشوفـة » وانتهى تحت اشارة « المناورة بالاعياء » ، والهند الصينية التي تدور استراتيجيتها طبقاً للاستراتيجية بالاعياء ، وكادت تنتهي بالأسلوب العسكري للخرشوفة .

المناورة بالاعياء :

ان مفهوم « المناورة بالأعياء » مفهوم مبهم يتمتع بدقة بالغـــة . ويتضمن جر خصم أقوى منا بكثير إلى قبول شروط غالباً ما تكون قاسية جداً ، دون أن نزج ضده سوى وسائط محدودة جداً . وعندئذ تلعب إلى أقصى ما يمكن صيغة المتحولات التكميلية التي صادفناها مؤخرا : فينبغي أن يعوض تدني القوى العسكرية بتفوق متزايد في القوى المعنوية كلما طالت مدة العمل أكثر فأكثر . وهكذا تتطور العملية بآن واحد على مستويين ، المستوى المـادي للقوات العسكرية ، والمستوى المعنوي للعمل النفسي .

الخطة المادية :

فعلى المستوى المادي ، ينبغي أولاً ان نعرف كيف نبقى . فهذا الهدف الذي

اعتبره ريمون آرون الهدف الأخير للاستراتيجية [١] ، هو في الواقع هدف كل مناورة للاعياء . فعندما نكون في حالة سيئة من ناحية الوسائط ويتفوق فيها عدونا ، فنحن لا نستطيع أن نأمل بالبقاء إلا برفض القتال وباستخدام تكتيك للازعاج للحفاظ على استمرار وجود النزاع . وهذا يقودنا الى حرب العصابات، هذه الحرب القديمة قدم العالم ، والتي تعود الأجيال فتتوارثها بعد نسيان . ولكن هذا التكتيك قد تعرض منذ أربعين عاماً لكثير من التعديلات الاستراتيجية الهامة جداً [٢] ، التي تسمح بقيادة هذا النوع من العمليات طبقاً لمفاهيم عقلانية تزيد من فاعليته بصورة هائلة . وبالتالي فإن هذه المفاهيم تسمح بالتقليل الى حد كبير من عدم توازن القوى المادية . وقد حدد ماوتسي تونغ أساس حرب العصابات بسبع قواعد : التلاحم الوثيق بين السكان ورجال العصابات – الانسحاب أمام تقدم معادٍ قوي – ازعاج وهجوم امام انسحاب العدو – استراتيجية واحد ضد خمسة – تكتيك خمسة ضد واحد ، وبخاصة بفضل ما يسميه « الانسحاب المتجه نحو المركز » ، أي حشد القوات أثناء الانسحاب (لقد كان لدى ماوتسي تونغ متسع كبير من الارض في الصين) ، وأخيرا التموين الاداري والتسليح بفضل الغنائم من العدو . وتشكل هذه القواعد السبع الحد الأدنى الضروري لمثل هذا الشكل من الحرب ، وهو حد أدنى أُنكر في بعض الأحيان ، وعلى سبيل المثال ، ما فعلته منظمة الجيش السري الفرنسي في الجزائر عندما ادعت اقامة « معقل» فيها أو عندما قبل الأمريكيون فكرة انزال في كوبا بشكل « رأس جسر »تقليدي .

---

١ – فصل « البقاء هو الانتصار » في كتاب « سلم وحرب بين الأمم » لريمون آرون . (حاشية المؤلف)

٢ – تمت هذه التعديلات بفضل الكولونيل لورانس والأنظمة السوفييتية ونظريات ماوتسي تونغ (حاشية المؤلف)

وفيما بعد هذا الحد الادنى ، صيغ مفهومان رئيسيان لتأمين حرية عمل العصابات . أما المفهوم الأول فهو من أصل سوفييتي . ولكنه طبق سابقاً من قبل الايرلنديين ، وهو مفهوم يستهدف منع القمع بردع السكان من إخبار العدو بتطبيق ارهاب منهجي . وقد استطعنا تقدير فاعلية هذه الطريقة في الهند الصينية وفي الجزائر ، ورأينا كيف لم تهيج شراستها وعنفها سخط الرأي العام الدولي . أما الثانية والتي ألقى لورانس أضواء التفسير عليها في الجزيرة العربية ، فمبدؤها توسيع التهديد بالعصابات أفقياً وعلى مساحات كبيرة إلى أقصى ما يمكن دون أن نرغم العدو مع ذلك على الانسحاب بشكل نخلق له مشكلة حماية تزداد صعوبتها تدريجياً . وتطبيق هذا المفهوم ينتج اجبار الخصم على تبديد قواته تدريجياً لحماية عدد متزايد من النقاط ، مما يكون له أكبر الأثر في تعديل التوازن العملي القائم بين القوات الموجودة . وهكذا رأينا في الجزائر اقل من ٣٥,٠٠٠ مناضل جزائري يشغلون أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ جندي فرنسي في ملاحقتهم ومقاتلتهم .

وأخيراً فإنه من الواجب العناية بقوات العصابات وتغذيتها وتطويرها بصورة دائمة – لأنها تصاب بالانهاك بسرعة – حتى يبقى ضغطها متزايداً . وهذا يتطلب جهازاً أولياً لتهريب الأسلحة (أو القائها بالمظلات كما جرى في فرنسا عام ١٩٤٤) متبوعاً قدر الامكان باقامة قواعد قريبة من الأرض المهاجمة التي يؤمن عدم انتهاكها وخرق حرمتها بوسائل ردع المناورة الخارجية . ولقد كان هذا الدور ، دور القواعد الصينية في حرب الهند الصينية ، وقواعد مصر أولاً ثم تونس ومراكش في حرب الجزائر ، وقواعد الكونغو – البلجيكية سابقاً ، بالنسبة لانغولا البرتغالية الخ ... ولقد رأى بعض المؤلفين في تنظيم هذه القواعد العامل الحاسم في هذا النوع من الحروب . واذا كانت حرب العصابات ليست حاسمة بحد ذاتها ، إلا انها من المؤكد عظيمة الأهمية لأن من الممكن أن نلاحظ ان العصابات التي فشلت ، في كينيا وماليزيا ، هي العصابات التي وجدت نفسها

معزولة تماماً . وهذه النقطة الأخيرة تتيـــح للمناورة الخارجية قيمة عملياتية رئيسية تضاف إلى ما قيل عن دورها الرئيسي في مجال حرية العمل العامة .

الخطة النفسية :

وعلى المستوى النفسي ، فإن الفكرة العامــة أيضاً هي في ان نعرف كيف نبقى. ولهذا فما لا غنى عنه ان تكون القوى المعنوية للمقاتلين والمعنويات الشعبية مرتفعة وعلى مستوى عالٍ بأستمرار . فالرافعة المعنوية اذن شيء اساسي . كما لا بد من جر الخصم للأذعان والخضوع مرغماً بالاعياء الذي يصيبه . وهنا ايضاً يصبح العمل النفسي أساسياً لاستثمار النتائج المحققة في هذا المجال .

ان هذا العمل النفسي هو عمل بالغ التعقيد لأن عليه ان يتوجه بآن واحد الى المقاتلين والى المواطنين الأصدقاء والأعداء،وهو يستند الى عنصرين رئيسين ، « الخط السياسي » الاساسي وانتقاء التكتيك النفسي .

الخط السياسي الاساسي ، هذا الخط الذي ينبغي ان يكون على تناسق تام مع الخط السياسي الملائم للمناورة الخارجية ، لا بد من ان يكون قـادراً على تعبئة الميول الخفية للشعب الذي نريد تحريكه لصالح المعركة . فضلاً عن انه ينبغي ان تقدم هذه الميول (الوطنية والدينية والاجتماعية الخ ...) بحسب توجيه يؤكد عدالة القضية التي يراد دعمها . كما ينبغي أن يبدو نجـــاح العملية مؤكداً ، لا كما كان في عام ١٩٤٠ « لأننا نحن الأقوى » – لأن القوة في هـذا النوع من الحروب ليست حقيقة أبداً في البدء – ولكن لأن « الله (اوقوى تاريخية غامضة) معنا » . فالحتمية التاريخية ، التي اختارت التاريخ في الاتجاه المرغوب وكتبته منذ الأزل ، تأتي أيضاً لتأخذ مكان الصور المقدسة أو الرؤى التي كانت

تنزل على الصليبيين وتدفعهم إلى القتال ، ان هذه الحتمية تخلق نوعاً من القدر المتفائل – لكنه بنفس الوقت قدر مشؤوم عند العدو – وتشبه هذه الحتمية الايمان بالقضاء والقدر لدى المسلمين عندما خرجوا من جزيرتهم فاتحين .

وهذه النقطة الأخيرة مهمة بشكل خاص ، لأننا أسأنا تقدير الدور الذي أداه شعور الشعوب التي أخضعت ، في الاجتياح السريع للعالم ،الذي قام به العرق الأبيض ، هذا الشعور الذي يوحي بأن القدر هو الذي أراد أن نكون أسياداً لمستقبلها [1]. إلا أن الهزائم المتتالية للغرب في القسم الأول من الحرب العالمية الثانية قد كذب هذه النبوءة ، وأضعنا هيبتنا ، فأصبحت القوى التي كانت لصالحنا تعمل ضدنا .

وتشتمل التكتيكات النفسية بالطبع استخدام فنون معروفة في الدعاية ، وفي العقائدية ، وفي تنظيم الشعب بواسطة تأطير قوي ومراقب بدقة . ولكن لا بد من أن نفهم بصورة خاصة في مثل هذا النوع من الحروب أن النجاحات الوحيدة هي النجاحات النفسية ، إذن فان كل الأعمال المادية لا فائدة منها إلا من ناحية قيمتها في رفع المعنويات أو في الارتقاء بهيبة الشعب وهيبة المقاتلين . فمن الواجب أن تقاد العصابات إذن في معظم الأحيان في هذا الاتجاه . ومن ناحية أخرى، إذا لم يكن هناك نجاحات أو انتصارات أو كانت هذه النجاحات ضئيلة،

---

١ - هذا الكلام الذي يسوقه المؤلف باطل تاريخياً ، لأن الشعوب التي اخضعت لم تستكن للمستعمر الابيض ، بل ناضلت وكافحت واثبتت بنضالها اليومي ان وجود المستعمر على ارضها غصة في حلقها لا قدر محتوم عليها . وتاريخ كل البلاد المستعمرة حافل بالثورات والانتفاضات ضد المستعمرين. واذا كان هناك من تعاون مع المستعمر أو اظهر له الولاء ، فما هم إلا قلة ظهرت لدى الشعوب النامية في آسيا وافريقيا ، كما ظهرت لدى الشعوب الراقية في اوروبا عندما اجتاحتها جيوش النازية الهتلرية . فالاكراه كما يقول غاندي يخلق الانسان الوضيع .

فان الخدعة (البلفة) قد تستطيع التعويض عنها . (الدفاع « البطولي » عن بور سعيد ، تدمير « سوفرن » من قبل الفيتناميين ، تدمير « جان بارت » من قبل المصريين ، انزال الجيش المصري في منطقة القبائل في الجزائر الخ . .)[1] وفي نفس الاتجاه فان التعطش إلى الأخبار المثيرة الذي تعودت عليه الصحافة الغربية ، يسمح للخصم بمضاعفة الأثر النفسي لأعمال متواضعة ومتكررة . ومن الممكن أن نسجل هنا أيضاً أنه إذا كان على الخط السياسي أن يقدم وحدة كثيرة الجدية ، فمن الممكن أن تكون الدعاية مختلفة كل الاختلاف على الصعيد الخارجي وعلى الصعيد الداخلي .

فبفضل المناورات الخارجية والداخلية التي يتم تنفيذها بتناسق تام ، يمكن للنزاع الصغير في بادىء الأمر ان يخبو فترة ثم ما يلبث ان يتطور ويستمر . واذا أحدثت المناورة الخارجية الحد الأدنى المطلوب من الردع ، واذا لم تُخنق المناورة الداخلية منذ البدء ، فهناك فرص متاسبة من أجل مخرج ظافر . ومن أفضل هذه الفرص ان يتم التوصل الى امتناع الخصم عن النضـــال (تونس ، مراكش ، الجزائر) . واذا لم تنجح المناورة الخارجية في منع تدخل دول أخرى ، يتم التوصل الى حل وسط بشكل تقسيم بين المتخاصمين (كما حدث في فلسطين والهند الصينية) . واذا لم تنجح المناورة الخارجية في تغذية المناورة الداخلية بصورة كافية ، واذا تمسك الخصم وتشدد ، عندئذ يؤول العمل الى الفشل (كينيـــا وماليزيا) . الا أن البذور المغروسة خلال المعركة ستتطور فيما بعد ، وعلى الأقل وفي الحد الأدنى سيفرض على الخصم بذل جهد جبار للعمل ضد وسائط ضعيفة .

---

١ - لم يكن الدفاع البطولي عن بور سعيد خدعة « او بلفة » عامة بسيكولوجية كما يدعي المؤلف بل كانت امراً واقعاً أحس به جنود الغزو ولاقوا منه الأمرين على يد المواطنين المصريين والفدائيين الابطال .

انهذا الاعتبار الأخير يشير الى كل فائدة المناورة بالاعياء: المناورة المقادة بصورة جيدة ، والمصممة بمنطق دقيق ، وتتعرض مثل هذه المناورة لقليل من المخاطر بينما تجني فوائد هامة ، حتى انها لو فشلت فقد انهكت الخصم وأتعبته دون ان تنهك ذاتها. وقد تنبأت منذ ٢٢ عاماً عن مصير الاعمال الهتلرية وقلت: ان هذا الشكل من النزاع سيجد فرصة تطوره في المستقبل"[1]. إلا ان الوقائع تجاوزت ما توقعته ، لذا أراني افكر اليوم ان هذا النوع من الحروب سيتطور أيضاً ، في ظل السلاح الذري ، حتى تستكمل طرق المجابهة الفعالة ، وتخلق في هذا المجال امكانيات الردع التي نملكها في المجالات الأخرى . وسنفحص هذه المشكلة فيما بعد ،بعد دراسة « مناورة الخرشوفة »

مناورة الخرشوفة

Manoeuvre d'artichaut

مناورة الخرشوفة أسهل بكثير من المناورات التي سبقتها لأنها تستند بصورة خاصة على حسابات الاستراتيجية العسكرية في مرحلتها التنفيذية الداخلية . وعلى العكس ، تلعب المناورة الخارجية فيها أيضاً دوراً حاسماً كالدور الذي تلعبه وتؤديه في المناورة بالانهاك . وقد رأينا ذلك فعلاً في معركة السويس وفي

---

١ – أعطى هتلر ابعاداً جديدة لاستراتيجية التقرب غير المباشر ، على الصعيدين النفسي والاداري وفي المجالين العسكري والمدني . واستخدم اسلحة فكرية استهدفت تدمير العدو من الداخل والانتصار عليه باستخدام امكانياته . وكل الحرب النفسية التي شنها استهدفت شل الجهاز العصبي المعادي لأنه أقل كلفة من تدمير القوات المادية وتحطيمها ـ انظر الاستراتيجية وتاريخها في العالم ـ ليدل هارت

سيناء (١٩٥٦) حيث لم يكن للنصر العسكري أي تأثير على فشل العمليات النهائي ، تلك العمليات التي كانت تغطيتها الخارجية معدومة [١] . ومع ذلك فمن الواجب ان لا تشتمل الاستراتيجية العسكرية لمناورة الخرشوفة على قيود خاصة ، لان هذه القيود تتعلق أساساً في كون هامش حرية العمل الذي تتمتع به هذه المناورة هامشاً ضيقاً ، وحتى لو كانت المناورة الخارجية مصممة بصورة حسنة إلا أنها قد تتعرض للفشل أو للتصعيد إلى الحدود القصوى إذا لم تنجح في تحقيق « أمر واقع » لا جدال فيه بسرعة ، ويمكن لهذا الأمر الواقع ان يشكل حجر الأساس لمفاوضات مقبلة . وقد كان سبب الهزيمة السوفييتية في كوريا ان العملية لم تكن سريعة حاسمة ، وانها تجمدت في معركة طويلة . فلو لم يكن هناك رأس جسر فوزان [٢] ، لما كان هناك الهجوم المضاد على انشون ولا أي تدخل أمريكي يتبعه . فقد كانت الخطة السوفييتية تفتقر إلى السرعة والقوة . و كذلك

---

١ - لقد آن الأوان بعد مضي وقت طويل على عدوان ١٩٥٦ الثلاثي على أن نعلق بما يلي:

- لقد كان العدوان الثلاثي انتصاراً سياسياً رائعاً على مستوى الاستراتيجية العليا لمصر والحركة القومية العربية بقيادة جمال عبد الناصر ، وقد استطاع عبد الناصر بفضل تحركه السياسي الرائع وبفضل كسبه للمناورة الخارجية ، على الصعيد العالمي، من تحويل هذا الانتصار على مستوى هذه المناورة الى كسب عسكري بفضل صمود الشعب المصري وتأييد جماهير الأمة العربية . وفي رأينا لا بد من اعادة دراسة حرب السويس لعام ١٩٥٦ دراسة جديدة موضوعية ، وعلى ضوء كل الحقائق التي برزت في العدوان الأخير على الدول العربية، دون انفعالات عاطفية أو عقد نفسية.

٢ - رأس جسر اقامه الامريكيون في كوريا الجنوبية .

بالنسبة لعملية السويس (١٩٥٦) ، فلقد كان من غير المنطقي الادعاء بقيــادة عملية « جوية - نفسية » لمدة عشرة أيام قبل الانزال : لقد كان ذلك يعني ترك امكانية خلق الأمر الواقع لصالح الخصم قبل الانزال . وبالمقابل فان استيلاء هتلر على الضفة اليسرى للراين ، وعلى النمسا ثم على تشيكوسلوفاكيا ، كل عملية من هذه العمليات تمت في ٤٨ ساعة ، وهو الحد الادنى من الوقت الملائم لرد فعل السياسة الدولية . وهكذا ينبغي ان تصمم المناورة الداخلية **كاغارة كبرى** ، اساسها المفاجأة ، والسرعة ، والأعمــال الخاطفة التي تنتقل من الأقوى إلى الأضعف ،تلك الأعمال المستغلة للقوة والمفاجأة . إذن فمثل هذا المجال هو مجال القوى المنقولة جواً والآلية والمدرعة . وبالطبع لا تعتمد مثل هــذه السرعة الضروريه فقط على توقعات صائبة وعلى تنفيذ عنيف ، إلا انها تعتمد أيضاً على تحضير كامل شامل في كل الميادين . **ان مثل هذه العملية لا ترتجل ارتجالاً** .

وأخيراً ، اذا كانت حرية العمل المتاحة للمناورة الخارجية هي شرط النجاح نفسه ، فهناك شرط آخر خارجي لا يمكن الاستغناء عنه أيضاً ، وهو أن يبدو الهدف هدفاً محدوداً بصورة كافية حتى يكون مقبولاً في الرأي العـام الدولي . وقد نجح هتلر نجاحاً بيناً في تقديم كل هدف من اهدافه المتتالية وكأنه الهدف الوحيد والأخير . ونجحت لعبته هذه ثلاث مرات (حتى مونيخ) ، ولكن ، بعد براغ ، لم تخدع استراتيجية الخرشوفة أحداً من الناس . ففي المرحلة التالية كان على بولونيا ان تصعّد الحرب العالمية الثانية إلى أقصى ما يمكن ، بينما كان كثير من الناس في الغرب لا زالوا يعتقدون مرة أخرى بمرحلة محدودة جديدة . وهذا يظهر حدود هذه الاستراتيجية التي لا يمكن أن تستخدم لبلوغ أهـداف هامة جداً ، بوثبات متعاقبة ، إلا اذا كانت الاستراتيجية ستنفذ على مرحلة زمنية طويلة [١] . ولنقل أيضا ان استخدام هــذه المناورة أخطر بكثير من

---

١ ـ هذه الاستراتيجية هي الاستراتيجيـة التي تتبعها اسرائيل لتضع العرب - والرأي =

استخدام « المناورة بالاعياء » نظراً لطابعها العنيف والمثير . الا أنها تبقى في بعض الحالات الخاصة والمحددة ممكنة جداً وكبيرة الفاعلية احيانا - وبخاصة كافعلت اسرائيل في عدة مناسبات إذا اتسمت بطابع ضربات الايقاف [1] .

اساليب مجابهة الاستراتيجية غير المباشرة

منذ عام ١٩٣٥ ، والاستراتيجية غير المباشرة هي الاستراتيجية السائدة والمستخدمة بصورة دائمة ومستمرة ، وهي تحقق الانتصار تلو الانتصار . فمع هتلر ، ومن عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٣٩ ، اتخذت هـذه الاستراتيجية بصورة خاصة الطابع الذي أسميناه «مناورة الخرشوفة». وبعد مرحلة الاستراتيجية المباشرة من عام ١٩٣٩ - الى ١٩٤٥ ، استعادت الاستراتيجية غير المباشرة انطلاقها ودفعها الأول ، تحت زخم السوفييت ودفعهم . ولكن في

= العام الدولي أمام الأمر الواقع . فاذا لم تتبع كل السبل لإيقافها عند حدها ومنع استعدادها لوثبات متتالية في المستقبل، واذا لم تمنع منجني أي مكسب من حربها العدوانية الأخيرة، فانها ستثب بعد فترة من الزمن على اهداف اخرى لها في الوطن العربي .

١ - ان تسمية الضربات التي قامت بها اسرائيل بأنها ضربات إيقاف أمر مخالف للحقيقة وللواقع ، فقد قامت اسرائيل بكل عملياتها بغية التوسع والعدوان والارهاب ، فهي ليست ذات طابع دفاعي ، كما ان العرب لم يتخذوا حتى الآن أي موقف هجومي حتى تقف اسرائيل ضدهم وتواجههم بضربات إيقاف .

هذه المرة ، اندفعت اندفاعاً أكبر وذلك بواسطة أسلوب خـاص من أساليب « المناورة بالاعياء » .

ويعود هـذا الانتشار المستمر والمتزايـد لهـذه الاستراتيجيـة الى شروط الحرب الحديثة : فمنذ ١٩١٨ ، وعلى التحديد منذ كارثة هيروشيما ، والكل مقتنع بسوء استعمال الحرب الشاملة ، ويود الجميـع تجنب مثل هذه الحرب . إلا ان اولئك الذين تتضمن سياستهم تبديل الوضع القائم استمروا في استخدام القوة لتحقيق أهدافهم. وهذا يقود بالضرورة الى اللعبة الدقيقـة للاستراتيجية غير المباشرة التي يطبقها كل ممثل من الممثلين الكبار حسب مزاجه وطبعه . ولقد استخدمها هتلر بأعمال متناوبة سريعة جداً مستعملاً العقـل الماكر والعنف ، كما استخدمها السوفييت على شكل عمـل دائب وتدريجي في تفتيت وتفكيك النظم القائمة ، مع تهديد ماكر مخادع .

إذن فإن الطابع الجديد لهذا الشكل القديم جداً من الاستراتيجية (لم تكن حرب المائة عام سوى حرب عصابات طويلة، كان آخر حدث من احداثها هو المعجزة البسيكولوجية لجان دارك) قد أدهش هـذا الحدث الجميع وضللهم بصورة عامة . فقد كانوا في ذلك الوقت ، مسممين بالعقائد الراديكالية للقرن التاسع عشر ، وكانوا يؤمنون بالتمييز المطلـق بين الحرب والسلم ، ولم يكونوا يريدون في الغالب ان يروا في الاستراتيجية غـير المباشرة إلا لعبـة من لعب السياسة . وبما أنهم لم يكونوا يصممون إلا على الحرب الكبرى أو لا شيء على الاطلاق ، تركوا هتلر يتصرف طيلة اربعة اعوام ، ثم شنوا الحرب العالمية التي كانت سبب انهيار اوروبا ، دون ان يفهموا ان باستطاعتهم التغلب على هتلر بالطرق التي كان يستخدمها. وفي عام ١٩٤٦ ، عندما بدا ان الاندفاع الستاليني يجدد التهديد ردت الولايات المتحـدة باستراتيجية فسرتها بعض العناصر بأنها استراتيجية غير مباشرة وبصورة خاصة مشروع مارشال - ولكن الامريكيين، نقلوا جهدهم الى الاستراتيجية المباشرة المستندة الى السلاح الذري، وقادتهم هذه

الاستراتيجية الى استراتيجية الردع التي كان من نتائجها دفع السوفييت (وآخرين أيضاً) الى تطوير مناورتهم في الاستراتيجية غير المباشرة ايضاً. وقد ظهر ان تطور هذه المناورة كان عظيم التأثير: فمن وضع التثبيت الذي كانوا فيه عام ١٩٤٦ في ايران، اندفعوا الى اليونان ولم يخرجوا منها إلا في عام ١٩٥٠، وفي عام ١٩٤٨ تم الانتصار في الصين، وفي عام ١٩٤٩ تحقق النصر في براغ، وفي عام ١٩٥٠ وقعت احداث كوريا والتدخل في الهند الصينية، وفي عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ تم الاندفاع غير المباشر في الشرق الاوسط. وفي عام ١٩٥٤ اشتعلت افريقيا الشمالية، وفي عام ١٩٥٩ تفجرت كوبا، وفي عام ١٩٦٠ ثارت الكونغو، كما تفجرت انغولا في عام ١٩٦١، بينما بقيت المانيا تحت الضغوط المتتابعة في برلين. وهكذا حقق الاتحاد السوفييتي في خمسة عشر عاماً، وبتناوب نجاحات غير متكافئة، لم يكن ليحققها في انتصار كبير [1].

وأمام هذا الوضع، كانت ردود الفعل الغربية غير مترابطة، وغير متلائمة في معظم الاحيان، لأن المشكلة لم تكن مقدرة بصورة عامة كما تستحق، ولأن الأدوية لم يكن لها إلا قيمة جزئية، ان لم تكن نتيجتها تسهيل المناورة المعادية. فمن الأمور الأساسية وعي الصفات الموضوعية للاستراتيجية غير المباشرة والعمل بناءً عليها.

حقاً! نحن لا ندعي هنا اعطاء الحل الكامل لمشكلة أساليب المواجهة

---

١ - في هذا التحليل الذي قام به الجنرال بوفر، يعزو كل هذه النجاحات الى حسن استراتيجية الاتحاد السوفييتي، إلا انه ينسى حقيقة تاريخية هامة: هي حركات التحرير الوطنية، والاتجاه العام في كل هذه المناطق الى التحرر من الاستعمار الجديد والقديم والتخلص من كل آثار الاستغلال، هذا الشعور الذي حرك كل تلك المناطق وجعلها تتنفس ضد التدخل الامبريالي، واذا كان الاتحاد السوفييتي قد استفاد، استراتيجياً وسياسياً، من هذه الحركات إلا انه دعمها وساعدها أيضاً ايماناً منه بحتمية التحرر وباتجاه التاريخ الى وحدة الشعوب وحريتها.

والمجابهة الضرورية للاستراتيجية غير المباشرة ، إلا أننـــا على الأقل راغبون في تحديد الأفكار الرئيسية التي تسمح بايجاد أجوبة فعالة على التحديات التي تثيرها هذه السنوات الغريبة من « السلم » ، وخلال هذه الأعوام لم نعرف حتى الان إلا التخلي عن الأرض شيئاً فشيئاً . وأرجو أن يؤخذ ما سأكتبه على انه محاولة او تقدير للحلول المقترحة بناء على تجاربنا الحديثة .

المناورة – المضادة الخارجية :

ينبغي ان نعرف كيف نميز ، في الاستراتيجية أكثر من أي ميدان آخر ، الأمور الجوهرية من الأمور الثانوية. ففي الاستراتيجية ، تعتبر القوة هي الأساس، أي أن الأساس هو القوى المادية التي تسمح بالحصول إلى حد ما بسهولة على حرية العمل . أما في الاستراتيجية غير المباشرة ، فان الأساس فيهـــا يستهدف أيضاً التفتيش عن حرية العمل ، وسيتركز كل الاهتمام على الوسائل غير المباشرة القادرة على تأمينها . إذن يتركز كل الاهتمام في المقـــام الأول على « المناورة – المضادة الخارجية » . وهذه المناورة ، تبقى بالتأكيد محكومة بالردع الشامل الذي حققته الاستراتيجية الذرية المباشرة ، وبناء على ذلك ينبغي أن يحافظ على الجهد في هذا المجال . ولكن لو بقينا ضمن إطار حدود هذا الجهـــد فقط – كما تقترح بعض النظريات الأمريكية – فاننا نتخلى للخصم بهـذا الشكل عن كل حرية عمله في ميدان الاستراتيجية غير المباشرة . وعلى العكس ، لو نجحت المناورة – المضادة نجاحاً كاملاً ، فان مشاكل الاستراتيجية غير المباشرة تصبح محلولة . إذن فهنـا تكمن النقطة الحاسمة ، **وهنا ينبغي أن يوجه الجهد بالأولوية .**

وتشتمل المناورة – المضادة الخارجية على تحقيق أعمال رادعة تكميلية قدر الامكان في الردع الذري العام والشامل . وان اختيار هذه الأعمال الرادعة ، كما رأينا عند بحث المناورة الخارجية ، قد يكون انطلاقاً من قابلية تعرض الجهاز

المعادي للأخطار (رأي عام داخلي ، اقتصاد ، وضـــع دول المعسكر الشرقي والحلفاء المعنويين ، مقدسات الفلسفة الماركسية ـ أو الاسلامية أو عقائد القارة الافريقية الخ ..) ومن هنا يستنتج **الخط السياسي** الذي يشتمل على تثبيت المواقع الايديولوجية والجغرافية الواجب الدفاع عنها والمواقع المراد تهديدها. وينبغي أن نرى جيداً أن خطاً سياسياً ذا طابع دفاعي صرف لن تكون له إلا قيمة ضعيفة في الردع لأن مفتاح الردع هو القدرة على التهديد . اذن فمن الواجب وجود خط سياسي هجومي .

١ - فعلى المستوى الايديولوجي ، يتضمن الخط السياسي الهجومي بادىء لأمر ضرورة القدرة على مهاجمة النقاط الضعيفة للجهاز الايديولوجي المعـــادي بصورة فعالة . فينبغي اذن ان ننطلق بدءً من هذه النقاط الضعيفة لا بدءً من مفاهيمنا الاخلاقية أو الفلسفية . ومن ناحية أخرى ، ينبغي ان يكون جهازنا الهجومي مُصمماً تبعاً لحاجات اولئك الذين نريد اقناعهم لا تبعاً لحاجاتنا نحن . وهكذا نجد مثلاً أننا نفتقر تماماً الى « قوة ضاربة » نفسية مشكلة من فيلـــق فكري ليبرالي متلائم مع الحاجات المباشرة (اقتصاد ، تنظيم اجتماعي ، تكوين سياسي) للبلدان الفتية في العـالم الثالث . وينبغي ان نعترف ايضاً ان مفاهيمنا بحاجة ماسة للتلاؤم والتجديد ، وان نجعلها متماسكة ومنسجمة ومكيفة مـع حقائق عصرنا (اقتصاد موجه ، قوانين اجتماعية ... الخ) .

٢ - وعلى المستوى النفسي ، فإن العنصر الأساسي في اعمال الردع هو في اعادة هيبة الحضارة الغربية . ان هذه الهيبة هي وظيفة معقدة للقوة وللفاعلية الحالية ، كما هي وظيفة معقدة لهذه القوى التي يستطيع الغرب تقديمها في المستقبل طبقاً لتقديراتنا . ان انحطاط الغرب المتولد من انقساماته العمياء ، يبدو محققاً بسبب عدم قابليته لتقديم جبهة موحدة. فالعنصر الأول للهيبة الواجب استعادتها هو في معرفة العمل الواجب الذي يحمل الغرب يقبـــل ضرورة مناورة شاملة

منسقة بصورة وثيقـــة ، وبمعنى آخر ضرورة وجود سياسة مشتركة للغرب . وهذه السياسة مستحيلة في جهاز لا يشتمل من جهة إلا على منظمة حلف شمال الأطلسي ، وهي منظمـة ذات أهداف عسكرية بحتـة ، ومن جهـة اخرى الامم المتحدة التي ليست إلا لوحة لصـــدى الصراعات الدولية . فمن الضروري حتماً اقامة تنظيم غربي مكلف بانشاء الاستراتيجية العامـة . وهناك حلول ، كالحل المقترح من قبل فرنسا (لاجراء دراسة اجمالية من قبل القوى العالمية ، ودراسات محلية من قبل الدول المعنية) ، فمثل هـــذه الحلول كفيلة بالوصول إلى هذه النتيجة ، إلا أنه ينبغي أن يكون واضحاً لنا أنه إذا لم نتوصل إلى التغلب على هذه الصعوبات الحقيقية الموجودة في هذا المجال ، فسنكون غير قادرين على ربح أية معركة . والعنصر الثاني الذي لا غنى عنه لاستعادة هيبتنا هو تجديد الثقة العالميـــة في مستقبل حضارتنا . ومن الممكن استغلال الخطوات لاقتصادية الرائعة لأوربا خلال الأعوام الأخيرة ، بصورة أكثر فاعلية من ذي قبل في سبيل تحقيق هذا الهدف . ولكن الذي يستطيع أن يقود إلى هـــذه النتيجة هو امتلاك عقيدة ديناميكية أي عقيدة متجددة شابة . وأخـيراً فان الهيبة تنتج في قسط منها عن الخوف الذي نوحي بـــه لخصومنا ، وبخاصة ازاء الشعوب الفتية حيث تلعب « المواجهة » دوراً كبيراً. ومعنى هذا أن لا نغامر مرة أخرى وأن نحاول تجنب ضياع هيبتنا قـدر الامكان (كما حدث في السويس (١٩٥٦) ، وكوبا في شاطيء الخنازير) وأن نبذل جهدنا لاستعادة هذه الهيبة بأعمال تنفيذية نموذجية ومنتقاة طبقاً لبرنامج محسوب بدقة . هـذا هو السلوك الذي ينبغي أن نسير عليه ، وقد بيّنت أزمة كوبا في خريف عام ١٩٦٢ فاعلية مثل هذا السلوك [١] .

---

١ – يحاول المؤلف تفسير كل الهزائم التي لحقت بالمخططات الغربية بأنها فشل ناجم عن سوء التقدير وخطأ الحساب ، وهو يتجاهل، مثله مثل معظم المفكرين الغربيين الذين لا زالوا يعيشون في عقلية القرن التاسع عشر (رغم مظاهر المدنية والتقدم التي يعيشون فيها)، ان زمن الاستعمار–

٣ - ومن جهة النظر الجغرافية، ينبغي اختيار المناطق التي يراد تركيز الجهد عليها للدفاع عنها أو لتهديدها أو لمهاجمتها . وينبغي إذن أن يتجه هذا الاختيار من جهة نحو مناطق تغطي نقاطنا الحساسة، ومن جهة أخرى نحو المناطق التي تهدد المناطق المعرضة للأخطار لدى الخصم، وقدر الامكان نحو المناطق التي يكون العمل فيها سهلاً . وعلى أي حال، ينبغي أن نفتش عن المناطق المحصورة المشكلة مراكز عمل قادرة على التطور في المستقبل (ككوبا مثلاً)، وأن نتجنب التورط في المناطق التي يستطيع الخصم تطوير جهده فيها بأقل ثمن ممكن مع اجبارنا على تخصيص وسائل هامة فيها (كما يجري في جنوب شرق آسيا) . وأخيراً، ينبغي أن تعطى الأولوية للقضاء على القواعد الخارجية التي تسمح للخصم بقيادة عدوانه غير المباشر، حتى ولو تعرضنا في سبيل ذلك لكثير من الصعوبات [١] .

- قد ولى وان استعباد الشعوب بالمعارك المدروسة والاعمال التنفيذية النموذجية أصبح امراً بعيد المنال، في عالم يتطلع الى الحرية والمساواة والتقدم. ان عقلية الفتح الاستعماري تصطدم اليوم بقوى التحرر المدعومة بالقوى الاشتراكية العالمية في كل مكان من العالم .

١ - في الواقع ان القواعد العسكرية الخارجية بدأت تفقد قيمتها الاستراتيجية :

١) نظرا لكثرة تكاليفها المادية .

٢) لأنها تثير شعور العداء لدى الشعوب التي أخذت تحس بأن هذه القواعد نقمة عليها وقد تعرضها لضربات ساحقة اذا ما وقع صراع بين الكتلتين، لا دخل لهذه الشعوب فيه ولا تستطيع التأثير في مسيرته .

٣) لأنها أضحت نقاط حساسة ومعرضة للخطر ولضربات الصواريخ الذرية عابرة القارات ومكشوفة لأقمار التجسس وغيرها من الوسائل والحديثة . لذا استبدلت القواعد بالاساطيل الجوية - البحرية (حاملات الطائرات) التي تحمل قطعات تقليدية للتدخل بسرعة في الحروب المحدودة، كما تحمل صواريخ ذات رؤوس ذرية (مراكب سطح - غواصات) وتمتاز هذه الاساطيل بسرعة حركتها وبعدم تشكيلها نقطة ثابتة يسهل ضربها .

المناورة المضادة – الداخلية :

في مكان هذه الاعتداءات نفسها ، قد يتخذ الرد اشكالاً كثيرة الاختلاف . فإذا كان الاعتداء العنيف من نموذج مرحلة من مراحل « استراتيجية الخرشوفة » فينبغي أن نملك القوى التكتيكية الضرورية لتجنب حدوث أمر واقع بسرعة . فوجود مثل هذه القوى سيكون كافياً بالطبع لتأمين ردع فعال . وعلى العكس اذا كنا لا نمتلك في المكان نفسه الوسائل الضرورية لمنع حدوث هـــذا الأمر الواقع ، فنحن مضطرون للاستعانة بالمناورة الخارجية . فقد أظهر مثال عدوان السويس – سيناء عام ١٩٥٦ [1] ، انه مع مهاجمين مترددين ، تستطيع المناورة الخارجية إلغاء الانتصارات المحلية . إلا ان تدخلاً سريعاً – كتدخل الامريكيين في كوريا – ان مثل هذا التدخل يستطيع منع قرار محلي ، وبالتالي يستطيع احباط كل المناورة المعادية . أي ان الأهمية كل الأهمية لقوة ردع قوات التدخل السريعة الحركة .

واذا كان العدوان عدواناً غير مباشر من نموذج (الاستراتيجية بالاعياء) فنتردد بين اختيار ثلاثة حلول . ويشتمل أفضل حل منها ، اذا كان ممكناً ، على حماية الشيء الاساسي (أي الاشراف الحكومي) دون زج وسائط كبرى ، ودفع هذا العدوان غير المباشر وحل النزاع بخنقه بمناورة خارجية فعالة بصورة كافية . وإذا فشلت المناورة الخارجية (كما فشلت مناورة فرنسا الخارجية في الجزائر) سنضطر الى القيام بمناورة داخلية تستهدف اجراء هجـــوم مضاد مباشر .

وهنا أيضاً يكون « الخط السياسي » هو العنصر الرئيسي المخصص للقضاء

---

١ – استخدم الكاتب هنا تعبير العدوان في السويس – وسيناء . agression (ومن فمه ندينه ..) خاصة وأنه عليم بخفايا العدوان الثلاثي لأنه كان قائد الفيلق الفرنسي المشترك بالغزو عام ١٩٥٦ .

على أوراق الخصم الرابحة . فينبغي إذن من ناحية الحفاظ على الهيبة ورفعها بتظاهرة قوة دون شك ، ولكن ايضاً بالاقناع بامكاناتنا في المستقبل (تقدم حضارتنا، دعم دولي الخ ..) ومن ناحية أخرى بالقضاء على المطالب والشكاوى باصلاحات عميقة .

وعلى المستوى العسكري ، من الضروري **تفشيل استراتيجية العصابات** ، كما صورت فيما سبق : وفي بادىء الأمر ينبغي ان نتجنب اغراقنا بالمناورة على السطح بلجوئنا الى اقتصاد صارم بالقوات لتفشيل « مناورة المدينة »[1] . وهذا « يقود » إلى تحديد الحماية الممنوحة للأشخاص والثروات بصورة عامة بفضل كثافة قوية للاحتلال في مناطق قليلة ومنتقاة حسب أهميتها السياسية والاقتصادية والقبول بدرجة معينة من عدم الأمن فيما تبقى من أرض البلاد . فالمخافر التي ستقام فيها تكون مهمتها جمع المعلومات فقط ، وتبعاً لهذه المعلومات يمكن لنا البدء بسلسلة من العمليات نستهدف منها منع تنظيم قواعد معادية . وفي بعض الحالات ، نستطيع ترك العدو ليتمركز في راحة تامة في بعض المناطق لتدميره بسهولة أكبر . ويرتبط مع هذه الاجراءات تدابير اغلاق الحدود اغلاقاً تاماً بفضل تكتيك السدود والحواجز الذي عرفته الحروب في ليبيا (ايطاليا الفاشستية) وفي الجزائر . وتتطلب مثل هذه العمليات وسائط هامة جداً حتى ولو كانت قيادتها على أعلى مستوى . وهنا تكمن نقطة ضعفها الكبرى لأنها حرب طويلة الأمد بالضرورة . فعلى الاستراتيجية إذن أن تبذل جهدها للتوصل الى حلول اقتصادية بينما يستخدم التنظيم صيغاً من أجل استمرار هذه الاجراءات وادامتها (كاجراء تبديل القوات الخ .) . وفي بعض المناسبات الملائمة بصورة

---

١ ـ يقصد هنا بمناورة المدينة ما قام به لورانس في الحجاز ، في حرب العصابات ، ضد الاتراك العثمانيين ، بمعونة العرب من كائن وقطع لخطوط المواصلات والسكك الحديدية ، وكانت استراتيجيته تعتمد على ترك قوات العدو في مراكز متفرقة وعدم مهاجمتها واضعافها بقطع طرق مواصلاتها وتهديد نقاطها الحساسة حتى تبعثر دفاعاتها ووسائط أمنها فيصبح بقاؤها مشكوكاً فيه .

استثنائية ، من الممكن محاولة اتخاذ القرار بالضرب بعنف مستخدمين جهداً كبيراً من الوسائط شريطة أن تكون النتائج سريعة وحاسمة . فاذا لم يكن ذلك ممكناً (كما حدث في الجزائر عام ١٩٥٦) فان اتخاذ القرار بهذا الشكل يقلل من قدرتنا على الاستمرار ، إذن فاننا نعرض انفسنا للعبة المناورة بالاعياء المعادية .

وأخيراً ، ينبغي بالتأكيد أن تقاد هذه العمليات مع الاهتمام الدائم بالحصول على أثر نفسي ، على العدو وعلى السكان . وبما أن هؤلاء السكان محميون في المناطق العالية الكثافة بالاحتلال ، فمن الممكن مقارنة مصيرهم الأفضل مع مصير السكان الذين يعيشون في مناطق تحت اشراف ورقابة الخصم الكاملة أو غير الكاملة . ولا ينبغي اطلاقاً وتحت أية حجة من الحجج تقليص المناطق[1] المحمية والتي أضحت مناطق لجوء ، حتى يثق السكان بنا ، وعندما تمتد هذه المناطق وتتسع ، فينبغي أن لا يكون هناك تراجع عنها . والمعارك ضرورية للهيبة ، كما أن من الضروري اخفاء الهزائم[2] أو التعويض عنها بانتصارات أكثر أهمية منها وان يطنب بقيمتها بصورة ملائمة .

وبرغم كل الاحتياطات ، التي قمنا بعدها طبقاً لأخطاء وقعت في معركة الجزائر بصورة خاصة ، فمن الضروري أن يبقى ثابتاً في اذهاننا ان هذا النوع من المعارك لم يكن ملائماً للدفاع ابداً إلا بصورة استثنائية ، وكما إشرنا ، فقط عندما لا توجد قواعد خارجية قريبة قادرة على تغذية العصابات وامدادها . ففي الاستراتيجية غير المباشرة ، يعتبر الرد على الهجوم بالدفاع المباشر حلا

---

١ ـ ان هذا الموضوع يلزم باتباع سياسة اعداد للافراد على مدى طويل ولا تشتمل على اية تبديلات .

٢ ـ بدلاً من ان تصبح موضوعاً لعناوين الصحف . (حاشية المؤلف)

سيئاً يشبه تصرف الثور الذي ينقض على الفلالة الحمراء، بينما كان عليه ان ينقض على مصارع الثيران نفسه أي على المناورة الخارجية .

استنتاجات عن الاستراتيجية غير المباشرة

كانت الاستراتيجية غير المباشرة (التي هي « طريقة » محدودة من طرق الحرب الشاملة) استراتيجية كل العصور (كالاستراتيجية المباشرة تماماً). وتُعزى مظاهرها الحديثة وانتشارها وشيوعها الكبير الى استحالة قيام حرب كبرى في الوقت الحاضر، من الناحية المنطقية . فدورها إذن هو في الحقيقة دور متمم لدور الاستراتيجية النووية المباشرة : فالاستراتيجية غير المباشرة هي المكمل أو هي الدواء الشافي الى حدما للاستراتيجية النووية . فبمقدار ما تتطور الاستراتيجية النووية وتتوصل الى تعزيز الردع الشامل بالتوازنات غير الثابتة التي تقيمها بمقدار ما يزداد استخدام الاستراتيجية غير المباشرة، وسيصبح السلم تدريجياً أقل شبهاً بالسلم وسيتخذ الشكل الذي سميته في عام ١٩٣٩ « سلم – حرب » هذا الشكل الذي نعرفه اليوم جيداً تحت شعار الحرب البادرة .

فهذه الحرب الباردة هي بالنسبة للحرب الساخنة كالطب بالنسبة للجراحة . فبدلاً من العمليات الدموية للحرب الساخنة نرى « التهابات » لا تقل عنها خطورة وإماتة سوى أنها أكثر اختفاء . ولا تؤثر الطريقة الجراحية ضد هذه الالتهابات إلا نادراً : فينبغي القيام باللقاحات الوقائية أو بمحاربة هذه الالتهابات ، بمضادات لها ، مع معالجة المرض منذ نشوئه . ففي هذه الحرب الخفية التي تشبه فيها الالتهابات النفسية التهابات الحرب الجرثومية (الباكتريولوجية) من الصعب جداً ضبط الأحداث بعد نشوبها : فقد

سقطت المانيا في عـــام ١٩١٨ وساهم في سقوطها اندلاع الثورة البلشفية التي ساهمت المانيا في بذر بذورها قبل عام من سقوطها . ومشكلة تصفية الاستعمار وتحرير المستعمرات التي طالب السوفييت بها منذ عام ١٩٢١ قد تجاوزت في بعض الأحيان تنبوءات الاتحاد السوفييتي نفسه، وسببت له في افريقيا مشكلات لم يكن مستعداً لمجابهتها . وهذه الحرب الطبية مختلفة كل الاختلاف عن عاداتنا بالرغم من استخدامها منذ آلاف السنين .

وليست الاستراتيجية غير المباشرة استراتيجية خاصة ، متميزة ذاتياً عن الاستراتيجية المباشرة بالرغم من كل مظاهرها الخاصة والمحيرة أحياناً . فمفتاحها هو حرية العمل ، كما في كل استراتيجية أخرى . ان طريقة الحصول على هـذه الحرية بالأمن والمبادهة ، في الاستراتيجية غير المباشرة، هي التي تختلف عن طريقة الحصول على هذه الحرية في الاستراتيجية المباشرة لأن هامش حرية العمل (أي الأمن) يرتبط بالمناورة الخارجية لا بالمناورة الداخلية . وهذه هي الميزة الخاصة التي تعطيها الطابع غير المباشر .

ومن المهم أن نرى جيداً أن الأمن يرتبط بعوامل المناورة الخارجية ، إذن فالأمن مرتبط بحساسية الخصمين وتعرضهما للأخطار . فكل تعرض للخطر يقدم ممسكاً للخصم ، وكل تعرض معادٍ للخطر يتيح امكانية التهـديد بالانتقام . إذن فعلى هذا المستوى ينبغي أن توضع دراسة الأمن . وبما أن بعض مكامن الخطر قد تكون ثورية فهي تحتاج الى وقت طويل للتطور والنمو (مؤتمر باكو ١٩٢١ ، تحرير المستعمرات من ١٩٤٥ إلى العقـد السادس من القرن العشرين ، ابتدأت ثورة كوبا في عام ١٩٥٦ الخ ...) فينبغي أن تجري المجابهة غير المباشرة لصالح الأمن بسرعة ، كالمبادرات المعدة لمجابهة التهديدات المعادية . ان العمل الحقيقي للاستراتيجية غير المباشرة ، ينبغي أن يجري ابتداء من الاعمـــال التمهيدية التي تتقدم كل حدث . فاذا جرى العمل غـــير المباشر بعد مستوى التمهيد كان متأخراً .

وهكذا فان الاستراتيجية غير المباشرة هي التطبيق العملي لقانون الاستراتيجية العام على قيم بعيدة لبعض العناصر المتحولة، كالقوة (المتناقصة الى الحد الأدنى) والزمن (المتزايد بشكل ملحوظ) ، والحقيقة ان القانون العـــام المبسط للاستراتيجية يمكن تمثيله كقانون انشتاين بالشكل التـــالي : س = ك . ق . م . ز حيث تمثل س الاستراتيجية ك العامل الخاص للحالة الخاصة ، وتمثل ق القوى المادية ، وتمثل م القوى المعنوية وتمثل ز الزمن . وفي الاستراتيجية المباشرة يكون عامل القوى المادية ق سائداً ، بينما يكون العامل م أقل أهمية والعامل ز صغيراً نسبياً . أما في الاستراتيجية غير المباشرة فان الأهمية النسبية للعوامل المتحولة معكوسة ، إذ يصبح فيها العامل ز أكثر العوامل أهمية .

والواقع أن العامل النفسي - موجود دوماً في كل استراتيجية - ويلعب فيها دوراً حاسماً . والغرض هو استبدال القوة المادية الناقصة بقوة ايديولوجية مبنية بصورة جيدة ، واستبدالها أيضاً بقوة التوحيد بين مختلف القوى ، هـذه القوة الناتجة عن حساب عاقل ودقيق . والخلاصة ، فان العقل يحل محل القوة . إلا أنه ينبغي ان لا ننسى ان وجود او استخدام القوة يبقى ضرورياً في لعبـــة الاستراتيجية غـــير المباشرة وفي لعبة الاستراتيجية المباشرة . وينبغي ان لا ننخدع بالنسب المتواضعة التي تقدمها القوة لهـــذه الاستراتيجية في الغالب . هذا الدور غـــير المرئي في بادىء الأمر ، إلا انه دومـــاً دور موجود . وترسم القوة الذرية الاطار العـــام ، وحـــدود الردع التي يجب على الاستراتيجية غير المباشرة ان تتطور ضمن اطارهـــا . وبعـــد ذلك ، فان القوة ضرورية ، في الاستراتيجية غـــير المباشرة نفسها لاستثمار (أو التهديد باستثمار) الأوضاع التي خلقتها المناورة النفسية ، ويبقى ما أقوله صحيحاً حتى ولو لم يتعلق الأمر إلا بوجود بعض جنود الخوذ الزرقاء من الأمم المتحدة أو بعض جنود المرتزقة في كاتانجا . وقد تكون القوة صغيرة جداً ، إلا أنها ليست معدومة تماماً . فبدون قوة ليس هناك استراتيجية . ففى هذه اللعبة الدقيقة

البعيدة جداً في غالب الأحيان عن الحرب الحقيقية التقليدية ، يبدو استخدام القوة للبعض خطأ لا يقبله العقل . ان هذه النظرة نظرة خاطئة وخطرة فليست القوة في حد ذاتها جيدة أو سيئة ويتعلق تقييمها بالقضية التي تخدمها وبالسياسة التي تحركها . ومن الجهل بحقائق الأشياء أن نندب قائلين بأن القوة تلعب دوراً هاماً في النزاعات التي تغرس أوتاد التطور التاريخي .

ويعتبر هذا الاستخدام الدقيق للقوة في الغالب وكأنه مجال من مجالات السياسة :فالاستراتيجية غير المباشرة كما قدمناها لا يمكن ان تكون «استراتيجية» بل هي « سياسة » . فالصراع بين الكلمات ليس له أهمية كبيرة ، فضلاً عن أن من البديهي أن تقاد الاستراتيجية غير المباشرة على مستوى رؤساء الحكومات . سوى أن اختيار الكلمات يكشف عن فهمنا لهذا الحدث. فاعتبار الاستراتيجية غير المباشرة كسياسة ، يعني حدوث التباس خطير بين الأنواع المتعددة . وللسياسة في الواقع دور تعيين الأهداف وتحديد حجم الوسائط الواجب تكريسها لكل هدف منها ، وعليها أن تقرر الطرق الواجب اتباعها لبلوغ الهدف ، هل هو طريق الاستراتيجية غير المباشرة ام لا . إلا ان قيادة هذه الاستراتيجية ، ليست للسياسة إطلاقاً بل هي للاستراتيجية ، أي أنه ينبغي ان يخضع استخدام القوة فيها للتعاون المدروس دراسة جيدة .

وقد اظهر تاريخ هذه السنوات العشر (١٩٥٠ – ١٩٦٠) الأخطاء القاتلة التي يمكن ان ترتكب عندما يُراد معالجة مثل هذه المسائل بالتجربة والاختبار ضد خصوم واعين وعياً كاملاً لقواعد هذه اللعبة . فلنتعلم منذ الآن على استخدام هذه القواعد كما يستخدمونها ، بنفس الروح الواقعية وبنفس الذكاء كي نتجنب الانهيار التدريجي لكل مواقعنا أو الاعتماد اليائس على المصائب التي تطلقها اليوم الاستراتيجية المباشرة .

فلنتعلم البقاء أحياء في « السلم » وحماية ما بقي من هذا السلم ، فإن علينا ان نتعلم الاستراتيجية غير المباشرة .



الفصل الخامس

استنتاجات عن الاستراتيجية

يستحق المهزوم مصيره لأن هزيمته تنتج دائماً عن الأخطاء الفكرية التي ارتكبها ، سواء قبل النزاع أو خلاله . ولا تشتمل الاستراتيجية على لعبة فكرية عن حقائق الحرب ، ولا على طريقة ادعائية أو تعليمية للتفكير في المسائل التي تعترضها . وارجو ان تكون الدراسة السابقة التي ذكرتها قد اقنعت القارىء واظهرت له ضرورة وجود فكر قائم بذاته ، يستطيع ان يقدم دليلا عملياً ، بالرغم من تعقيداته ، لتحقيق أهداف السياسة بصورة أفضل ، وبخاصة لتجنب الأخطاء الفادحة التي قدم لنا التاريخ الحالي كثيراً من الأمثلة عليها .

* * *

ولقد انتقيت في هذا التقديم الذي قدمته للاستراتيجية أن أتخذ موقفي دفعة واحدة من وجهة نظر **الاستراتيجية الشاملة** ، هذه الاستراتيجية التي تستهدف قيادة النزاعات العنيفة أو المخادعة الماكرة ، التي تنشب وتجري بآن واحد في مختلف الميادين ، السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية ، لأن كثيراً من العوامل الحاسمة تفلت منها وتنجو . وحتى في أحسن الظروف ملاءمة (كحالة

الاستراتيجية النابوليونية) يبقى التفسير العسكري الصرف غير كامل ، ومن هنا فهو تفسير مخادع .

وللسبب نفسه، لم أؤمن باستطاعتي تبني الثنائية : استراتيجية – دبلوماسية التي استند إليها مثلا ريمون آرون [1] ، لأن هذه الثنائية تقود الى تقسيم جائر وتعسفي لمسألة موحدة في الأساس (والتي تملك أكثر من هاتين المركبتين) . فبدلاً من هذا التقسيم العامودي ، أراني أفضل التقسيم الأفقي بين **السياسة** وهي في **الأعلى والاستراتيجية الشاملة** وهي تحتها ، لاننا بهذا الشكل نحترم تسلسل المهام والاهتمامات ، ونحافظ على وحدة التفكير الخاصة بكل مستوى من هذين المستويين .

وبالطبع، يتخذ كل هرم الاستراتيجيات موقعه تحت السياسة (الاستراتيجية الشاملة في القمة موحدة الاستراتيجيات العامة المختلفة والخاصة بكل مجال ، وهي بدورها تنسق الاستراتيجيات العملياتية التي تنبع من اختصاصها) التي تسيطر على مجموع التكتيكات والفنون . فليست الاستراتيجية العسكرية إلا احد هذه الاستراتيجيات العامة، وتقوم بدور رئيسي أو دور بسيط مساعد حسب الحالات والأوضاع .

* * *

لقد رأينا أن في استطاعة اللعبة الاستراتيجية أن تجري – كالموسيقى – حسب « طبقتين » . فالطبقة العليا هي **الاستراتيجية المباشرة** ، وفيها تمثل القوة عاملاً أساسياً . والطبقة المنخفضة هي الاستراتيجية غير المباشرة حيث يبدو أن دور القوى يمحي أمام الدور النفسي والدور التعاوني لكل العوامل الأخرى . ومن الممكن أن تمتزج هاتان الطبقتان بنسب متغيرة لتنتج عدداً كبيراً من « النماذج » التي فحصنا أشكالها الرئيسية .

---

١ في كتابه « السلم والحرب بين الأمم ».

وما ينبغي أن نراه جيداً هو أن هذه « الطبقات » وهذه « النماذج » لا تمثل إلا حلولاً مختلفة في **الصيغة العامة نفسها** : فهي تستهدف الهدف نفسه ، والقرار بالاستسلام النفسي للخصم ، وتستخدم نفس الطريقة المستندة إلى الصراع للحصول على حرية العمل . إلا أن هذه الحلول تتباين عن بعضها البعض **بطرائقها** المستخدمة . فكل حل منها هو مزيج خاص (كوكتيل) من الطرائق المختارة والمنتقاة لأنها تتلاءم بصورة أفضل وتتفق مع الوسائل الجاهزة أو مع مكامن الضعف لدى الخصم . **واختيار افضل هذه الطرائق من بين مجموعة** كبيرة واسعة الامتداد تذهب من الايحاء إلى التدمير المادي ، ان هذا الاختيار ربما كان أهم جزء في الاستراتيجية . فهو الذي يسمح بمجابهة أكثر الأوضاع صعوبة ويتيح في الغالب الانتصار لأضعف الخصمين .

في هذا الاختيار كما في الادارة اللاحقة للعمليات ، يعتبر الحصول على حرية العمل الدليل الساطع على النجاح. **والصراع من أجل حرية العمل هو في الواقع روح الاستراتيجية** . وينتج عن ذلك أن حماية حرية عملنا الخاصة (الأمن) ، والقدرة على حرمان الخصم من حرية عمله (بالمفاجأة والمبادهة) تشكلان قواعد اللعبة الاستراتيجية . ويبرز الى النور هنا مفهومان : المفهوم الذي يحاول أن يلعب لعبة القوى الجاهزة ، الأكثر منطقية من غيرها (الاستراتيجية الآلية العقلانية) والمفهوم الذي يستهدف اللعبة الأكثر خداعاً والتي تخيب ظن الخصم (استراتيجية تأمين التوافق) . وتستخدم هاتان الاستراتيجيتان التطبيقيتان في كل من « النموذجين » الاستراتيجيين الكبيرين لمجموع الاستراتيجية المباشرة والاستراتيجية غير المباشرة ، سوى ان انتقاء أحدهما أو استخدامهما مركبتين يرتبط بالشروط الخاصة للعملية التي نواجهها : فمعركة ديان بيان فو كانت مرحلة من « الآليــة العقلانية » في معركة تنشب تحت لواء الاستراتيجية المباشرة ، وبالعكس فان عصابات فرنسا (ضد ألمانيا النازية في نهاية الحرب) لم تكن إلا مظهراً من مظاهر « تأمين التوافق » للعملية أوفرلورد بكاملها والمصممة طبقاً لمبدأ الاستراتيجية المباشرة الصرفة .

وتحليلنا لسير حركة الفكر الاستراتيجي بهذا الشكل ، يجعلنا نجد أنفسنا وقد توصلنا من جهة الى كشف الوضع الجدلي للخصوم ؛ هـــذا المسار الذي تحدده أربع احداثيات (القوى المادية والقوى المعنوية والزمان والمكان) ومن جهة اخرى الى التعديلات الجدلية المحدثة بهذا الوضع في الزمان وفي المكان بغية الحصول على حرية العمل . وهذا التتابع في الاوضاع الجدلية ، الذي يوازي فيلم المعركة ، هو ما اطلقنا عليه اسم « عامل المناورة » الذي يجمع بين « الآلية العقلانية » و « تأمين التوافق » في مبارزة بالسيف تتم من أجل نتيجة حاسمة .

وليست المشكلة في هـــذه المبارزة هي صد الضربات المعادية (مع ان من الواجب صدها أيضاً) بل منع الخصم من الحفاظ على المبادهة وأخذ المبادهة منـــه والحفاظ عليها حتى النتيجة الحاسمة . وبهذا ينبغي ان تجتهد المناورة ، بتوقعاتها ، ان تكون أهلاً لمعالجة كل الاوضاع السيئة ، وان تشكل كل خطة مجموعة منسجمة من التوقعات التي تقود الى النتيجة الحاسمة .

إلا ان الاستراتيجية لا تدار ، كلعبة الشطرنج بأحجـــار ذات قيمة ثابتة ومحددة . فحلولها تماثل المطبخ الذي ينبغي عليه مزج المواد وهي في حالة تحول دائم . وتستخدم الحرب أو الصراع قوى مادية تتأثر بعتاد العصر ، بالإضافة إلى قوى معنوية . وترتبط هذه القوى الأخيرة بصورة وثيقة بالأفكار المسيطرة على الحضارة القائمة . وينتج عن ذلك ان الاستراتيجية اختراع دائم وابدي مستند الى فرضيات ينبغي التحقق منها اثناء العمل ، واننا ندفع ثمناً قاسياً ، حينما تحل بنا الهزيمـــة نتيجة لأية أخطاء في التقدير . وهنا تكمن أكبر صعوبة للاستراتيجية ، وبخاصة في عصور التطور السريـع ، كما هو الحال في عصرنا الحاضر .

وقد أسيئت معرفة هذا الطابع التطوري حتى هذه الأعوام الأخيرة ، لأن بعض النظريات ذهبت الى حد الادعـــاء بأن للاستراتيجية فضيلة العمل على

مبادىء ثابتة ، وعلى التكتيك وحده أن يتطور .

ولقـــد ألزمنا السلاح الذري بفهم ما يلي: ان اختيارات الاستراتيجية هي بالضرورة متحولة ومتبدلة وتخمينية ، تحت مبادىء قليلة العدد وثابتة ، الأمر الذي يبرر تعدد « النماذج » مقـــابل الأفكار التمسكية Orthodoxie الخاصة بالنظريات القديمة .

ومن الآن فصاعداً ، ولكي نحدد احتمالات الخطأ الذي قد يؤدي إلى نتائج رهيبة ، أضحى من الضروري أن ننظم بصورة أفضل دراسة الصدف . فخلافاً لتقاليدنا ، أصبح التنبوء والتوقع أمراً من الأمور الهامة، بل أهم من تحقيق قوات لن تكون قيمتها مؤكدة . فليس هناك بعد الآن استراتيجية حديثة دون أجهزة دراسات مزودة تزويداً قوياً ، وبدون طريقة تحليل جيدة للأوضاع ، وبدون معرفة كاملة بالتطور وبامكانيات مختلف الاختراعات التي يمكن أن تستخدم .

ونحن بعيدون جداً عن كل ذلك !!

* * *

وأخيرا ، فان كثيرا من مجالات الاستراتيجية لم تستكشف بعد بصورة كاملة أو لم تستكشف على الاطلاق . فالاستراتيجيات السياسية والدبلوماسية بالرغم من استخدامها القـــديم جداً ، فهما ما زالتا عملياً غير مكتوبتين . كما أن الاستراتيجية الاقتصادية، والتي عرفت الآن بصورة تقريبية من خلال طابعها السلمي، فانها لم تدرس حتى الآن دراسة كافية في مظاهرها القسرية .

ومن هنا تظهر لنا مهمات وواجبات عاجلة . أن أهم المسائل يتعلق بدراسة العامل النفسي للاستراتجية ، لأن من الضروري تحديد نفسية الجماعات بدقة ، ونفسية الجيوش والقادة والحكام والشعب والرأي العام الدولي ... الخ . وقد

أصبح من المستحيل الاستمرار في العمل براحة تامة في هذا المجال الذي ارتكبنا فيه مؤخراً أخطاء جسيمة نتجت كلها عن تقدير خاطيء لتسلسل الاستراتيجيات : وقد قادنا بعض الانتشار البدائي للبسيكوجية على أن لا نحسن فيها إلا فنوناً ارتفعت في أفضل الحالات الى مستوى التكتيكات . إلا ان هذه التكتيكات لا قيمة لها اذا لم تمارس ضمن اطار استراتيجية نفسية حسنة. وهذه هي كل مشكلة تحديد الخط السياسي العام الذي عالجناه. وهذه المشكلة هي بالتأكيد من أصعب المشكلات وتعود دون شك الى شكل خاص من اشكال التفكير ، وربما كان هذا الشكل هو الشكل الجدلي .

هل نحن قادرون على ان نستنتج شيئاً من مجموعة من التحليلات الصعبة والمعقدة إلا ما تفرضه دراسة الاستراتيجية ، وحتى ولو كانت دراسة مختصرة ؟

فهذا الفن القديم ، الذي بقي سرياً لمدة طويلة ، ومنذ وقت قصير كان قد ألقي به في متحف الاشياء الميتة إلا انه أخرج من القبر مؤخراً تحت ضغط الأحداث ، ان هذا الفن هو في وضع من يجدد شبابه وصباه الآن . ولكن لكي يكون أهلاً للسيطرة على ظواهر اتساع واختلاف الحرب الباردة والحرب الشاملة والحرب الثورية والحرب الذرية، ينبغي ان تتعرض الاستراتيجية الابدية لتمددات هائلة وتجديد عميق .

وهذا ما حاولناه ، مع اعتقادنا وإيماننا بأن الفكرة هي التي ينبغي ان تحكم وتوجه في الاستراتيجية ، كما يجب ان تحكم وتوجه في كل الاشياء الانسانية الأخرى .

غير ان هذه الفكرة هي في حد ذاتها فلسفة من الفلسفات.

— انتهى —

الفهـــــرست


م. سرمد حاتم شكر

هذا الكتاب

الابحاث الاستراتيجية العسكرية غير متوافرة بالعربية ، على أهميتها لاسيما في مثل ظروفنا الحاضرة .

ويدرس هذا الكتاب الاستراتيجية العسكرية دراسة مكثفة معمقة ، ولكنها غير بعيدة عن فهم القارىء العادي . انه يطرح قضايا الاستراتيجية المعاصرة طرحاً شاملا ، ولا يفوته بحث أهمية حرب العصابات في هذه الاستراتيجية الشاملة .

★ ★ ★

دارُ الطّليعة للطّباعة والنشر
بيروت

الثمن :